الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان
تخصص:العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر

رقم التسجيل:....................
الرقم التسلسلي:.................

الآراء العقديّة للشّيخ طاهر الجزائـــــري

ـ مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر ـ

إعداد الطالب :
عبدالرؤوف عبداللاوي

إشراف الدكتورة:
د/ الزهرة لحلح

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
منصور عفيف	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
الزهرة لحلح	مقررا	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر
عمار طسطاس	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
احسن برامة	عضوا	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعيـة: 1436هـ - 1437هـ/ 2015م - 2016 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء:

إلى صاحبة الفضل علي بعد ربي، إلى من عاشت معي كل ثانية من عمر هذه الرسالة بدعائها ومواساتها....

- أمي حفظها الله ورعاها وجعل الجنة مثواها -

إلى من آثرني وإخوتي على نفسه، وقضى عمره ضاربا في طول البلاد وعرضها لإطعامنا وتعليمنا...

- أبي أعزه الله بطاعته ورفع قدره في الدنيا والآخرة-

- أهدي هذه الرسالة -

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾

[الإسراء:24]

شكر وتقدير:

الحمد لله ذي المن والفضل والإحسان على ما فتح به علي من إنجاز هذا البحث وأعان، وبعد:

فأتقدم ببالغ الشكر ووافر التقدير إلى الدكتورة: الزهرة لحلح على ما أولت من رعاية، وأسدت من نصح وعناية، وكل ذلك بأخلاق راقية، ومعاملة فائقة، فإليها يعود الفضل في تقويم كثير من الخلل، وإصلاح مواضع الزلل.

فجزاها الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء

كما أعرب في هذا المقام عن جزيل الشكر والعرفان للقائمين على المرتع الخصب والمنهل العذب: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية التي لا زلنا نرتع في رياضها وننهل من حياضها.

والشكر موصول لكل الأساتذة الذين درّسونا، ولكل من أعان على إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

والحمدلله رب العالمين.

مقدمة

مقــدمـــة:

الحمد لله الذي جعلنا من أمة التوحيد وامتن علينا بالاعتقاد السديد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبعوث بالشِّرعة السديدة والعقيدة الصحيحة، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم خير من ذاد عن حياض العقيدة والتوحيد وحمل لواء الإصلاح والتجديد، وبعد:

لما كان شرف كل علم بشرف المعلوم، كان علم العقيدة أشرف العلوم وأجلها؛كونه يتعلق بالبحث في إثبات وجود الله تعالى وصفاته، ويبين مسالك الاعتقاد وأصول الإيمان الموصلة إلى دار كرامته ورضوانه تعالى، والعقيدة الإسلامية فيها من عناصر القوة والحيوية ما يجعلها منهج حياة، وفيها من التعاليم ما يشحذ الهمم ويوقظ الفكر، فمن مقاصدها وأهدافها التربوية: توحيد الناس في إيمانهم بالله وتوحيده، وتحرير العقول ودفعها إلى التفكير وتخليصها من ربقة الجمود والتقليد؛ لبناء حاضر الأمة وتشييد مستقبلها الذي لا يمكن أن ينفك عن ماضي سلفها وتراث وسير أجدادها من جيل الصحابة الأول؛ غير أن الحال الذي كان عليه هذا الجيل مافتئ يتغير كلما ابتعد زمن النبوة، فكثرت على مر التاريخ المدارس الفكرية العقدية وكثرت معها طرائق التفكير والنظر وتشعبت، وهو ما نشأ عنه تعدد الآراء ووجهات النظر بين مختلف المدارس الكلامية واختلافها فيما بينها.

ولما كان هذا هو الحال فلا عجب أن يسخر الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ويصلح لها عقيدتها، فظهر على مد التاريخ علماء مصلحون في مختلف البلاد الإسلامية، وقد كان الشيخ طاهر الجزائري واحدا من هؤلاء ال رجال الذين خرجوا من رحم بلاد الشام التي أثخنتها الجراح، فانهد جسدها بسبب ما اعتراه من انحطاط فكري وركود حضاري، زاد في تكريسه التكالب الاستعماري الذي شهدته مختلف بقاع العالم الإسلامي، وما صاحبه وخلّفه من موجات الإلحاد واستيراد عقائد دخيلة على الإسلام، فنادى بالرجوع إلى الكتاب والسنة والارتشاف من معين الأولين مع الانفتاح على الآخر والسلوك في درب المدنية المعاصرة، وعدم إغفال ما تشهده الساحة العالمية من تقدم علمي وتطور حضاري شمل أغلب مناحي الحياة، وقد أسهم الشيخ طاهر بشكل كبير في انتشال الأمة مما كانت تعانيه، وهو يعد حلقة وصل بين تاريخ الأمة وتراث سلفها وبين حاضرها وما يقتضيه من رقي مدني وتطور حضاري.

أهمية الدراسة:

- تظهر أهمية هذه الدراسة في أن الآراء العقدية التي دونها الشيخ طاهر في أهم كتابين له من الناحية العقدية وهما: "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" و "الجوهرة في قواعد العقائد" جاءت في إطار سلسلة الإصلاحات التي باشرها الشيخ إبّان توليه منصب التفتيش على مدارس دمشق، حيث أعطت نفسا جديدا للنهوض بقطاع التعليم في ما يتعلق بجانب تدريس العقائد وتسهيلها للطلاب، كون الشيخ سلك في تأليفها مسلكا تربويا وتبنى في عرض آرائه العقدية منهجا مدرسيا؛ فكانت بذلك أنموذجا للعمل التجديدي الذي طال هذا الجانب، وخرجت عن كونها مجرد خطاب أو تقرير نظري مجرد، واستحقت بذلك أن يسلط عليها الضوء في دراسة علمية متخصصة.
- أن الشيخ طاهر من أصل جزائري، وقد كان له أثر كبير في بلاد الشام وغيرها من البلدان، ففي دراسة شخصيته وآرائه بيان أن الجزائر ظلت ومازالت تمد الأمة بأمداد من الرجال الذين بعثوا نهضتها وانتشلوها من غياهب التخلف والركود.
- أن حال الفرد المسلم اليوم لا يبعد كثيرا عما كان عليه في زمن الشيخ طاهر، وبعض التحديات التي واجهت تدريس العلوم الشرعية بصفة عامة وعلم العقيدة بصفة خاصة لا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا، وعليه فإن دراسة الآراء العقدية للشيخ طاهر وتوضيح منهجه في عرضها، فيه بعث لمحاولة التجديد والرؤية الإصلاحية للشيخ في هذا المجال، وتقديم هذا المنهج كأنموذج يقتدى به في ميدان تدريس علم العقيدة والإصلاح العقدي.
- أن حاجة الأمة إلى إظهار تراث أبنائها ممن عرفوا بالنبوغ الفكري والعمل الإصلاحي أصبحت من الضرورة الملحة، نظرا لتهافت الثقافات الأجنبية وانبهار قطاع كبير من مثقفي الأمة فضلا عن غيرهم بالنتاج الغربي.

الإشكالية:

إن هذا البحث يتمحور حول إشكالية رئيسية وهي: ما هو المنهج الذي سلكه الشيخ في عرض آرائه العقدية؟ وما هي المصادر التي اعتمدها في استدلاله على مباحث العقيدة؟ وما هو منهجه في كتاباته العقدية؟ ما مدى تأثير عصر الشيخ في تكوين آرائه العقدية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

ما هي الآراء العقدية للشيخ طاهر الجزائري باعتباره أحد زعماء الإصلاح ؟

ماهي آراؤه العقدية في الإيمان بالله وملائكته، وفي الإيمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل، وفي الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر؟

أسباب الدراسة:

أسبـاب ذاتيـــة:

رغبتي الشخصية في تناول موضوع يتعلق بالآراء العقدية عند علم من الأعلام، ويختص تحديدا بشخصية جزائرية، وهو ما يتيح لي المساهمة في خدمة جزء من التراث الجزائري من جهة، و الإلمام بكثير من مسائل وأبواب العقيدة من جهة أخرى، فوجدت في موضوع "الآراء العقدية للشيخ طاهر الجزائري" ما يلبي هذه الرغبة.

أسباب موضوعية:

- قلة الدراسات العقدية المتعلقة بالشيخ طاهر الجزائري حسب علمي واطلاعي، مما زاد من اهتمامي به.
- الرغبة في التعامل مع التراث العقدي للشيخ طاهر الجزائري، وبالتالي المساهمة ولو بجهد المقل في إبرازه والتعريف به.

أهداف الدراسة:

- المساهمة في إضافة لبنة جديدة إلى صرح الدراسات العقدية عموما، وإضافة حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات المتعلقة بالشيخ طاهر الجزائري خصوصا.
- إبراز مساعي التجديد عند الشيخ في المجال التعليمي وخاصة على المستوى العقدي.
- جمع ما تفرق من آرائه العقدية المبثوثة في كتبه لإيضاح معالم فكره العقدي من جهة، وليسهل وصول الباحثين إليها دون عناء من جهة أخرى.

الدراسات السابقة:

إن موضوع الآراء العقدية للشيخ طاهر الجزائري كدراسة شاملة ومتخصصة لا يوجد من بحثه حسب اطلاعي، غير أن هناك بعض الدراسات التي تخدم هذه الدراسة من بعض الجوانب، أذكر منها:

- "منهج الشيخ طاهر الجزائري في العقيدة من خلال كتاب الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" للطالب: حسام شارع، وهو عبارة عن مذكرة ليسانس، اقتصر فيها الطالب على دراسة الآراء العقدية التي اشتمل عليها كتاب "الجواهر الكلامية..." دون غيره، ومن خلال الدراسة التي قمت بها تبين لي أنه لا يمكن معرفة آراء الشيخ طاهر في المسألة الواحدة إلا إذا جمعت أطرافها المبثوثة في كتبه، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة جاءت خالية من التعرض إلى منهج الشيخ في عرض العقيدة، على الأقل في كتابه الذي تضمنه عنوان البحث، ولذلك لم أفد من هذا البحث، وقد جاءت دراسة: "الآراء العقدية للشيخ طاهر الجزائري" متممة لهذا النقص.
- "علوم الحديث عند الشيخ طاهر الجزائري من خلال كتابه توجيه النظر إلى أصول الأثر" للطالب: محمد السعيد مصيطفى وهو عبارة عن مذكرة ماجستير، وهذه الدراسة خصصها صاحبها لتناول جهود الشيخ طاهر في علم الحديث دون التطرق إلى الجانب العقدي، وقد استفدت منها في معرفة بعض المواضع من كتاب "توجيه النظر" التي اشتملت على بعض الآراء العقدية، والتي قام الباحث بإحصائها في إطار حديثه عن العلوم التي اشتمل عليها كتاب: "توجيه النظر".
- "الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشرق العربي" للطالب: عبد العزيز لعميد، وهو عبارة عن رسالة ماجستير، ركز الطالب فيها على حياة الشيخ طاهر وبيان جهوده الإصلاحية في بلاد الشام، وقد أفدت منها في ترجمة الشيخ.
- كتاب: "الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته، لعدنان الخطيب، وكتاب: " الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام" لحازم زكريا، وجاء كل من الكتابين مركزا على حياة الشيخ طاهر، مع تأثر الثاني بالأول وإفادته منه، إلا أن الأول انفرد بالتفصيل في حياة بعض تلاميذ الشيخ طاهر، وانفرد

الثاني في التعريف بمؤلفات الشيخ طاهر، وقد أفدت من كليهما في الفصل الأول الذي خصصته لترجمة الشيخ طاهر.

مصادر الدراسة:

بما أن هذه الدراسة تتعلق بالشيخ طاهر وآرائه العقدية على وجه الخصوص، كان لزاما علي أن أرجع إلى مؤلفاته، فقد شكلت هذه الأخيرة مادة البحث الأولى، بالإضافة إلى عدد من المراجع المختلفة في العقيدة والفلسفة والتفسير والحديث والتاريخ والتراجم والمعاجم اللغوية والدوريات.

ومن بين هذه المراجع أذكر على سبيل المثال: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني ، وتهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، وتفسير ابن كثير، وصحيحي البخاري ومسلم، والملل والنحل للشهرستاني، والأعلام للزركلي، ولسان العرب لابن منظور، وغيرها.

وكل هذه الكتب سيأتي ذكرها مفصلة في فهرس المصادر والمراجع، ومن الجدير بالذكر أني اعتبرت مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري مصادر، وما عداها من مؤلفات وردت في هذه الدراسة اعتبرتها مراجع سواء كانت لمعاصرين له أم لم تكن، كما أني اعتمدت على طبعتين مختلفتين لكتاب "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" للشيخ طاهر الجزائري، وفرقت بينهما بذكر اسم المحقق في كل مرة يرد فيها ذكر الكتاب في الهامش.

منهج الدراسة:

من أجل ضمان المعالجة السليمة لهذا الموضوع اعتمدت على عدد من المناهج التي اقتضتها طبيعة البحث وهي: المنهج التاريخي الذي يقوم على وضع الأفكار في إطارها التاريخي؛ إذ من المتعذر فصل الأفكار عن حيزها الزمني، و المنهج الاستقرائي الذي اعتمدت عليه بغية تقصي وجمع ما تفرق من آراء الشيخ واستخراجها من مضانّها ومصادرها، بالإضافة إلى المنهج التحليلي والغرض منه تحليل الأفكار ونسبتها إلى أصحابها، وتفكيك مضامينها المعرفية، كما استعنت بالمنهج المقارن لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين آراء الشيخ طاهر وغيره من العلماء، إلى جانب تثمين هذه الآراء.

خطة البحث:

لقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: "حياة الشيخ طاهر الجزائري" وقد تطرقت فيه لعصر الشيخ طاهر من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية، إلى جانب الترجمة له مع التركيز على حياته العلمية، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث:

- ✓ المبحث الأول: عصره.
- ✓ المبحث الثاني: المولد والنشأة.
- ✓ المبحث الثالث: حياته العلمية.

الفصل الثاني: "منهجه في عرض العقيدة" وقد عملت فيه على تحديد معالم منهجه في عرض مسائل العقيدة من خلال بيان المصادر التي اعتمد عليها في عرض آرائه العقدية، والمنهج الذي سار عليه في التأليف، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

- ✓ المبحث الأول: مصادر الاستدلال على مسائل العقيدة.
- ✓ المبحث الثاني: منهجه في التأليف.

الفصل الثالث: " آراؤه العقدية في الإيمان بالله والملائكة" وقد قسمته إلى مبحثين، خصصت الأول منهما لبيان آراء الشيخ طاهر في إثبات وجود الله تعالى وموقفه من الصفات الإلهية، وتطرقت في المبحث الثاني إلى بعض المسائل المتعلقة بالملائكة كالتعريف بهم وذكر وظائفهم وغير ذلك.

الفصل الرابع: " آراؤه العقدية في الإيمان بالكتب والرسل" وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين، تعرضت في المبحث الأول لبيان موقف الشيخ من مختلف الكتب السماوية وأدلته على تحريف التوراة والإنجيل، وعرّجت في المبحث الثاني على تعريفه للرسل والأنبياء والفرق بينهما، كما تحدثت عن معجزات الأنبياء وصفاتهم، وختمت هذا المبحث بالحديث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الخامس: " آراؤه العقدية في الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر" وقد توزعت مادة هذا الفصل على مبحثين، تناولت في المبحث الأول آراء الشيخ في اليوم الآخر بداية من إثبات

عذاب القبر ونعيمه، وما يكون بين يدي الساعة من علامات، وانتهاءً بمشاهد وأحداث يوم القيامة، وأما المبحث الثاني فبحثت فيه تعريف القضاء والقدر بالإضافة إلى بعض المسائل كالرضا به والاحتجاج به على المعاصي وغيرها.

وأما الخاتمة فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة، مع الإشارة إلى بعض التوصيات والاقتراحات التي رأيت أنها جديرة بالعناية.

الصعوبات:

لقد واجهتني العديد من الصعوبات خلال مدة إنجاز هذه الدراسة، وهي صعوبات لا تخرج عن طبيعة البحث وكثير منها صعوبات لازمة لا تنفك عن أي باحث، وقد كانت حافزا لي على المضي قدما في إنجاز هذه الدراسة، ولا بأس أن أذكر منها:

- عدم التمكن من الحصول على عدد من كتب الشيخ طاهر التي قد تكون مشتملة على بعض آرائه العقدية رغم محاولاتي وانتقالي إلى بعض الجامعات والمكتبات التي لم تسعفني في نيل بغيتي، وكان بودي الحصول على مخطوط "أسنى المقاصد في علم العقائد" لعلاقته المباشرة بموضوع البحث، وبذلت في ذلك جهدا من خلال الاتصال ببعض الأشقاء السوريين لتوفيره؛ غير أنهم اعتذروا عن ذلك بتردي الأوضاع الأمنية في سوريا.
- كما أن أسلوب الشيخ طاهر المتمثل في كثرة الاقتباس، وإبهام مصدر الكلام في عدد من المواضع خصوصا في كتابه: "شرح خطب بن نباتة" صعّب من مهمة التمييز بين آرائه الخاصة وآراء غيره من العلماء، وهو ما اضطرني في كثير من الأحيان إلى قضاء الساعات الطويلة في استقراء الكتب والمقارنة والتنقيب عن أصل العبارات التي يوردها.

وما عداها من صعوبات فترجع إلى ظروف عائلية والتزامات وظيفية.

هذا ولا أدعي الكمال في هذا البحث، ولا الإحاطة بجميع جوانبه، وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدي، واستفرغت فيه كامل طاقتي، فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصــل الأول:

حيـــاة الشيـــخ

طـــاهر الجزائـــــري

الفصل الأول: حياة الشيخ طاهر الجزائري

تمهيد:

ظلت بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعاني من مختلف الأزمات والمشاكل الداخلية في جميع النواحي، ناهيك عن التهديدات العسكرية والصراعات التي كانت مشتعلة على الجبهات الخارجية، وذلك باعتبار بلاد الشام كانت جزءا من الدولة العثمانية المترامية الأطراف، وفي خضم كل هذه الأوضاع برز الشيخ طاهر الجزائري منتفضا على هذا الواقع، محاولا الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وفي هذا الفصل سأتطرق إلى الأوضاع التي عايشها الشيخ طاهر، مركزا على أهم ما ميز عصره، مع الترجمة له وذكر أهم محطات حياته، وذلك من خلال المباحث التي سترد في ثنايا هذا الفصل.

المبحث الأول: عصر الشيخ طاهر الجزائري

إن دراسة أي شخص كان من زاوية معينة لا يمكن أن تتم دون النظر إلى ملابسات عصره، حيث أن ذلك سيعرفنا على خلفية الآراء التي تبناها والمواقف التي اتخذها، فالإنسان ابن بيئته ولا يمكن أن يعيش بمعزل عن أحداث عصره، إذ لابد من تأثره بالظروف المحيطة به والبيئة التي نشأ فيها، ولذلك سأتحدث فيما يلي عن عصر الشيخ طاهر من الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي، وسأقتصر على بلاد الشام وسوريا تحديدا، لكون الشيخ قضى معظم حياته بها.

المطلب الأول: الحالة السياسية

عاش الشيخ طاهر الجزائري في الفترة الممتدة مابين عامي (1268هـ-1338هـ)-(1851م-1920م)، أي في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، الموافق للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في ظل الحكم العثماني على سوريا الذي بدأ في القرن العاشر الهجري، سنة (922هـ) الموافق للقرن السادس عشر الميلادي سنة (1516م).

امتازت فترة حياة الشيخ بالكثير من الأحداث السياسية التي عجلت بانهيار الحكم العثماني رغم محاولات الإصلاح التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى، فمن أهم سمات المشهد السياسي في هذا العصر ظهور تنافس الولاة على السلطة، حيث كان تكالبهم على سوريا ملحوظا، وتنافسهم على الظفر بولايتها بلغ أوجه، فالمحظوظ من فاز بكرسي الولاية، والسعيد من تقلد الإمارة، وقد بلغ شغفهم بها والسعي في تحصيلها استعدادهم لدفع الأموال والرشاوى الباهظة لنيلها، فكثر بذلك عددهم حتى بلغ في دمشق لوحدها 133 واليا على مد الحكم العثماني [1]، وكان هؤلاء الولاة لا هم لهم إلا السعي في الاحتفاظ بولايتهم دون الالتفات لإنجاح الولايات، فيكبون مدة حكمهم على جمع الأموال وتحقيق الثروة الوافرة بقدر ما تمكنهم الحال وهذا ليقينهم بقصر مدة حكمهم [2]، ناهيك عن الحروب التي كانت تنشب بين الولاة والباشاوات بسبب تنازعهم على السلطة وتمسكهم بالولاية، إلى جانب الحروب التي كانت تتقد على الجبهات الخارجية للدولة العثمانية كحرب القرم

[1] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1986م]، ج5، ص 646.

[2] محمد كرد علي، خطط الشام، [لبنان: بيروت، ط3، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، 1403هـ-1903م]، ج3، ص 96.

(1270هـ) ضد روسيا، بالإضافة إلى الاقتتال الداخلي بين الدروز [1] والموارنة[2] (1276هـ)[3]، وعدد من الحروب الطائفية والتي أوجدت فيما بعد ما يسمى "مسألة حماية الأقليات"، بعد أن كانت مجرد رعاية تحصلت عليها فرنسا بالنسبة للموارنة و النصارى الكاثوليك [4]، تلاها حق مثيل للنصارى الأرثوذكس[5] تحصلت عليه روسيا، ليليها تدخل إنجلترا دفاعا عن الدروز [6]، وهو ما نتج عنه تضييق الخناق على الدولة العثمانية، والتدخل السافر في شؤونها الخاصة، وقد انجر عن هذه الامتيازات ما يمكن أن نسميه حكومات ودولة للنصارى داخل حكومة ودولة العثمانيين.

ونتيجة لتردي الوضع السياسي للدولة العثمانية، ظهرت بعض محاولات الإصلاح التي تهدف إلى تهدئة الأمور كخط كلخانة (1255هـ-1839م) الذي تضمن الوعد بإصلاح الإدارة والقضاء على الرشوة ، تلاه خط التنظيمات الخيرية (1272هـ-1856م) الذي أقر المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة، ليتبع بخط الإصلاحات والتنظيمات الجديدة (1272هـ-1874م)[7]، ولعل أهم محاولة للإصلاح هي إعلان دستور يضمن الحريات المدنية، وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية، لكن سرعان ما تم إلغاؤه فلم يعمل به لمدة ثلاثين سنة، وهو ما زاد الوضعترديا واحتقانا، وصعد من

---

[1] الدروز: أتباع الطائفة الدرزية، وهي إحدى فرق الباطنية الإسماعيلية العبيدية، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر، وأتباع هذه الطائفة يجحدون كل ما أخبر الله به من البعث والثواب والعقاب، ويقولون بالتناسخ ويسمونه التقمص، ولهم العديد من المعتقدات الأخرى. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، [السعودية: جدة، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، 1422هـ-2001م]، ج1، ص 591 .

[2] الموارنة: أتباع الطائفة المارونية، وهي طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزا لهم . مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، [السعودية: الرياض، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ]، ج2، ص 626.

[3] إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، [لبنان: بيروت، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، 1408هـ-1988م]، ص216.

[4] الكاثوليك: هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية العامة ، وهي أعرق وأكبر الطوائف النصرانية ومركزها في روما وجمهورها في أوروبا عموما وهم يعتقدون – بزعمهم- أن الله الابن مساو في خصائص الألوهية لله الأب، وروح القدس منبثق عنهما. ناصر القفاري و ناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، [السعودية: الرياض، ط 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1413هـ-1992م]، ص76.

[5] الأرثوذكس: هم أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وهي كنيسة الروم الشرقية، أكثر أتباعها من شمال وغرب آسيا وشرق أوروبا، ويعتقد أتباعها أن الله الأب أفضل من الله الابن، وأن الروح القدس انبثق عن الله الأب. المرجع نفسه، ص76.

[6] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج5، ص649.

[7] عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، [مصر، د.ط، دار المعارف، د.ت]، ص20-31

حالة الاستياء والاحتقان لدى عامة الشعب الذين ملوا سياسة الدولة العثمانية، وفي هذا يقول محمد كرد[1] واصفا الحالة التي ألت إليها البلاد: "وتنكرت الأخلاق، وبات القول الفصل للرشى والمحاباة والشفاعات، وغلوا في التجسس والوقيعة، وكثر الفقر وعم القهر، وزاد الضغط على الأمة" [2].

في هذه الأثناء كانت فكرة القومية أو العصبية الوطنية قد لاقت رواجا كبيرا، حتى استفحل أمرها وذاع صيتها فسيطر الاتحاديون أنصار الدعوة القومية على مقدرات الخلافة، فوجدت قوميتان وبدأ الصدام، واستفاد مروجوها فأثاروا العرب ضد الترك، لتنتهي فصول الحكم العثماني بتقسيم الدول الأوروبية لبلاد الشام فيما بينها و إخضاع أجزائها [3].

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

إن الوضع الاجتماعي للمجتمع الشامي إبان الحكم العثماني لا يبعد كثيرا عن الوضع السياسي، فالمجتمع الشامي عبارة عن مزيج من العناصر العرقية والدينية ذات الأصول المختلفة، مما أضفى عليه طابع التنوع والتعدد الثقافي، وأثر بشكل كبير على سير الحياة الاجتماعية،كما لعب هذا التداخل والتمازج دورا بارزا في توجيه الحياة السياسية.

وبالبحث في الأصل العرقي والديني لسكان بلاد الشام نجد أن أغلبهم من الجنس العربي، فمنهم المسلمون السنيون والشيعة [4] ومنهم الدروز والعلويون [5]، بالإضافة إلى النصارى واليهود، وأما

---

[1] هو محمد كرد علي، ولد سنة (1293هـ-1876م)، يعد من أبرز تلاميذ الشيخ طاهر الجزائري، ترأس المجمع العلمي العربي بدمشق، وولي وزارة المعارف مرتين، وكتب في عدد من الصحف، توفي سنة (1372هـ-1953م)، من مؤلفاته: خطط الشام، كنوز الأجداد، وغيرها. محمد كرد، خطط الشام، ج6، ص334-347.

[2] المرجع نفسه، ج3، ص115.

[3] محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر 987هـ-1400هـ/1492م-1980م، [السعودية: الرياض، د.ط، دار المريخ للنشر، د.ت]، ج1، ص119-120.

[4] الشيعة: هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه وآل بيته، وقالوا بأنه أحق بالإمامة بوصية النبي صلى الله عليه وسلم له ولأبنائه، وهم ثلاث فرق: الغالية وهم خمسة عشر فرقة، والروافض وهم أربع وعشرون فرقة، والزيدية وهم خمس فرق، وكل فرقة تنقسم إلى عدد من الفرق. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح قيق: نعيم زرزور، [د.م، ط1، المكتبة العصرية، 1426هـ-2005م]، ج1، ص25.

[5] العلويون: فرقة من الشيعة الإمامية الذين يسكنون غالبا سوريا وتركيا، وقيل أن اسمهم القديم هو النصيرية أتباع محمد بن نصير البصري، يقولون بالتقمص ونظام المواريث غير واجب عندهم، ولا يجيزون زواج المتعة. عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط1، دار الرشاد، 1413هـ-1993م]، ص295-296.

الأجانب فقلة. منهم المغاربة و الأكراد [1] والإيرانيون والأرمن [2] وغيرهم، فأصل سكان بلاد الشام عرب داخلهم غيرهم من الطوائف التي ذكرنا، فنجد أن المغاربة هاجروا إليها منذ استوطنها الأمير عبد القادر، ودخلها الأكراد تجارا وتزايدوا فيها وصاروا أصحاب نفوذ، وأما الأتراك فبدأوا بالتردد عليها منذ بداية الحكم العثماني، وجاء الجراكسة[3] بعد حرب الروس مع الدولة العثمانية[4].

وفيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية للطوائف الدينية فإننا نلاحظ غلبة المسلمين عددا، مقابل تفوق أهل الذمة من نصارى ويهود مكانة، وهذا يرجع أساسا إلى الامتيازات الأجنبية، والتحول الكبير خلال القرن التاسع عشر في موقف الدولة العثمانية من الملل المذهبية والتمكين لها، وذلك بتقنين العلاقة معها خصوصا في عهد إبراهيم باشا [5] إبان حكمه على سوريا عام 1831م[6]، وقد كان من شأن اليهود أن تم تعيين بعضهم في مراكز إدارية وإطلاق ألقاب جديدة عليهم كصاحب العزة، وامتلاك الأراضي والعقارات في كل مكان، إلى غير ذلك من الامتيازات العديدة[7].

---

[1] الأكراد: شعب يسكن هضبة فسيحة في آسيا الوسطى، وبلادهم موزعة بين تركيا وإيران والعراق وغيرها . إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، [مصر، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م]، ص782.

[2] الأرمن: ينتسبون إلى الجنس الآري، وكانوا يعيشون في جوار أرمن من تركيا الحالية، وبعدها تقدموا نحو الشرق وانتشروا في آرارات، وقد ثاروا على الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى 1912م فجرى تهجيرهم من تركيا إلى سوريا، ومنها انتشروا إلى بقية الأقطار العربية وأوربا وأمريكا. محمد أبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات دار علاء الدين، 1996م]، ص170، 147.

[3] الجراكسة: شعب من شعوب الترك أصل بلادهم القوقاز أو قفقاسيا الشمالية، وقد ادعى بعضهم أن أصلهم من العرب بل من قريش. أحمد تيمور باشا، التذكرة التيمورية، تحقيق: محمد شوقي أمين، [مصر، ط1، دار الكتاب العربي ، 1953م]، ص110، ومحمد أبه زاو، المرجع السابق، ص43.

[4] عبد الرحمان بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، [لبنان: بيروت ، د.ط، دار الرائد العربي، 1401هـ-1981م]، ص61-64.

[5] هو إبراهيم ابن محمد علي "باشا" قائد من ولاة مصر، ولد في "نصرتلي" عام 1204هـ، قاد حملة بجيشة على سورية عام 1247هـ بتوجيه من والده محمد علي الذي نزل له بعد ذلك على إمارة الديار المصرية، توفي سنة (1264هـ)، خير الدين الزركلي، الأعلام، [لبنان: بيروت، ط15، دار العلم للملايين، 2002م]،ج1، ص70.

[6] حسين العودات، العرب النصارى، [سوريا: دمشق، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م]، ص168.

[7] أكرم حسن العلبي، يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية 991هـ-1336هـ/ 1583م-1909م، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2011م]، ص13.

وأما على صعيد العناصر والشرائح المكونة للمجتمع، فإنه يمكننا حصرها في ثلاث فئات كبرى تشمل بدورها بعض الفئات الصغيرة، وإن كان بعض الباحثين قد جعلها فئات مستقلة بذاتها، وهذا ربما يرجع إلى اعتبار ومراعاة بعض الدقائق والفوارق المميزة لكل فئة، وهي كالآتي:

1 / **الحكام وموظفو الحكومة:** فأما الحكام فأكثرهم من الجهلاء وأنصاف المتعلمين، وقلة منهم من نجح في حكم ولايته، وأما موظفو الحكومة فهم ممن ثبتت مقدرته الوظيفية بغض النظر عن مذهبه وموهبته وكفاءته العلمية[1].

2 / **العلماء والأشراف:** فقد كانت لهم قدم راسخة ومكانة مرموقة في المجتمع، حيث كان العلماء يتمتعون بالسلطة في منح الشرعية السياسية، أو منعها عن الولاة والسلطان، إلى جانب التدريس والإفتاء وإدارة الأوقاف، وأما الأشراف وهم المعترف بانتسابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يتمتعون بامتيازات مدنية ووضع استثنائي في القضاء[2].

3 / **المحكومون (العامة أو الرعايا):** تشمل كل من ليست له مشاركة في الحكم والإدارة، فيدخل فيها كل من له اشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة، وتتشكل هذه الفئة من جماعات وطوائف مختلفة تنتمي لأديان ومذاهب وأعراق متعددة[3].

وبالرجوع إلى الحياة الجماعية العامة نجد أنها كانت مفقودة أو شبه مفقودة، فإذا استثنينا الاجتماعات التي كانت تحصل اضطراريا في الولائم وصلاة الجمعة والسهرات فإننا لا نكاد نعثر على أثر للندوات الثقافية، والجمعيات الإصلاحية ولا حتى الخيرية، وأما فيما يتعلق بالمرأة فلم يكن لها أثر يذكر في المجتمع، بل غاية أمرها ومنتهى دورها يكمن في بيتها وخدمة ولدها وزوجها[4].

وبخصوص حالة الأفراد فإنها لم تكن مرضية بحال "فإن مرض النفاق، وفساد الأخلاق، وحب الشهوة، والمجاهرة بالمحرمات قد انتشرت فيهم وتمكنت من نفوسهم، فجلبوا الويل على أنفسهم بما كسبت أيديهم... وهؤلاء الفاسدو الأخلاق شقوا عصا طاعة الدولة العلية، وخرجوا عليها،

---

[1] ماري دكران سركو، دمشق فترة السلطان عبدالحميد الثاني 1293هـ-1325هـ/1876م-1908م، [سوريا: دمشق، د.ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، د.ت]، ص26.

[2] ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة: عمرو الملاح، دينا الملاح، [سوريا: دمشق، ط1، دار الجمهورية، 1419هـ-1998م]، ص137.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، [تركيا: إستانبول، د.ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999]، ج1، ص551.

[4] ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، [سوريا: دمشق، ط1، د. د، 1385هـ-1965م]، ص18.

يسلقونها بألسنة حداد" [1]، ويظهر من هذا مدى التلازم بين الحالتين الاجتماعية والسياسية، غير أن هذا الوضع ما لبث أن تحسن تدريجيا، حيث بدأت بوادر الانفراج تلوح لاسيما بعد تولي مدحت باشا[2] على الشام، ليبدأ معه عهد جديد من إرساء أسس الإصلاح العلمي والاجتماعي والإداري.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية

شهدت بلاد الشام خلال بدايات القرن التاسع عشر انحطاطا ذريعا، وضعفا كبيرا وجهلا مطبقا في شتى ميادين العلم والثقافة، فقد انتشرت الأمية بشكل مريع، وبلغ من عظيم خطرها و كبير تفشيها بين مختلف طبقات المجتمع أن الرسالة لتصل إلى آحاد الناس فيبحث له عمن يقرؤها فلا يجد إلا واحدا أو اثنين أو لا يجد أصلا، ولندرة أمثال هؤلاء فقد ارتبطت مصالح الناس بهم حضورا و غيابا، ومن عجيب أمر الناس في هذا الزمان اجتماعهم حول قارئ الجريدة في مختلف الأماكن لسماع ما حوته، دون فهم ولا تدبر وإن حصل فهو على مقدار فهم و إدراك قارئ الجريدة الذي يقوم بشرح ما عقل منها [3]، وهذا بسبب تردي حالة اللغة العربية التي بلغت درجة كبيرة من الاضمحلال، ولم تقتصر حالة الضعف هذه على العامة فقط، بل تجاوزتها إلى من ينتسبون إلى العلم فضعفت ملكة البيان واللغة في نفوسهم، يقول محمد كرد واصفا الحالة التي آلت إليها اللغة العربية: "وقد ضعفت في هذا القرن ملكة البيان في المسلمين، وهم يتلون القرآن ولكن بدون أن يتدبروا معانيه ويفهموا إعجازه حتى أصبح الفقيه و المحدث والنحوي والمنطقي لا يحسن كتابة سطرين إلا بصعوبة ويتعاصى عليه فهم الكلام الفصيح دون الرجوع في المفردات البسيطة إلى المعاجم" [4].

بالبحث في علل وأسباب هذه الحالة الثقافية المتردية، نجد أن من أهم أسبابها العامل السياسي المتمثل في الانفلات الأمني الذي أدى إلى كثرة الاضطرابات والتقلبات السياسية، والتي أثرت بدورها سلبا على الحياة الثقافية، وقلصت من انتشار العلم وحصره في ثلة قليلة من الناس، بالإضافة إلى الاهتمام العثماني بالجانب العسكري وتغليبه على بقية الجوانب وعلى وجه الخصوص الجانب الثقافي،

---

[1] إبراهيم بك حليم، القول الحق في بيروت ودمشق، ص10.

[2] مدحت باشا، ولد في اسطنبول سنة (1238هـ-1822م)، كان واليا على الشام ، وقام بإصدار الدستور العثماني سنة (1239هـ-1876م)، اعتقل وحوكم بتهمة المشاركة في قتل السلطان عبد العزيز، حكم عليه بالإعدام، وقتل سنة (1301هـ-1883م). الزركلي، الأعلام، ج7، ص195.

[3] ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص16.

[4] محمد كرد، خطط الشام، ج4، ص70-71.

وهو ما جعل أهل الشام يعرضون عن الدراسة في المدارس العالية في الأستانة، لكون التدريس يتم باللغة التركية، فصار لا يلتحق بها إلا من كانت همته متجهة لتقلد منصب إداري أو عسكري، وهو ما يستلزم التخلي عن اللغة العربية الأصلية وتلقي العلوم والمعارف باللغة التركية، وقد أدى هذا إلى نشوء جيل غير متمكن من لغته العربية الأصلية، مع ضعفه في تخصصه التركي.

ثم إن الرقابة الحكومية على المطبوعات بجميع أنواعها، بما فيها المطبوعات الدينية، حالت دون أي إبداع في المجال الثقافي لاسيما مع توسيد المناصب إلى أشخاص لا يمتون إلى العلم والثقافة بصلة، "لذلك بلغت العلوم الشرعية درجة من الضعف تضحك وتبكي، وبلغت أكثر وظائف الوعظ و التدريس والخطابة والإمامة من السخف ما نسأل الله معه السلامة" [1]، وهي سياسة كرستها الدولة وعملت على تطبيقها لإحكام قبضتها على مقاليد الأمور، وفرض سيطرتها وبسط نفوذها على عامة الشعب، فقد أصدر السلطان عبد الحميد [2] إرادته السنية إلى مديري المعارف في بلاد الشام وغيرها بإيقاف سير المعارف عند الحد الذي وصلت إليه لأن في انتشارها انتشار للمفاسد وتمزيق لشمل الأمة[3].

في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ بلاد الشام، ومع الانهيار السياسي للدولة العثمانية، وكنتيجة حتمية للامتيازات الأوروبية، بدأت الثقافة الغربية بالانتشار على نطاق واسع عن طريق الإرساليات التنصيرية التي وجدت طريقها إلى بلاد الشام، وأخذ نشاطها منحى تصاعديا فتزايد بذلك عدد النصارى وتزايد معه العمل التنصيري.

بعد هذا التردي الفظيع والانحطاط الشنيع الذي شهده المجال الثقافي، بدأت تلوح بوادر النهوض بهذا القطاع، حيث كان للنهضة المصرية عظيم الأثر في ذلك نتيجة لتخرج عدد من أبناء الشام من المعاهد والمدارس والجامعات المصرية كجامع الأزهر، ومن ثم نقل المعارف والعلوم إلى بلاد الشام، إلى جانب الإصلاحات التي باشرها إبراهيم باشا بعد دخول الجيش المصري إلى دمشق عام (1831م-1840م)، كما أن انتشار المدارس الأجنبية في البلاد أسهم بشكل فعال في نقل وتلقين

[1] محمد كرد، خطط الشام، ج4، ص75.
[2] هو عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد، ولد سنة (1258هـ-1842م)، تولى الخلافة سنة (1876م)، وبقي على رأس السلطة مدة ثلاث وثلاثين عاما ثم خلع عن العرش سنة (1990م)، وتوفي سنة (1912م). عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي صالح، [الأردن: عمان، ط1، دار البشير، 1411هـ-1991م،] ص11.
[3] محمد كرد، المرجع السابق، ج4، ص120-121.

معارف الغرب وإن كان يلاحظ عليها الإفساد من جهة إضعاف الشعور الوطني في نفوس طلبتها[1] وما ترتب عنها من المفاسد العديدة الأخرى التي لا يسع المجال لذكرها.

وفيما يلي أذكر أهم الجوانب الثقافية المؤثرة في المشهد الثقافي لبلاد الشام:

الفرع الأول: التعليم

كان للتنظيمات التي أتت على الحياة العثمانية بمختلف أطيافها، وعلى الحياة الثقافية بوجه خاص الأثر في تقسيم مسيرة التعليم إلى مرحلتين من الزمن، اختلفت فيها العملية التعليمية شكلا ومضمونا، وهي مرحلة ما قبل التنظيمات، ومرحلة ما بعد التنظيمات، وهو ما لاحظته من خلال تتبع المسيرة التعليمية.

1. مرحلة ما قبل التنظيمات: عرفت هذه المرحلة بالبساطة في مختلف العناصر التعليمية، إذ كان التعليم يتم في المساجد، أو في المدارس والكتاتيب الملحقة بها، أو في الحلقات الخاصة التي تقام في بيت الشيخ المدرس، يتعلم فيها الأطفال المبادئ الأولية لبعض العلوم كالقراءة والكتابة إلى جانب تعلم القرآن، وأما في القرى والجبال فيكون التعليم في الفترة الشتوية لا غير، ثم الانقطاع للعمل في الفلاحة بزعم أن القراءة والكتابة لا تطعم الفلاح خبزا[2]، كما ظهرت بعض المدارس المهتمة بتعليم العلوم الدينية، وكان الفضل في قيام هذه المدارس والكتاتيب للأوقاف التي حبسها المحسنون في ظل غياب نفقات الحكومة وعدم اهتمامها بجانب التعليم لاسيما العربي منه، وقد كانت على قدر كبير من البساطة.

2. مرحلة ما بعد التنظيمات: عرفت هذه المرحلة قفزة نوعية وشهدت تطورا فكريا وتعليميا مقارنة بالمرحلة السابقة، وهذا بعد اتخاذ الإدارة العثمانية لجملة من التدابير و الإجراءات التي تهدف إلى تحسين قطاع التعليم و النهوض به، وإن كانت في البداية منصبة على مواجهة الاحتياجات العسكرية ثم ما لبثت أن شملت العديد من نواحي الحياة، وقد كان للحكم المصري على سوريا الأثر الواضح في التمهيد لهذا التطور.

[1] محمد كرد، خطط الشام، ج4، ص73.

[2] يوسف موسى خنشت، طرائف الأمس غرائب اليوم، [سوريا: حريصبا، د.ط، مطبعة القديس بولس، 1936م]، ص21.

تبدأ هذه المرحلة بإصدار نظام المعارف سنة (1286هـ-1869م)، وبموجبه قسمت الدراسة إلى خمس مراحل: المرحلة الابتدائية، الرشدية، الإعدادية، السلطانية، والعالية [1] إلى جانب إنشاء إدارة للمعارف في ولاية سوريا تشرف على المدارس وبالتالي فقد أضفي على التعليم في بلاد الشام الصبغة الرسمية، وتم تبنيه وفق خطة سياسية لاسيما مع تولي مدحت باشا ولاية الشام سنة (1878م)، والذي أسهم بشكل كبير في نشر العلم بين مختلف طبقات المجتمع، وعد المؤسس لكثير من المدارس في دمشق، وإليه يعود الفضل في تأسيس المكتبة الظاهرية إلى جانب الشيخ طاهر الجزائري.

كان لهذه الجهود الأثر البالغ في بعث الأمل في النفوس وتشجيع أهل الشام على التعلم، وبذل الجهود والأوقات من أجل دفع عجلة النهضة، يقول صاحب كتاب القول الحق: "ومما يفيد ذكره أن كثيرين من الطالبين يأتون من الجبال فقراء فيشتغلون بكد واجتهاد ويدفعون أجرة تعليمهم بما يحصلونه بتعبهم و عرق جباههم....وهذا دليل على اجتهاد السوريين ونهضتهم إلى إحراز الفوائد. وطالما خرج منهم إلى العالم أناس لا رأس مال لهم سوى العلم والأدب" [2] ومع كل ما قيل عن هذه المرحلة إلا أن التطور الحاصل فيها لم يكن كافيا، خذ على ذلك مثلا الزيادة الملحوظة لعدد المدارس فإنها لم تكن كافية إذا ما قارناها بعدد السكان، مع غلبة المدارس المسيحية والأجنبية، ومع ذلك فإن هذه الحقبة كانت خيرا مما سبقها.

الفرع الثاني: الطباعة

عرفت الطباعة طريقها إلى بلاد الشام خلال القرن (18م) وإن كان ظهورها واختراعها متقدما على ذلك بكثير، ويرجع تأخر ظهورها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التي لم تكن لتساعد على قبول الاكتشافات والإبداعات، خاصة إذا كانت قادمة من أوروبا، وذلك بسبب النزاعات والعلاقات المتوترة بين الشرق والغرب [3]، وقد ظهرت الطباعة في بلاد الشام على يد النصارى حيث أن لهم قدم السبق في إدخال آلة الطباعة واستقدامها من البلاد الأوروبية، وقد توجهت عنايتهم وانصبت جهودهم على طباعة الكتب الدينية، حيث كان الغرض من المطابع في البداية نشر الكتب المقدسة، ثم انتشرت الطباعة بعد ذلك في أوساط المسلمين خلال القرن التاسع عشر، وقد كانت

---

[1] عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص252.

[2] عبد الرحمان بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص13.

[3] وحيد بن الطاهر قدورة، تاريخ الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام، [السعودية، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1331هـ-2010م]، ص15-16.

بداياتها جد محتشمة سواء من حيث العتاد أو الإتقان، مع ملاحظة قلة اهتمام المطابع في ذلك الوقت بطبع الكتب النافعة، وهذا مراعاة لنفعها الخاص قبل نفع جمهور الناس [1]، وأما الكتب المطبوعة فعلى قلتها وندرتها ليس في الناس من له همة في مطالعتها والطلب عليها قليل، وبالرغم من ذلك فإنه لا ينكر الدور الإيجابي للمطابع في ما بعد، وإسهامها في إحداث نهضة فكرية وثقافية في بلاد الشام.

الفرع الثالث: الصحافة

لم يكن شأن الصحافة بأحسن حال من الطباعة، سواء من حيث زمن ظهورها أو جودتها، فلم تطرق الصحافة أبواب الشام إلا منتصف القرن التاسع عشر، وقد ظهرت كنتيجة حتمية لانتشار الطباعة، ناهيك عن استفزا الحالة السياسية لبعض المفكرين الذين لم يجدوا غير الصحافة لتكون متنفسا لهم ومنبرا للدعوة إلى التغيير من أمثال: رزق الله حسون [2]، ناصيف اليازجي [3]، عبد الرحمان الكواكبي [4]، وغيرهم [5]، غير أن كثيرا من هؤلاء منعوا من ممارسة النشاط الصحفي وآثروا المغادرة والإقامة في مصر التي كانت تتمتع بحرية أكبر وأوسع، وهذا نظرا للقيود التي فرضت عليهم وعلى الصحافة والتي حالت دون تطورها [6]، فالصحافة إلى جانب انتشارها المحدود لم تكن تتمتع بحرية كافية لاسيما زمن السلطان عبد الحميد الذي أمر بتكميمها وقام بإلغاء جميع الحريات ووضعها تحت الرقابة، يقول فخري البارودي: " أما الجرائد في عهده فكانت عبارة عن صحف تجارية ليس لها هم إلا كسب الدراهم وتضليل الأمة بالأخبار الكاذبة التي ترضي جلالة السلطان، وتكيل الثناء

---

[1] محمد كرد، خطط الشام، ج4، ص86-87.

[2] هو رزق الله بن نعمة الله حسون، الحلبي، أديب، ناثر، شاعر، صحافي، من أصل أرمني فارسي، ولد بحلب سنة (1240هـ-1825م)، وتوفي بلندن سنة (1297هـ-1880م)، من مؤلفاته: حسر اللثام عن حالة الإسلام . عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، [لبنان: بيروت، ط1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م]، ج1، ص713.

[3] ناصيف اليازجي، لغوي شاعر، ولد سنة (1800م)، له عدد من المؤلفات منها: الجوهر الفرد، فصل الخطاب في أصول لغة الإعراب، وغيرها، توفي سنة (1871م). فنديك إدوارد، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه وزاد عليه، محمد علي الببلاوي، [مصر، د.ط، مطبعة التأليف (الهلال)، 1313هـ - 1896م]، ص403.

[4] هو عبد الرحمان الكواكبي، أحد زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ولد بحلب سنة (1265هـ-1848م)، تولى عددا من المناصب الحكومية كالقضاء وغيره، توفي سنة (1322هـ-1902م)، من مؤلفاته:طبائع الاستبداد، أم القرى. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، [مصر، د.ط،كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ت]، ص69-71.

[5] شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية،[مصر، د.ط، دار المعارف، القاهرة،د.ت]، ج1، ص26 -27.

[6] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، [لبنان: بيروت، ط5، دار العلم للملايين، 1968م]، ص615.

بالكيل الوافي له ولوزرائه وكبار رجال الدولة، بحيث لم يكن أحد من الناس يقرأ في جريدة واحدة أي انتقاد لأصغر موظف، ولا ترى في الجرائد إلا المدح والثناء على السلطان وأعماله المجيدة وتجنيد أعمال الموظفين بحق وبغير حق، وشكر "صاحب الشوكة" يعني السلطان بمناسبة وبغير مناسبة، والجريدة التي تعارض أو تنتقد ولو بالإشارة فجزاؤها الإغلاق وسجن صاحبها ومحرريها" [1]، إلا أن الانفراج حصل بعد ذلك ورفعت الرقابة والتضييق على الصحافة فأصبحت أكثر حرية ومصداقية لاسيما بعد صدور دستور (1908م) ، فبدأت بذلك الصحافة عهدا جديدا.

[1] فخري البارودي، أوراق ومذكرات فخري البارودي 1887م-1966م، تحقيق: دعد الحكيم، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، 1999م]، ج2، ص16-17.

المبحث الثاني: المولد والنشأة

بعد التعرض لأهم الظروف والأحداث التي اكتست عصر الشيخ طاهر، يأتي الحديث عن شخصيته، وسأخصص هذا المبحث لتناول بعض الجوانب من حياته، والتي تتعلق باسمه ونسبه، ومولده، وأسرته، وصفاته، ووفاته.

المطلب الأول: إسمه ونسبه وكنيته

هو طاهر بن صالح بن أحمد الوغليسي السمعوني الجزائري الدمشقي، وهذا القدر من النسب محل اتفاق بين عامة من ترجم للشيخ، حيث اتفقوا على اسمه واسم أبيه وجده [1]، غير أن منهم من زاد في اسم أبيه فقال : محمد صالح [2]، واختلفوا في البقية، يعني في الجد الثاني وما بعده في سلسلة النسب، وأكثر من ترجم للشيخ على أن اسم جده هو "موهوب"، والبعض الآخر يورده باسم "موسى بن أبي القاسم" لاسيما منهم من تعرض لترجمة والد الشيخ[3].

ومن جهة انتسابه نجد أن الشيخ طاهر نسب إلى جهات متعددة، فهو: الوغليسي نسبة إلى واد قرب بجاية شرقي الجزائر، أقام فيه بنو وغليس فسمي باسمهم، ونسب كذلك إلى سمعون فيقال: السمعوني وهي مجموعة قرى أو أحياء في أعالي واد بني وغليس، كان يوجد فيها معهد أو زاوية الحاج أحمد حسين جد الشيخ طاهر، كما أن الشيخ ينسب إلى الجزائر وهو البلد الذي جاءت منه أسرته مهاجرة إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي لها، وفي دمشق ولد الشيخ طاهر ونشأ وتوفي ولهذا ينسب إليها فيقال الدمشقي، كما جاء في ترجمته أيضا "الحسني" وذلك لامتداد نسب أسرته إلى الإمام الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما [4]، ومن العلماء من أرجع نسبه إلى أسرة

---

[1] عادل نويهض، معجم المفسرين، [لبنان: بيروت، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، 1409هـ-1988م]، ص241، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص11، ويوسف إلياس سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت]، ج1، ص688، ومحمد كرد علي، المعاصرون، [لبنان، ط2، دار صادر، 1413هـ-1993م]، ص268.

[2] محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، تاريخ علماء دمشق، [سوريا: دمشق، ط 1، دار الفكر، 1406هـ-1986م]، ج 1، ص366، وأحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، [مصر: القاهرة، د.ط، دار الآفاق العربية، 1423هـ-2003م]، ص289.

[3] جاء في بعض هذه التراجم زيادة اسم حسين لاسم الجد أحمد . عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق: محمد بهجة البيطار، [لبنان: بيروت، ط2، دار صادر، 1413هـ - 1993م]، ص733.

[4] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، [د.م، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م]، ص92.

الأدارسة بالمغرب ولهذا نجد في بعض تراجمه زيادة على ماسبق "الإدريسي" [1] ، ولأن أصله من المغرب فقد نسب إليه فيقال " المغربي"، ومن بلاد المغرب تحديدا ينسب إلى الزواوة، ولهذا نجد في بعض تراجمه من ينسبه إليها فيقول "الزواوي"[2].

مما سبق يمكننا جمع شتات ما تفرق وذكر النسب الكامل للشيخ وهو : طاهر بن محمد صالح بن أحمد حسين بن موهوب (أو بن موسى بن أبي القاسم) الوغليسي السمعوني الزواوي الجزائري المغربي الإدريسي الدمشقي الحسني.

فالشيخ إذا ينسب إلى بيت عز وشرف، ومع هذا لم يكن هذا النسب يجري على لسانه أو يحدث به جلسائه وأقرانه، حيث كان مكتفيا بانتسابه إلى العلم، مع أن المتصلين بالنسب الطاهر في زمانه كانوا على قدر عظيم من الجاه، ويكفي فقط إثبات النسب إلى البيت النبوي حتى يلحق المدعي بطبقة الشرفاء ويتمتع بمختلف الصلاحيات والامتيازات.

يقول عنه محمد سعيد الباني وهو أحد تلاميذه: "ويقال أنه صحيح النسب إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولم يكن الفقيد يخبر بذلك لأن انتسابه إلى العلم يكفيه ولكن حينما سأله بعض أصحابه أجابه كذا يقولون" [3]، وهذا ما أكده محمد كرد في حديثه عن زهد الشيخ حيث يقول:"ويزهد في اعتبارات كثيرة يتفانى الناس في تحصيلها، يزهد حتى في نسبته إلى الشرف، ولم يذكر ذلك إلا مرة ذكره فيه أحد صلحاء الجزائريين أمامي وسألته بعد ذلك عن نسبة بيتهم إلى الشرف، فقال: هكذا يقولون"[4]، ولا عجب فشرف العلم أعظم نسبة.

وأما فيما يتعلق بكنية الشيخ فلا يُعلم أن له كنية، حيث لم يرد ذكرها ولا الإشارة إليها في جميع المصادر التي ترجمت له في حدود اطلاعي، إلا ما ذكره أبو يعلى الزواوي [5] في سياق حديثه عنه

---

[1] أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي، ص289.

[2] أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، [الجزائر، ط1، منشورات وزارة الثقافة، 2005م]، ص108.

[3] محمد سعيد الباني، تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، [سوريا، د.ط، مطبعة الحكومة العربية السورية،1920]، ص139.

[4] محمد كرد علي، كنوز الأجداد، [سوريا : دمشق، د.ط، مطبعة الترقي، 1370هـ-1950م]، ص13-14.

[5] هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي الشهير بأبي يعلى الزواوي، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ولد سنة (1866م)، وتوفي سنة (1952م)، من مؤلفاته: الإسلام الصحيح، جماعة المسلمين، تاريخ الزواوة. محمد الصالح الصديق، شخصيات ومواقف، [الجزائر، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992م]، ص309-312.

حيث كناه بأبي عيسى في قوله: " قد كلفني الأستاذ المرحوم الشيخ طاهر السمعوني **أبو عيسى** ثم الدمشقي الشامي الشهير أن أجمل له بعض القواعد للخطاب وبعض الأصول..."[1].

المطلب الثاني: مولده

ولد الشيخ طاهر ليلة الأربعاء 20 ربيع الثاني سنة (1268هـ)، وهو التاريخ الذي ذكره أغلب من ترجم له، إلا أن منهم من ذكر تاريخا آخر وهو سنة (1264هـ)[2]، ومع اتفاق أصحاب التاريخ الأول على تحديد السنة الهجرية نجد أنهم اختلفوا في موافقتها بالسنة الميلادية، حيث ذكر أغلبهم أنها توافق سنة (1852م)، بينما جاء في بعض التراجم أنها موافقة لسنة (1851م)[3]، وذكر بعض الباحثين[4] أنه ولد سنة (1856م)، وقد ذهب الأستاذ علي النجاري إلى أن الشيخ طاهر قد ولد سنة (1851م) على الراجح [5]، وذلك بناءا على مراسلات تمت بين والده: رسول النجاري، وبين الشيخ طاهر أيام شبابهما، ويمكننا ترجيح تاريخ ولادة الشيخ طاهر؛ بل وتأكيده بما لا يدع مجالا للشك بأنه التاريخ الذي أثبتُّه أولا وهو سنة (1268م)، وهذا الجزم بناءا على كلام دوَّنه والده الشيخ صالح السمعوني على ظهر متن المجموع للأمير المالكي لما تناهي إلى مسامعه خبر ولادة ابنه الطاهر، فكتب يوثق ويؤرخ لولادته، وقد نسخ الشيخ طاهر نفسه هذا الكلام ونقله في مذكراته التي لا تزال مخطوطة وهذا نصه:

" صورة ماكتبه والدي العلامة صالح الجزائري على ظهر متن المجموع للأمير المالكي
الحمد لله. جاءنا الولد السعيد الصالح إن شاء الله تعالى ليلة الأربعاء المتممة عشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وستين ومائتين وألف، وسماه شيخنا الشيخ المهدي حفظه الله تعالى الطاهر، طهره الله

---

[1] أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، ص119.

[2] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، 1951م]، ج1، ص 432، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص11.

[3] رزق الله شيخو، تاريخ الآداب العربية، [لبنان: بيروت، ط3، دار المشرق ، د.ت]، ص402، وقدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى، [لبنان: بيروت، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1994م]، ص52، وهاني المبارك، "الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام "، [مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول 2007م]، ص16.

[4] محمد برج، محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م]، ص10.

[5] علي حيدر النجاري، "الشيخ طاهر مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته "، [مجلة مجمع اللغة العربية، صفر 1400هـ- كانون الثاني 1980م]، مجلد 55، جزء 4، ص887.

من رجس دنياه و دينه وبارك في عمره ورزقه العلم والعمل به بجاه سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه"[1].

وعليه فقد تبين لنا تاريخ ميلاد الشيخ طاهر بدقة، وأما ما ذكرت من خلاف في موافقة التاريخ الهجري للميلادي فهو في حقيقة الأمر ليس بخلاف جوهري ، ذلك أن التاريخ الميلادي كثيرا ما يوافق أكثر من عام هجري وهو ما وقع في تاريخ ميلاد الشيخ.

وأما عن مكان ولادته فإن الشيخ طاهرا ولد بدمشق بعد سنوات أربع من هجرة والده الشيخ صالح بن أحمد من الجزائر سنة (1264هـ).

المطلب الثالث: أسرته

بالرجوع إلى مختلف المصادر والمراجع التي تناولت حياة الشيخ طاهر الجزائري، نلاحظ أنها لم تذكر إلا شيئا يسيرا عن أسرته، غير أن التدقيق في هذه المعلومات يؤكد لنا أن الشيخ طاهر من بيت علم وشرف ودين، فنسب أسرته يمتد إلى البيت النبوي كما سبق وأن أشرنا إليه في حديثنا عن نسبه، ومما يؤكد أن الشيخ من بيت علم أن "أحمد حسين" جد الشيخ طاهر كان له معهد أو زاوية في أعالي واد بني وغليس الواقعة في بجاية شرقي الجزائر، وسواء كانت هذه الزاوية ملكا لجد الشيخ وقفها على طلبة العلم وحفظة كتاب الله، أو كانت تحمل اسمه لا غير، فهذا يدل على أن جده الحاج أحمد حسين كان صاحب علم وفضل وصلاح، وما كانت هذه الزاوية لتحمل اسمه لولا اعتقاد الناس ولايته وصلاحه حيث كان يلقب "سيدي الحاج أحمد حسين".

وأما والد الشيخ طاهر فله الذكر المحمود و المقام المشهود، فهو عالم ذائع الصيت في زمانه، وستأتي ترجمته عند ذكر شيوخ ولده.

وبالنسبة لأم الشيخ طاهر فلم أجد لها ذكرا سوى ما وقفت عليه من كلام لكرد علي وهو يتحدث عن عادات الشيخ وعدم اهتمامه بمظهره وملبسه حيث يقول أنه: " أصيب بهذه الخلة خصوصا بعد أن فقد والدته في صباه ولم يبق له من رحمة امرأة تتعهده أبدا بنظافة ثيابه والعناية بظواهره. وأنى له هو أن يسد مسد أمه في ذلك، وفكره مشغول بمطالب عالية أخرى، قد لا يتسع

---

[1] طاهر الجزائري، مخطوطة مذكرات الشيخ طاهر الجزائري، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، رقم: (11481).

لمثل هذه الجزئيات في رأيه" [1]، فهذا الكلام يفيدنا أن الشيخ طاهر شب دون أم، ومع فقده لها وحاجته إلى من يقوم بأموره ويدبر شؤونه فإنه لم يتزوج ولم يخلف عقبا.

كذلك من أهم أفراد أسرة الشيخ طاهر الذين برزوا: ابن أخيه سليم الجزائري الذي كان يعد من المفكرين النوابغ، فقد ولد سنة (1296هـ-1879هـ) في دمشق، وتعلم في المدرسة الحربية ومدرسة الهندسة البرية في الأستانة، وبلغ رتبة " قائم مقام أركان الحرب" في الجيش العثماني، وألف كتابا في المنطق باسم "ميزان الحق" خرج به عن الطريقة القديمة، واخترع بركارا لطيفا يحمل في الجيب لرسم الخطوط المستقيمة والمتوازية والدوائر وغيرها، وأحسن من اللغات: العربية و التركية والفارسية، ونصب أستاذا في المدرسة الحربية بالأستانة، وهو من مؤسسي جمعية "فتيان العرب" و "الجمعية القحطانية" و "جمعية العهد"، وقد حكم عليه بالموت، ونفذ فيه الحكم شنقا في بيروت سنة (1334هـ-1916م) بعد مجاهرته بآرائه الحرة، وطلب مساواة العرب بالترك في الحقوق [2].

وقد كان للشيخ طاهر عدد من الإخوة و أبناء الإخوة عدا سليم الجزائري، لكن لم أقف على أسمائهم ولم أعثر على تراجم لهم في ما وقع تحت يدي من مصادر ومراجع، باستثناء اثنين من أبناء إخوته، الأول منهما جاء ذكره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق باسم: "إبراهيم بك الجزائري"، وهو الذي قام بإهداء المجمع كتاب التذكرة الطاهرية للشيخ طاهر الجزائري [3]، وفي صنيعه هذا دليل على عنايته بتراث عمه، ورغبته في حفظه، والآخر ورد ذكره على سبيل الذم في كتاب كنوز الأجداد حيث جاء فيه: " تحقق لدى الشيخ أن ابن أخيه، وكان من نوابغ الشبان، ابتلي بآخرة بالشراب يتعاطاه، فقطع مكاتبته مع شدة حبه له، وظل لا يكلمه و لا يبحث عنه مدة اثنتي عشرة سنة، وهو يكتم السبب في إعراضه عن نجل شقيقه، حتى أشار مرة إلي بما يرتكبه المغضوب عليه من أخذ المسكر، وعد عليه من جملة هناته أنه أتعب نفسه في المدرسة زيادة عن المطلوب فضعف بصره حتى ينال رتبة علية، وكان عليه لو سمع نصائح عمه أن لا يرهق نفسه ويكتفي من المنافسة مع أقرانه بما توصله إليه الطبيعة، بدون إعنات ولا إنهاك بدن..." [4]، وهذا الكلام مع كشفه لطبيعة العلاقة

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص20.

[2] الزركلي، الأعلام، ج3، ص120.

[3] عبد القادر المغربي، "الظاهر من آثار الشيخ طاهر "، [مجلة مجمع اللغة العربية، السنة الثالثة، كانون الثاني 1923م-جمادى الثانية 1341هـ]، مجلد 3، جزء 6، ص171.

[4] محمد كرد، المرجع السابق، ص25.

الأسرية بين الشيخ طاهر وابن أخيه إلا أنه يبين اجتهاد هذا الأخير في تحصيل العلوم و المعارف، واجتهاده في منافسة أقرانه، وبالجملة فأسرة الشيخ لها صيت واسع في العلم والمعرفة.

المطلب الرابع: صفاته و أخلاقه

الفرع الأول: صفاته الخِلْقِيّة

كان الشيخ طاهر حسن الطلعة، معتدل القامة، حنطي اللون، أسود الشعر والعينين، يضع عليهما منذ أربعين سنة نظارتين صغيرتين من الزجاج الأبيض يربطهما شريط معدني دقيق، طلق الوجه، له لحية كثة تبدو في سوادها من بعيد كأنها هلال أسود يحنو على وجه وضاء، حاذقا، شديد الذكاء و الدهاء، دامغ الحجة، فصيح اللسان، قوي الذاكرة، واسع الإطلاع، عصبي المزاج، دؤوب الحركة، واسع الخطوة إذا مشى، حبب إليه المشي فتراه يقطع الأمتار متنقلا بين المدن والقرى والجبال لا يمل و لا يكل، ورفيقه في أغلب أيام السنة مظلة تقيه حر الشمس في الصيف، والبلل في الشتاء، وهي سلاحه إذا جن عليه الليل[1].

الفرع الثاني: صفاته الخُلُقِيّة

تحلى الشيخ طاهر بأخلاق العلماء الربانيين حتى كان مضرب المثل في الجد والاجتهاد، والصبر، وصلابة العزيمة، ورباطة الجأش، والقوة في الحق، كما أنه عرف بجملة من الصفات التي ميزته عن غيره؛ لكونه انفرد في كثير منها عن سائر معاصريه، بل وشذ في العديد منها وخرج عن مألوف عصره و عادات زمانه، وبالتأمل في سيرة حياته نجد أن أهم ما تميز به ما يلي:

1. الزهد: عرف الشيخ بالزهد في المأكل و الملبس وفي كثير من الأمور الدنيوية التي كان يتعلق الناس بها، فقد كانت المناصب تعرض عليه في دمشق ومصر فيأباها على حاجته وفاقته، خصوصا في آخر أيامه حيث كان يعيش على بيع كتبه التي أفنى عمره في جمعها، وأما هيئته فكانت هيئة العوام، فعمامته من الأغباني قد لفت على رأسه دون نظام، وكان يرتدي جبة بسيطة، وقفطان قطن، وزنار مزدوج يخبأ فيه بعض الدراهم، لا يأبه بمظهره هذا ولا يهتم لاتساقه أو نظافته، كما أنه زهد في الزواج رغبة عنه إلى العلم[2].

---

[1] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري...، ص95. الحافظ، وأباظة، تاريخ علماء دمشق...، ج1، ص376.

[2] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص12، 19.

2. العبادة والتدين القوي: كان الشيخ محافظا على شعائر الإسلام، لاسيما الصلاة التي كان يؤديها أينما أدركه وقتها، من ذلك أنه زار مرة معرضا في باريس فكان يصلي في الحديقة العامة غير آبه بمن ينظر إليه من الناس، كما أنه وبالرغم من فقره أدى فريضة الحج[1].

3. الصبر: امتاز الشيخ بقوة صبره وعظيم همته، فمن خلال التدقيق في سيرته ومختلف مراحل حياته يتبين لنا مدى صبره الذي من صوره: الصبر على متاعب الحياة وشظف العيش، والصبر على مر التعلم في بداية طلبه، والصبر على مشاق الدعوة وبث أفكاره، فقد كان الشيخ يحتمل كثيرا من أذى وتجهم بعض المتعلمين وأصحاب الفرق المنحرفة، إلا أن صبره هذا كثيرا ما كلل بالنجاح، إذ استطاع ترويض الكثير منهم وإعادة المنحرفين منهم إلى جادة الصواب.

4. التواضع: كان الشيخ على قدر كبير من التواضع، حيث كان يؤثر الخمول وعدم الظهور، لا تهمه الشهرة استفاضت أو لم تستفض، ومع هذا فقد كانت شهرته تلحقه من غير أن يرضى أو يشاء، ومما يؤكد لنا تواضعه أنه كان يرفق بالضعفاء، ويرفع من قدر الصعاليك، ويجالس العامة من الناس وغرضه في ذلك إصلاحهم و إرشادهم إلى طريق الهداية، ويقول أن من الحكمة أن لا تجعلوا بينكم وبين العامة حجابا كثيفا إذا أحببتم هدايتهم والانتفاع بهم، بل يذهب إلى أكثر من هذا عندما يوصي بإقناع العامة بعدم وجود فرق كبير بينهم وبين العلماء، وأنهم على وشك اللحاق بهم، بل وتجاوزهم إذا اشتغلوا قليلا[2].

5. الشعور بالآخرين : كان الشيخ مفطورا على الرحمة يأرق لغيره وينزعج لحاله إذا علم أنه أصيب ببائقة في ماله أو أهله أو جاهه، وكان على فقره وقلة ذات يده يتصدق على الفقراء والمحتاجين بل ويؤثرهم على نفسه، ومما يبين لنا الحس المرهف الذي كان يتمتع به الشيخ، ماحكاه لنا تلميذه المقرب كرد علي حيث قال: "أراد الشيخ أحد أصحابه في القاهرة خلال الحرب العامة على أن يغير جبته لأنها بليت أحد أطرافها فسكت الشيخ عن إجابته ، فلما ألح عليه مرتين وثلاثا أجابه "يا فلان تريدني على اقتناء جبة جديدة و أهل الشام يموتون من الجوع"[3].

6. العفة وعزة النفس: كان الشيخ عف النفس يستنكف أن يمد يده إلى غيره أو يستعطف أحدهم، أو أن يأخذ شيئا بلا مقابل مهما كان الواهب، وقد بلغ من إعجاب تلميذه محمد كرد به

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص12، 13.
[2] المرجع نفسه، ص25.
[3] المرجع نفسه، ص13، 20.

أن قال: "لا أكون إلى المبالغة إذا قلت أن عزة النفس وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا، كان مما تفرد به، ففيه إباء الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين" [1]، ومما يبين لنا عفة الشيخ و عزة نفسه رفضه عرض صديقه أحمد زكي باشا [2] تأمين راتب له من الأوقاف المصرية، حتى قال عنه:"لو كنت أعتقد أن رجلا يعيش من تحت السجادة لاعتقدت ذلك في الشيخ طاهر، لأنه يقيم في بلد كمصر يشكو فيه الأغنياء من الغلاء، ولا يحب أن يأخذ شيئا يستعين به في حياته" [3]، ولهذا كان الشيخ يرى أن يتعلم كل طالب علم حرفة إلى جانب العلم حتى ينشأ على الاستقلال ولا يضطر إلى التكسب بعلمه عند السلاطين و الحكومات، وكثيرا ما كان الشيخ ينشد قصيدة القاضي علي بن عبد العزيز[4] التي منها:

يقولـون لي فيك انقبـاض و إنمــا   رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم   ومن أكرمته عـزة النفـس أكـرما
ولم أقض حق العلـم إن كـان كلمـا   بــدا طمـع صيرتــه لي سلمــا
ولو أن أهـل العلم صـانوه صـانهم   ولــو عظمــوه في النفـوس لعظما
ولـكــن أهــانــوه فهــان ودنســوا   محيــاه بالأطمــاع حــتى تجهما[5]

7. قوته في الحق: كان الشيخ إذا رأى من أحدهم تمويها في أمر ما، أو قولا بغير علم، جبهه وخرج عن عادة الناس في اللين واللطف، ولا يفرق في ذلك بين القريب والبعيد ولا الصديق والعدو، وهو ما سبب انزواء كثير من الناس عنه، وقد حصل أن ارتقى أحد أترابه في الوظائف حتى صار الحاكم المتحكم في العهد الحميدي فقاطعه الشيخ رغم كل محاولات التوفيق بينهما، قائلا للساعي في الإصلاح بينهما أن يكتب إليه بأنه لا يتعرف إليه مادام لا يعرف أمته، ومتى فكر في إسعادها وتخفيف البلاء عنها عادت الأخوة والصداقة إلى سابق عهدها[6].

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص13.

[2] هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، أديب بحاثة مصري، ولد بالإسكندرية عام (1284هـ-1867م)، وتوفي بالقاهرة سنة (1353هـ-1934م)، له من المؤلفات: موسوعة العلوم العربية، وغيرها. الزركلي، الأعلام، ج1، ص126-127.

[3] محمد كرد، المرجع السابق، ص13.

[4] هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، قاض ، من العلماء بالأدب، له شعر حسن، ولد بجرجان وولي القضاء، وتوفي بنيسابور سنة (392هـ-1002م)، من مؤلفاته: تفسير القرآن، تهذيب التاريخ، الزركلي، الأعلام، ج4، ص300.

[5] محمد كرد، المرجع السابق، ص13. وانظر هذه الأبيات، علي بن عبدالعزيز الجرجاني، ديوان القاضي الجرجاني، جمع وتحقيق: سميح صالح، إشراف: إبراهيم صالح، [سوريا، دمشق، ط1، دار البشائر، 1424هـ-2003م]، ص127.

[6] محمد كرد، المرجع السابق، ص18.

8. الجدية والانضباط: كان الشيخ جادا لا يبالي بالعوائق مهما عظمت، وكلما حاول أعداؤه ثنيه عن دعوته زاد نشاطه و قويت همته، وقد ألغت الحكومة وظيفة التفتيش بالمدارس خوفا من شدته في بث أفكاره بين الأساتذة و التلاميذ فزاد نشاطه أكثر، كما أنه لا يحب تأخير الأعمال عن وقتها، ويستشيط غضبا ممن يفعل ذلك، وكان من عادته المسارعة إلى الإجابة عن الكتب التي ترده في الحال دون تماطل أو تأجيل[1].

9. المحافظة على الوقت: بلغ من حرصه على وقته أنه كان يختار من القمصان والسراويل ما خف ثمنه ليطرحه إذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله وتضييع وقته، وكثيرا ما يلبس زوجين من السراويل وقفطانين، وصدريتين وجبتين ليكون على أتم الاستعداد لما يطرأ على أحد الزوجين فيرميه ويستعيض عنه بأخيه، وينتأ المسمار أو المسامير من حذائه فيخصف من ورق الشجر ليجعله في حذائه ولا يذهب إلى الإسكافي حتى يصلحه له، فإذا قيل له في ذلك تعلل بعدم مساعدة الوقت، وكان يطبخ من القهوة ما يكفيه أسبوعا كاملا، فيشربها باردة حتى لا يذهب وقته بتكرير طبخها في كل مرة وتشغله عن مطالعته[2].

10. حبه الشديد للعلم: لقد بلغ من حرص الشيخ على العلم و تعلقه به أنه كان يحمل في جيوبه بعض الدفاتر و الرسائل بل أقلاما ودواة، حتى لا يترك شاردة ولا واردة تمضي دون تقييد أينما حل أو ارتحل، وكان من عادته في الأربعين سنة الأخيرة من عمره ألا ينام إلا بعد صلاة الصبح، يمضي الليل مابين المذاكرة مع أصحابه والمطالعة و التأليف، ومما يؤكد لنا التعلق الشديد للشيخ طاهر بالعلم ماجاء في بعض أخباره أن أصحابا له احتالوا عليه حتى اشترى جبة جديدة، وأخفوا عنه القديمة فاضطر إلى لبس الجديدة ثم أخذوه إلى مجلس في قصر الأمير عمر الجزائري [3]، وقد اجتمع فيه كبار العلماء في ذلك العصر، فإذا بالشيخ ينزع تلك الجبة ويغمسها في بركة ماء لتنكمش، ثم استخرجها وقام بنشرها لتجف ويلبسها منكمشة، فلما قيل له في ذلك أجاب بقوله: كانت جديدة شغلتني بالخوف عليها عن العلم، فالآن استرحت من التفكير فيها[4].

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص12، 19.

[2] المرجع نفسه، ص19، 21.

[3] هو عمر بن الأمير عبد القادر الجزائري، أمير مجاهد من شهداء الحركة القومية في بلاد الشام، ولد في دمشق سنة (1283هـ-1866م)، أعدم شنقا سنة (1866هـ-1916م). عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، [لبنان: بيروت، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، 1400هـ-1980م]، ص10.

[4] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، [السعودية: جدة، ط1، دار المنارة، 1418هـ-1998م]،ج2 ، ص131.

11. المزاح والدعابة: على الرغم من طابع الجد الذي غلب على الشيخ إلا أنه كان يخرج عنه إلى المزاح و الفكاهة، حيث لا يخلو حديثه من مداعبة وظرف فهو يعشق النكتة الأدبية يلقيها فيضحك لها قلب الحزين، أو يسمعها تلقى فينبسط لها، كما أنه كان يميل إلى بعض من فيهم البلاهة ممزوجة بالذكاء وتصدر عنهم غرائب الأفكار والتصورات، فكان يتتبع أخبارهم و يستقصي أحوالهم ليقضي في بعض الأحيان بينهم أياما يخرج فيها عن الجد إلى التسلية والتندر، فالشيخ كان مغرما بالغرائب [1].

12. حسن المنطق : مع أن الشيخ كان فيه حدة ظاهرة في طبعه إلا أنه لم يعرف الهجر، ولم يشتم شتما ينبو عن حد الأدب، وكانت له عبارة فصيحة لاسيما إذا صفا ذهنه و إلا اعتراها شيء من اللكنة المغربية ممزوجة بالعامية الدمشقية، ولم ينطق بكلمة مصرية واحدة مع طول مكثه في مصر، كما كانت له عبارات جميلة تحلو من فيه و أساليب خاصة في مصطلحاته.

13. الحنكة والفراسة: كان الشيخ صاحب فراسة لا تخطئ، فكثيرا ما تفرس في أناس الشر فأظهرت الأيام صدق فراسته، ولما نشر القانون الأساسي في الدولة العثمانية سنة 1908م، وفرح الناس به و استبشروا، أدرك الشيخ بذكائه و فراسته أن عهد الحرية بعيد المنال، وما هذا الانقلاب الخلاب إلا انتقال من نير استبداد الفرد إلى نير استبداد الجماعة، ونأى بنفسه في داره بين دفاتره وكتبه بمصر رافضا دعوات الرجوع إلى دمشق[2].

وبالجملة فالشيخ كانت له شخصية متميزة، فريدة في كثير من الطباع والعادات، وحملت بين جنباتها إن صح التعبير عددا من الغرائب والمتناقضات.

المطلب الخامس: وفاته

كانت حياة الشيخ طاهر الجزائري تسير على وتيرة واحدة في جميع مراحلها، فهو الذي رسم لنفسه منهجا يسير عليه و لم يحد عنه قيد أنملة رغم كل بنيات الطريق التي صادفته، ولولا إيمانه العميق بمبادئه وصدقه في دعوته لأطاحت به تلك العراقيل و الملمات، وهو الذي من أجل مبادئه و فرارا بدينه آثر مغادرة الأوطان ومفارقة الأهل والخلان، ليستقر في مصر التي كان آخر عهده بها يوم أن فارقها شيخا كبيرا قد هدت السنون جسمه، و أخذ مرض الربو ينخر جسده؛ فارقها عائدا إلى دمشق سنة 1919م ولم يكن بذي مقدرة على العودة إليها قبل هذا الوقت، بسبب نوبات الربو

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص23، وعدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري...، ص96، 97.

[2] الحافظ وأباظة، تاريخ علماء دمشق...، ص372-373.

الحادة التي كانت تنتابه من حين لآخر، وكان من أمره بعد الرجوع والاستقرار في دمشق أن زادت حالته الصحية سوءا وتفاقم مرضه واشتد ألمه، حتى طلب من طبيبه أن يصف له دواءا يميته حالا قائلا أن في الشرع ما يبيح ذلك، وهذا من أعجب ما حصل من الشيخ، وكان مما أثر عنه وهو على فراش الموت قوله: "عدوا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ، لتستفيد الأمة منهم، ولاتنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم"[1]، ثم مالبث أن توفي بعد ذلك.

وقد أجمعت مصادر ترجمته على أنه توفي يوم الإثنين 14 ربيع الثاني 1338هـ الموافق ل 5 كانون الثاني 1920م عن سبعين عاما، و شيعه عدد كبير من الفضلاء و العلماء [2]، ودفن في مقبرة ذي الكفل بسفح جبل قاسيون[3] حسب وصيته.

فجعت الأمة بفقده ورثاه أهل العلم والفضل، وقد نعاه تلميذه كرد علي بقوله: "فجع مجمعنا العلمي لأول نشأته بعضو عظيم من أعضائه ومفخر من مفاخر هذا الشرق العربي وإمام نابغة بعلوم الدين والدنيا أستاذنا وحامل لواء المعارف في ديارنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ... فعظم نعيه في أندية العلم و الأدب واضطرب تلامذته ومريدوه و أحبابه وعارفو فضائله بخطبه الجلل يبكون ويرثون من كان الحركة الدائمة في بث المدنية والعلم الصحيح ... " [4]، وكان مما قاله صديقه أحمد زكي باشا في برقية أبرقها إلى الشام معزيا: "كنت أرى فيه الأثر الباقي، والمثال الحي، و الصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية، في كل المعارف الإسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وإبراز مفاخرها، هذا إلى التفاني في توسيع نطاقها بقبول ما تجدد عند الأمم التي تلقت تراث الغرب باليمين والدعوة إلى الإقبال عليه مضموما إلى آثار الأبناء، ومآثر الأجداد..."[5]، وهذا الكلام يبرز قيمة الشيخ وحجم الفراغ الذي خلفه بموته.

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص25.

[2] منهم علي الطنطاوي الذي يقول متأسفا على عدم لقا ئه به في حياته : "... وأن كل حظي من قربه أني شيعت – رحمه الله – جنازته ". الطنطاوي، رجال من التاريخ، ج2 ، ص127.

[3] هو الجبل المشرف على مدينة دمشق من جهتيها الشمالية والغربية، ويعرف اختصارا بالجبل، وبجبل دير مران نسبة للدير الذي كان في طرفه الغربي، وبجبل الصالحية، نسبة لقرية الصالحية قبل أن تتحول إلى منطقة من مناطق دمشق . قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1999م]، ج1، ص138.

[4] محمد كرد، "الشيخ طاهر الجزائري"، [مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، كانون الثاني 1921م-ربيع الثاني 1339هـ]، مجلد1، جزء1، ص17.

[5] محمد كرد، المرجع السابق، ص11- 12.

المبحث الثالث: حياته العلمية

لقد حمل الشيخ طاهر لواء الإصلاح في بلاد الشام، وانتهج طريق العلم والدعوة لإرجاع الأمة إلى الطريق الذي حادت عنه، فجاءت حياته العلمية حافلة بالأحداث والنشاطات العلمية، وسأتطرق فيما يلي إلى أهم ما يتعلق بالجانب العلمي من حياته كطلبه العلم وثقافته، وشيوخه وتلاميذه، وأقرانه ورحلاته، وأعماله ومؤلفاته، ومذهبه الفقهي وعقيدته، ومكانته وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: طلبه العلم و ثقافته

نشأ الشيخ طاهر كما أسلفنا في بيت له عناية بالعلم، وهو ما أسهم بشكل كبير في توجهه العلمي وتعلقه به و السعي وراء تحصيله و الاغتراف من نبعه منذ نعومة أظفاره، وإذا ما عدنا إلى حياة الطفولة للشيخ فإننا نجدها مليئة بالعزم و النشاط، حاكى فيها الشيخ علماء السلف الأولين و أعاد إلى الأذهان صور الأقدمين في سعيهم الحثيث لإحراز أنواع المعارف و الفنون.

كانت بداية تحصيل الشيخ طاهر للعلم على يد والده الشيخ صالح الذي كان يعد من أكابر علماء دمشق، فهو الذي لم يدخر جهدا في تعليم ابنه وتلقينه مبادئ العلوم و أنواع الأخلاق، ولاشك أن الشيخ طاهر قد أخذ عنه الكثير وتأثر به، ولم توافنا كتب التراجم بالشيء الكثير عن علاقة الوالد بولده ولا عن أخذ الشيخ طاهر عن والده على وجه التفصيل، وبما أن والده كان عالما بالقراءات وعلوم القرآن فلا يستبعد أن يكون هذا العلم مما استفاده الابن من أبيه، كما أن الشيخ صالح كان له اهتمام بعلمي الفلك والتاريخ وهو ما قد يكون استفاده منه ابنه الطاهر، وهذا غاية ما بلغ إليه بحثي وأدركه اطلاعي، وكان من حرص والده عليه توجيهه إلى الاستفادة من كبار علماء عصره كالشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني، الذي لازمه الشيخ طاهر ملازمة شديدة مكنته من الاستفادة منه حتى وافته المنية، وإلى جانب الدراسة على طريقة القدامى المتمثلة في مجالسة العلماء في المساجد وحلق الذكر، فإن الشيخ طاهر زاول التعليم الحكومي، فالتحق بمدرسة رشدية ابتدائية ثم بالمدرسة الجقمقية[1] الإعدادية؛ أين تعلم على يد الشيخ عبد الرحمان البوشناقي وتخرج عليه.

[1] المدرسة الجقمقية: مدرسة قديمة تقع في الجانب الأيمن من الجامع الأموي، أسسها سنجر الهلالي وابنه شمس الدين الصائغ، وأتم بنائها بعد ذلك سيف الدين جقمق بعد توليه نِيَابَة دمشق سنة(822هـ)، وذلك لاحتراقها في فتنة تيمورلنك وإليه تنسب، وفي سنة (1975م) صيرت متحفا للخط العربي، عبد القادر بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تح قيق: زهير الشاويش، [لبنان: بيروت، ط2، المكتب الإسلامي، 1985م]، ص160، وقتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج2، ص 176.

جمع الشيخ طاهر بين العلوم النقلية والعقلية، فإلى جانب أخذه لمختلف فنون الشريعة من فقه وأصول وعقيدة وتفسير ولغة وبلاغة نجد أنه لم يغفل عن تحصيل الكثير من العلوم العصرية كالرياضيات والهندسة والفيزياء، حيث أخذها عن بعض ضباط الجيش العثماني كما درس العلوم الفلكية والتاريخية وغيرها، مع تعلمه لعدد من اللغات كالفرنسية التي أجادها وتكلم بها والفارسية التي كان ينظم بها كما ينظم بالعربية، والتركية والعبرية والسريانية والحبشية والأمازيغية لغة أهله الأصلية، فما بلغ الثلاثين من عمره حتى أخذ منها بحظ كبير، ولم يكتف بهذا القدر من المعارف؛ بل راح يتعلم مختلف الخطوط القديمة ليسهل عليه مطالعة الآثار والمخطوطات القديمة، فتعلم الخط الكوفي والمشجر والعبراني وغيرها[1].

كان للشيخ طاهر ثقافة واسعة واطلاع كبير وإلمام جيد بقضايا ومشاكل واقعه المعاش، فله اهتمام بالسياسة وصلات بكبار رجالاتها، وعلم بحالة الغرب وعلومه وعلاقته بالشرق، وهكذا ما فتئ الشيخ يطلب مختلف العلوم بنهم كبير وشغف مثير حتى صار مضرب الأمثال في كثرة الجمع وقوة العلم، حيث ظفر من كل علم بنصيب و اجتمع له منه ما قل أن يجتمع لغيره، ولا أجد في هذا المقام وصفا لسعة ما حواه صدر الشيخ من أنواع المعارف أبلغ من وصف تلميذه كرد علي الذي قال: "رأينا منهاج الدروس الواسع الذي أخذ الشيخ نفسه بدراسته منذ حداثته، وإنه لينذر في المتأخرين من علماء دور الانحطاط الفكري نبوغ رجل مثله، وعى صدره من ضروب المعارف ما وعى، و طبق مفاصل الشريعة مع علوم المدنية، فقد كان متضلعا من علوم الشريعة وتاريخ الملل والنحل، منقطع القرين في تاريخ العرب والإسلام وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميهم...وكان إماما في علوم الأدب واللغة...وهكذا هو في علوم الشريعة ولا سيما التفسير والحديث والأصول، وكان يعرف السياسة وما ينبغي لها وحالة الغرب واجتماعه، والشرق وأممه وأمراضه..."[2].

وباستقراء سيرة الشيخ طاهر نجد أن هناك عددا من العوامل التي أسهمت في تكوينه العلمي وتنوع ثقافته أذكر منها مايلي:

[1] الحافظ، وأباظة، تاريخ علماء دمشق، ص367.

[2] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص7-8.

1- البيئة الصالحة، وأقصد بها التنشئة الصالحة والتربية القويمة التي خصه بها والده منذ صغره، فالظاهر أن الشيخ كان مميزا بين إخوته، ماجعل والده يركز عليه وربما خصه من العلم والرعاية ما لم يخص به بقية إخوته، بدليل أن الشيخ كان له عدد من الإخوة لم يُعلم أن أحدا منهم اشتهر وحصل له من العلم و الشهرة ما حصل له.

2- علو همته وسمو نفسه، حيث أن الشيخ أولع منذ صباه بالمطالعة وجمع الكتب التي كان يشتريها بمدخرات يوفرها من مال يعطيه له والده وهو في المدرسة الابتدائية لم يتجاوز سن السابعة من عمره، فاجتمع له منها على مر الزمان خزانة تقدر بآلاف الكتب والأسفار، ولا تخفى أهمية طلب العلم في الصغر فهي كالنقش على الحجر.

3- تفرغه التام لطلب العلم وحرصه الشديد على الوقت، وهذا من أهم العوامل التي ساعدته على التحصيل العلمي، فالشيخ بطبعه يحب التحرر ويأبى القيود مهما كان نوعها وهو ما أفاده في التنقل والسفر و مجالسة العلماء وقت شاء لانعدام أي مسؤولية تقيده أو تحول بينه وبين العلم، خصوصا إذا علمنا أنه لم يتزوج.

4- طبيعة شخصية شيوخه المتفتحة، فشيخه البوشناقي كان متضلعا في مختلف اللغات والعلوم، وأما شيخه عبد الغني الغنيمي فلم يكن بالجامد ولا المقلد؛ بل كان يحارب الجمود و التقليد وهو ما انعكس على شخصية الشيخ طاهر وأثر في توجهه الفكري.

5- براعته في اللغة العربية و إتقانه لأصولها وفروعها، وهو ما أسهم في ضبطه لمختلف العلوم واتساع مجال إدراكه وفهمه لاسيما لكتب التراث القديمة المتميزة ببلاغتها ودقة اصطلاحاتها ومعانيها.

6- مرونته واحتكاكه بالمستشرقين على اختلاف أجناسهم وأديانهم، ومخالطته لمختلف الشرائح و الفئات على اختلاف عقائدهم وأفكارهم، وهو ما كان له الأثر الواضح في تنوع ثقافته.

7 إتقانه للغة الفرنسية، واطلاعه على المطبوعات الأجنبية، وزياراته المتعددة لعدد من البلاد الأوروبية، كل هذا أسهم بشكل واضح في انفتاحه على الغرب وعلومه.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

الفرع الأول: شيوخه

أدرك الشيخ طاهر منذ نعومة أظفاره حقيقة كون العلماء ورثة الأنبياء، ووقف على أثر المشافهة والتلقي المباشر في تحصيل مختلف المعارف والفنون، فسار على درب الأولين ومشى على سنة الأقدمين في أخذ العلم عن أهله، فكان من شيوخه الذين لازمهم وانتفع بعلمهم:

1. والده الشيخ صالح الجزائري

هو صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم، ولد سنة 1240هـ[1] في وغليس[2] الواقعة في ولاية بجاية شرقي الجزائر، وأخذ العلم عن كبرائها وعلمائها، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هاجر مع قرابة 500 عائلة إلى دمشق الشام سنة 1264هـ[3] برئاسة الشيخ محمد المهدي السكلاوي[4]، فلازم مجالس علمائها واجتهد في تحصيل العلوم حتى بان فضله وعرف علمه، فشغل منصب مفتي المالكية بدمشق، وكلف بإعادة درس صحيح البخاري للشيخ أحمد مسلم الكزبري[5] تحت قبة النسر في الجامع الأموي في الأشهر الثلاثة: رجب، شعبان، رمضان، وهذا يدل على فضله ومكانته العلمية؛ ذلك أن هذه الوظيفة في زمانه لا يتولاها إلا العلماء الفحول "حيث اشتهر بين العام والخاص أن وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام"[6]، وقد ترك الشيخ صالح العديد من المؤلفات المخطوطة وهي:

1- رسالة في علم الميقات.

2- تاريخ ألفه على طريق الرمز والإيماء والإشارة، له فيه أسلوب عجيب، انتهى فيه إلى سنة 1280هـ.

---

[1] جاء في هدية العارفين أنه ولد سنة 1230هـ. إسماعيل البغدادي، هدية العارفين...، ص378.

[2] جاء في حلية البشر أنها جزيرة من أعمال الجزائر الغربية، والصواب ما أثبتّه في المتن عبد الرزاق البيطار، حلية البشر...ص733

[3] جاء في تاريخ علماء دمشق أنها سنة 1263هـ. الحافظ وأباظة، تاريخ علماء دمشق...، ص366.

[4] هو محمد المهدي المغربي الزواوي المالكي مقدم الطريقة الخلوتية، ولد سنة (1200هـ)، وهاجر إلى دمشق سنة (1263هـ) بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتوفي سنة (1278هـ). عبد الرزاق البيطار، المرجع السابق، ص1326-1327.

[5] هو أحمد مسلم بن عبد الرحمن الكزبري، ولد سنة (1236هـ)، قرأ على الشيخ حسن البيطار وغيره، وجلس مكان أخيه الشيخ عبد الله بعد موته سنة (1265هـ) تحت قبة النسر لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر، وذلك في شهر رجب وشعبان ورمضان. المرجع نفسه، ص146، 147.

[6] محمد مطيع الحافظ، دور الحديث الشريف بدمشق، [سوريا: دمشق، ط1، دار المكتبي، 1431هـ-2010م]، ص234.

3- منظومة في الفقه وشرح لها وحاشية على الشرح.

4- رسالة في اختلاف المذاهب.

5- رسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة[1].

توفي الشيخ صالح الجزائري في دمشق سنة (1285هـ-1868م) ودفن بمقبرة الباب الصغير[2] بدمشق[3].

2. الشيخ عبدالغني الغنيمي الميداني

هو الشيخ عبدالغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني، ولد في دمشق سنة (1222هـ-1807م)، نشأ على يد والده، وقرأ القرآن، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره كالشيخ: محمد عابدين[4] وحسن البيطار[5] وعبد الرحمان الكزبري[6] وغيرهم، وقد ترك عددا من المؤلفات نذكر منها:

1. اللباب شرح الكتاب ، وهو شرح على متن القدوري في الفقه الحنفي.
2. كشف الإلتباس في قول البخاري قال بعض الناس.
3. تحفة النساك في أحكام السواك.
4. شرح العقيدة الطحاوية.
5. إسعاف المريد في إقامة فرائض الدين.

---

[1] هذا الكتاب ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ولم أجد غيره يذكره حسب اطلاعي، فلعله هو نفسه كتاب الشيخ المذكور قبله: رسالة في اختلاف المذاهب . إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت]، ج1، ص567.

[2] هذه المقبرة من أقدم وأكبر مقابر دمشق، خارج الباب الصغير، وفيها قبور كثيرة للصحابة وآل البيت والشهداء وكبار الأولياء والعلماء ومن تلاهم، وكانت بها قبور خلفاء بني أمية التي درسها القائد العباسي: عبد الله بن علي، سنة (132هـ). قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج 2، ص313.

[3] عبد الرزاق البيطار، حلية البشر...، ص733، والزركلي، الأعلام، ج3، ص189، والبغدادي، هدية العارفين...، ص378.

[4] هو محمد أمين بن عمر عابدين ، فقيه الحنفية في عصره ومفتيهم ، ولد بدمشق سنة (1198هـ-1784م)، وتوفي بها سنة (1252هـ-1836م)، من مؤلفاته: رد المحتار على الدر المختار. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص42.

[5] هو حسن بن إبراهيم الشافعي، الميداني، الشهير بالبيطار، عالم مشارك في العلوم العقلية والنقلية، ولد سنة (1206هـ)، وتوفي بدمشق سنة (1272هـ-1856م)، من آثاره: إرشاد العباد في فضل الجهاد. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص194.

[6] هو عبد الرحمن بن محمد الكزبري، ولد بدمشق سنة (1184هـ-1771م)، كان عالما بالحديث، له ثبت الكزبري، توفي بمكة سنة (1262هـ-1846م). عبد الرزاق البيطار، المرجع السابق، ج1، ص834، والزركلي، المرجع السابق، ج3، ص333.

6. سل الحسام على شاتم دين الإسلام.

توفي الشيخ عبد الغني الميداني سنة (1298هـ-1871م)، ودفن في مقبرة قبيبات[1].

3. الشيخ عبد الرحمان البوشناقي[2]

لم تسعفنا كتب التراجم بالشيء الكثير عن حياة هذا الشيخ، وجملة ما ورد فيها أنه قدم من الأستانة سنة (1277هـ)، وشغل التعليم في المدرسة الجقمقية كمعلم أول، فانتفع به الكثير من طلبة العلم، وكان صاحب عبادة وله أسلوب حسن في التعليم، توفي آخر رمضان سنة (1291هـ-1874م)، ودفن في مقبرة الباب الصغير[3].

والذي يظهر من خلال هذه المعلومات اليسيرة أن الشيخ عبد الرحمان البوشناقي كان صاحب علم وفضل، ولولا ذلك ما انتدب للتدريس في المدرسة الجقمقية قادما من الأستانة، كما أن أسلوبه الحسن في التدريس وانتفاع الطلاب به يدل على أنه ضابط متقن للعلم، فليس تسهيل العلم وتيسيره بالأمر الهين لكل من رامه، بل إنه لا يتأتى إلا لمن أحكم قواعده وأطبق على كلياته وجزئياته، وطول مكثه في دمشق ودفنه بها يعطينا دلالة قوية على تمسك أهلها به لانتفاعهم بعلمه، وبالرجوع إلى ما ذكرنا آنفا من استفادة الشيخ طاهر من شيخه عبد الرحمان البوشناقي، نجد أنه تعلم على يديه عددا من اللغات وتخرج عليه، وما هذا إلا دليل آخر على اتساع ثقافة الشيخ البوشناقي وتعدد معارفه، فهو إلى جانب إتقانه لعلوم الشريعة يجيد عددا من اللغات.

وبالنسبة لهؤلاء الشيوخ الثلاثة الذين تقدمت ترجمتهم، فقد أجمعت المصادر التي ترجمت للشيخ طاهر الجزائري على صلته بهم وملازمته لهم وأخذ العلم عنهم، ولا يعني هذا أنه لم يأخذ عن غيرهم ولم يستفد من سواهم، حيث أنه جاء في تراجم الشيخ طاهر أنه تلقى جملة من العلوم على يد بعض علماء الترك؛ لكنها لم توقفنا على أسمائهم حسب اطلاعي، ومن المعروف أن الشيخ قد

---

[1] تقع في حي الميدان الفوقاني، قرب جامع منجك الذي لايزال في حي الميدان الوسطاني، بالجزماتية على الطريق العام . قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج1، ص135/ ج2، ص316.

[2] جاء ذكره في عدد من تراجم الشيخ طاهر باسم: "عبد الرحمن البستاني"، قال أبو غدة: "تكتب هذه النسبة أحيانا: البشناقي، لذا تحرفت في "المعاصرون" إلى: البستاني" . مقدمة أبو غدة على توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري، [سوريا: حلب، ط1، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1416هـ-1995م]، ص16.

[3] محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الفكر، 1412هـ-1991م]، ج2، ص701-702.

درس بالمدرسة الجقمقية، ويستبعد أن لا يكون له أساتذة في هذه المدرسة قد تعلم على أيديهم عدا شيخه عبد الرحمان البوشناقي، وقد جاء في مقال [1] للدكتور مكي الحسني الجزائري أن الشيخ طاهر الجزائري يعد من جملة تلاميذ الأمير عبد القادر، وأنه من وجهه إلى الاستفادة من الشيخ عبد الغني الميداني، وهذا الذي قرره غير مستبعد لجملة أسباب منها:

1 - أن الأمير عبد القادر قد درّس في المدرسة الجقمقية كتاب الإتقان في علون القرآن، وكذلك الشيخ طاهر تعلم فيها، فغير مستبعد أن يكون قد حضر دروسه أو بعضا منها.

2 - أن الأمير عبد القادر كان يسكن دمشق ويدرس بالجامع الأموي، وكان المهاجرون الجزائريون يلتفون حوله، ولما توفي الأمير كان الشيخ طاهر يبلغ من العمر حوالي 32 سنة، وكلها مؤشرات تدل على ما نحن بصدد تقريره.

3 - أن الشيخ صالح بن أحمد كان يقرأ على الأمير عبد القادر ويحضر مجالسه، فلا يستبعد أنه كان يصحب ابنه الطاهر معه وهو الحريص على تعليمه وربطه بالعلماء منذ صغره.

4 - أورد البيطار أبياتا للشيخ طاهر يرثي بها الأمير عبد القادر بعد موته، وهو ما يدل على تأثره وبالغ حزنه لفقده، وهذا لا يكون في العادة إلا عن معرفة، وإعجاب لا يحصل في الغالب إلا بالمخالطة، خصوصا لمن جمعتهم الأوطان ولم تنأ بهم الديار، فكان مما قال في رثائه:

خطب جسيم عم بالأكدار ... ما بعده لسواه من مقدار
لو يعتري صم الجبال لأصبحت ... دكاً تنثو مثل نثو غبار
ولو اعترى نوع النبات لما نما ... ولصار مثل الترب والأحجار

إلى أن قال:

لو كان في الموت الفداء فداه ... كل سميدع ندب من الأحرار
لكنه أمر على كل الورى ... متحتم في سابق الأقدار

إلى آخرها[2].

---

[1] "جهود الأمير عبد القادر الجزائري في نشر علوم الحديث وبعثها مجددا " ، مؤرخ في دمشق: 8 جمادى الآخرة 1430هـ – 1 جويلية 2009.

www.djelfa.info/logo/emir_abdelkader_hadith.pdf

[2] عبد الرزاق البيطار، حلية البشر...، ص906.

وسأورد فيما يلي ترجمة للأمير باعتباره أحد شيوخ الطاهر.

4. الأمير عبد القادر الجزائري

هو عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى، يمتد نسبه إلى الحسن بن علي، أصل أسرته من المغرب الأقصى هاجرت إلى وهران، ولد الأمير سنة (1222هـ-1807م) بقرية القيطنة من أعمال معسكر غربي الجزائر، نشأ في بيت علم فحفظ القرآن في صغره، وتعلم على يد والده فقرأ عليه الفقه وغيره من العلوم، وفي سنة 1236هـ رحل إلى وهران أين أتم دراسته و تلقى مختلف العلوم وبرع فيها، وكان يحفظ أغلب صحيح البخاري، ثم في سنة 1241هـ قصد مكة حاجا رفقة والده، وكانا حريصين على الالتقاء بعلماء البلاد التي يمران عليها، فمرا بدمشق وسمعا من الشيخ عبد الرحمان الكزبري بعض صحيح البخاري و أجازهما و فيها أخذ الطريقة النقشبندية، ثم توجه إلى العراق فأخذ الطريقة القادرية على بعض علمائها.

جمع الأمير بين العلم و السيف حيث أولع منذ صغره بالفروسية، فصار عالما فاضلا، وفارسا مدربا، وأظهر بسالة و إقداما كبيرا ورباطة جأش في قتال الفرنسيين إلى جانب والده، مما جعل والده يتنازل له عن الإمارة، لتتم مبايعته أميرا سنة 1832م، فأقام الإمارة على العدل والنظام، وضرب النقود من الفضة والنحاس، وأنشأ معامل السلاح واللباس، ووضع دستورا لدولته، ونظم الجيوش على الطريقة الحديثة، وعين الوزراء والكتاب ورتب مجلسا للشورى.

بعد خوض الأمير معارك دامية مع الجيش الفرنسي، اضطر بعد سنوات عديدة إلى تسليم نفسه إلى الفرنسيين سنة (1264هـ-1847م)، فاقتيد إلى السجن بفرنسا وبعد خروجه منه اختار الاستقرار في دمشق سنة 1852م، فعرف أهلها له قدره، وذاع صيته، و انتفع به طلاب العلم، وصحبه العلماء، وكانت له مواقف نبيلة فيها، منها موقفه في الأحداث الطائفية المعروفة بحادثة الستين، حيث كان له دور كبير في إخماد نار الفتنة إلى جانب عدد من الأعيان والعلماء كالشيخ عبد الغني الغنيمي.

للأمير عدد من المؤلفات نذكر منها:

1. إجابات الأمير عبدالقادر.
2. حسام الدين لقطع شبه المرتدين.

3. رسالة في شرح سورة التكوير.
4. المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية.
5. ذكرى العاقل و تنبيه الغافل.

مرض الأمير في آخر حياته بكليته ومثانته و توفي سنة (1300هـ- 1883م)[1].

ومن شيوخ طاهر الجزائري بالإجازة:

ابن قضيب البان:

هو إبراهيم بن أحمد بن عبد الحافظ العلوي الموصلي، ولد بحلب واشتغل بعلوم الحديث، له ثبت مشهور سماه "العقد الفريد في اتصال الأسانيد" في آخره إجازة كتبها سنة 1304هـ بخط يده للشيخ طاهر الجزائري.
كانت وفاته بدمشق بعد سنة (1304هـ-1887م)[2].

الفرع الثاني : تلاميذه

كان للشيخ طاهر الجزائري تلاميذ كثر عرفوا قدره وأدركوا سعة ما حواه صدره من علوم جمة ومعارف شتى، فتحلقوا حوله ينهلون من نبع علمه المتدفق ويرتشفون من كأس حكمته وأخلاقه، فبرز أكثرهم في شتى الميادين وكان منهم العالم النحرير، والخطيب المفوه، والسياسي المحنك، والصحفي النبيه، وإذا ذهبنا نحصي عدد هؤلاء التلاميذ فلن نستطيع لهم عدا ولا حصرا وذلك لكثرتهم وعدم تقييد كتاب لهم، يقول محمد كرد: "وقل أن يوجد رجل من أدباء هذا العصر و علمائه في بلاد الشام لم يستفد من علم الأستاذ وتجاربه، إن لم يكن مباشرة فبالواسطة وتلامذته الذين انتفعوا به في شبابه فقط يعدون بالمئات" [3]؛ لأن الشيخ طاهر كان مدرسا بالمدرسة الابتدائية وهذا يعني بالضرورة كثرة طلابه، ثم إن للشيخ كما وصفه علي الطنطاوي مزية ندر أن توجد عند

---

[1] شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، [تونس، د.ط، الدار التونسية للنشر، د.ت]، ص39، 42، 56، ونزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، [سوريا: دمشق، ط 1، دار الفكر، 1414هـ-1994م]، ص9-16، 29.

[2] الزركلي، الأعلام ج1، ص30، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص4، ومحمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تحقيق: إحسان عباس، [لبنان: بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1982م]، ج2، ص872، وفيه أن ابن قضيب البان كتب الإجازة للشيخ طاهر سنة (1204هـ)، فلعله خطأ مطبعي والصواب ما أثبتّه في المتن.

[3] محمد كرد، "الشيخ طاهر الجزائري"، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد1، جزء1، ص19.

غيره "وسرا في نشأته وفي خلقه، وهو أنه كان يترك أثرا من الخير أينما حل، فكان مجلسه حيثما جلس مدرسة، ولقاؤه أينما لقيته درس: يعلمك مسألة، أو يرشدك إلى كتاب، أو يلقنك خلقا من أخلاق الخير..."[1]، فهو بهذا الوصف مدرسة متنقلة ولا ريب أن يكثر تلاميذه والمستفيدون منه.

وفيما يلي أذكر أهم من وقفت عليهم من تلاميذه، وأغلبهم ممن جاءت الإشارة إليهم في ترجمته بحضورهم لما اصطلح عليه بحلقة دمشق أو حلقة الشيخ طاهر وهم:

1 محمد كرد علي:تقدمت ترجمته، وهو يعد من أبرز تلاميذ الشيخ طاهر.

2 محب الدين الخطيب : ولد سنة (1303هـ-1886م)، نشأ على يد الشيخ طاهر منذ صغره فقد كان بالنسبة إليه بمثابة الأب الروحي خصوصا بعد موت أبيه، أسس المطبعة والمكتبة السلفية، كما شارك في تأسيس جمعية النهضة العربية، حكم عليه بالإعدام غيابيا سنة 1916م، توفي سنة (1389هـ-1969م)، من مؤلفاته: الرعيل الأول في الإسلام، و ذكرى موقعة حطين وغيرها، كما أصدر مجلة الفتح والزهراء[2].

3 محمد سعيد الباني: ولد سنة (1294هـ-1877م)، تولى منصب الإفتاء في بعض أقضية دمشق، سجن خلال الحرب العالمية الأولى وحوكم بديوان الحرب العرفي بعالية ثم نفي إلى الأناضول، وبعد عودته إلى دمشق عين مفتيا للجيش العربي، توفي سنة (1351هـ-1933م)، وله من المؤلفات: تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، عمدة التحقيق في التقليد و التلفيق، البرهان على حظر ترجمة القرآن[3].

4 رفيق العظم: ولد في دمشق سنة (1284هـ-1867م)، أقبل منذ صغره على كتب الآداب والتاريخ، وارتبط بثلة من علماء زمانه كالشيخ سليم البخاري ومترجمنا الشيخ طاهر الجزائري، فر إلى مصر وأسس حزب اللامركزية الإدارية العثماني رفقة عبد الحميد الزهراوي وترأسه، توفي سنة (1343هـ-1925م)، من مؤلفاته: أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، البيان في كيفية انتشار الأديان، الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية[4].

---

[1] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، ج2، ص128.

[2] محمد برج، محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، ص7-18، الزركلي، الأعلام، ج5، ص282.

[3] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري...، ص56-76.

[4] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، [مصر: القاهرة، ط1، مركز الحضارة العربية، 2001م]، ص97، 98.

5 عبد الحميد الزهراوي: ولد بحمص سنة (1272هـ-1855م)، وكان من رجال العلم بالدين والسياسة فهو من زعماء النهضة السياسية في سوريا، شارك في تأسيس العديد من الأحزاب السياسية كحزب الحرية والاعتدال،وحزب الائتلاف، حكم عليه بالموت شنقا ونفذ عليه الحكم في دمشق سنة (1334هـ-1916م)، له من المؤلفات: رسالة في الفقه والتصوف، خديجة أم المؤمنين، كما أصدر العديد من الجرائد منها: جريدة المنير، وجريدة الحضارة.[1]

6 شكري بك العسلي: ولد بدمشق سنة (1285هـ-1868م)،كان من المشتغلين بالعلم والأدب، وخطيبا بليغا،كما أنه يعد من زعماء النهضة العربية الحديثة، انتخب نائبا عن دمشق في مجلس النواب العثماني، واشتغل بالمحاماة و الصحافة فأصدر جريدة القبس اليومية، حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم بدمشق سنة (1334هـ-1916م)، له من المؤلفات: القضاة والنواب، الخراج في الإسلام، رواية المأمون العباسي[2].

7 جميل العظم: ولد في الأستانة سنة (1290هـ- 1873م)، قرأ على جماعة من العلماء و استفاد من الشيخ طاهر الجزائري حيث يقول: "وأما من انتفعت بصحبتهم من العلماء فأجلهم العلامة الكبير أحد أركان النهضة في سوريا الشيخ طاهر الجزائري، لزمت صحبته إلى آخر أيام حياته"، ولي أعمالا حكومية في بيروت ودمشق، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي، توفي سنة (1352هـ-1933م)، له من المؤلفات : الآداب الإسلامية، قاموس التراجم وغيرها[3].

8 عبد الوهاب المليحي: نابغة في الإدارة والحقوق، تعلم في دمشق، وتخرج بالمدرسة الملكية في الآستانة، ونصب قائم مقام في حلب، ثم استقال فاشتغل بالمحاماة في دمشق مدة، ثم نصب مفتشا للإدارة الملكية في ولاية بيروت، حكم عليه بالإعدام، فقتل شنقا في دمشق سنة (1334 هـ-1916 م) ، له مقالات ومحاضرات كثيرة في السياسة والاجتماع والتاريخ باللغتين العربية والتركية، باشر تأليف كتاب في " التاريخ العام " طبع جزء منه[4].

[1] الزركلي، الأعلام، ج3، ص288.

[2] زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية، [لبنان: بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1994م]، ج3، ص1030، 1031.

[3] جميل العظم، الصبابات فيما وجدته على ظهر الكتب من الكتابات، اعتنى به: رمزي دمشقية، [لبنان: بيروت، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1420-2000م]، ص11-12.

[4] الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص182.

9 عبد الرحمان الشهبندر: من رجال الطب والسياسة والثقافة والخطابة ، ولد بدمشق سنة (1298هـ- 1880م)، إلتحق بالجامعة الأميركية ببيروت ودرس الطب فنال شهادتها العلمية، وعين بها مدرسا وطبيبا ، إنضم إلى حلقة الشيخ طاهر الجزائري، عهد إليه بوزارة الخارجية، واعتقل بسبب مقاومته السياسية للاحتلال الفرنسي لسوريا ، ثم أخرج من السجن، و أسس حزب الشعب واشترك في الثورة السورية سنة 1925م، وقتل بدمشق سنة(1359هـ-1940م)، من آثاره: الثورة السورية، القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي[1].

10 فارس الخوري: من رجال السياسة والأدب في سورية ، ولد سنة (1290هـ-1873م)، إلتحق بالجامعة الأميركية ببيروت ، عمل ترجمانا للقنصلية البريطانية وشغل العديد من المناصب الحكومية منها: انتخابه نائبا عن دمشق في مجلس"المبعوثان" العثماني ، ثم وزيرا للمالية السورية ،كما تولى وزارة المعارف ، وانتخب رئيسا لمجلس النواب ، فرئيسا للوزارة ، ومثّل سورية لدى منظمة الأمم المتحدة مرات ، سجن بتهمة التآمر على الدولة وبرئ ، ونفاه الفرنسيون إلى ارواد بسبب نشاطه السياسي، كما عمل أستاذا في معهد الحقوق، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربيّ فعد من مؤسسيه، وتوفي في دمشق سنة (1381هـ-1962م)، من مؤلفاته: أصول المحاكمات الحقوقية[2].

11 سليم الجزائري: إلى جانب قرابته من الشيخ طاهر فهو من أخص المستفيدين منه تربية وعلما، فهو ابن أخيه، حيث لازمه وأخذ عنه واستفاد من توجيهاته وإرشاداته في الحلقة الفكرية التي كانت تجمع الشيخ طاهر بعلماء وشباب عصره.

12 محمد الحكيم: أديب ، مشارك في بعض العلوم، من أرباب التربية والتعليم ولد بدمشق في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، ولازم علاء الدين عابدين، وتردد على طاهر الجزائري واستفاد من أحاديثه ومجالسه، و قرأ على غيرهما ، توفي بدمشق سنة (1335هـ-1917م)، من آثاره: نفحة الروض البليل في رحلة القدس والخليل[3].

13 وجيه الكيلاني: أديب، مؤرخ ، ولد بدمشق سنة (1303هـ-1886م)، أخذ عن الشيخ طاهر الجزائري، وانتسب إلى الجامعة الأميركية ببيروت، وأصدر صحيفة الأصمعي، وساهم في الحركة العربية فنفاه الترك خلال الحرب العالمية الأولى، من آثاره: الدعاة من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين،

---

[1] عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص141.

[2] الزركلي، الأعلام، ج5، ص 128.

[3] عمر كحالة، المرجع السابق، ج11، ص250.

قاموس الملوك (ملوك المسلمين) ،قاموس النساء (العربيات والمسلمات) ، توفي بدمشق سنة (1353 هـ-1934م) ودفن بمقبرة الباب الصغير [1].

14 أحمد شاكر: محدث الديار المصرية، ولد بالقاهرة سنة (1309هـ-1892م)، تتلمذ على يد والده، وله إجازات كثيرة من كبار علماء عصره، تحصل على درجة العالمية من الأزهر واشتغل بالتدريس والقضاء، وقد أشرف على نشر وإخراج الكثير من كتب التراث، واشتهر بشرحه لمسند الإمام أحمد، ومن كتبه الكثيرة: نظام الطلاق في الإسلام، توفي سنة (1377هـ-1958م)، وأما لقائه بالشيخ طاهر واستفادته منه فكانت أثناء إقامة هذا الأخير في مصر [2]، وقد كان يجله وصرح أنه أستاذه بقوله: "أستاذنا الجليل الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي – رحمه الله –"[3]

المطلب الثالث: أقرانه و رحلاته

الفرع الأول: أقرانه و أصدقاؤه

ربطت أواصر الصداقة بين الشيخ طاهر و بين جمع غفير من علماء الأمة في مختلف البلاد على اختلاف مشاربهم و مذاهبهم، فكانت علاقته بهم علاقة مفيد ومستفيد ومؤثر ومتأثر، وسأحاول فيما يلي ذكر أهم من استطعت الوقوف عليهم، مع الترجمة القصيرة في الهامش لكل واحد منهم.

أولا. أقرانه في الشام

بما أن الشام هي بلاد الشيخ التي فيها ترعرع، وعلى يد علمائها أخذ وبرع، فلا ريب أن يكون أكثر أقرانه وأصحابه منها، وفي مقدمة هؤلاء نجد الشيخ جمال الدين القاسمي [4] الذي كان الشيخ طاهر شديد الالتصاق به، يمضي معه ساعات من الليل في المذاكرة و المراجعة، وكثيرا ما

---

[1] عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج13، ص160.

[2] أسامة أحمد شاكر، من أعلام العصر، [مصر، ط1، مكتبة الإسكندرية، 1422هـ-2001م]، ص31.

[3] أحمد شاكر، جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، جمع: عبد الرحمان العقل، [السعودية: الرياض، ط1، دار الرياض، 1426هـ-2005م]، ج1، ص51.

[4] هو جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، من أكبر علماء الشام في عصره، ولد بدمشق سنة (1283هـ–1866م)، وتوفي بها سنة (1332هـ- 1914م)، من مؤلفاته: محاسن التأويل في تفسير القرآن، دلائل التوحيد . ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص20-22، ونزار أباظة، جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، [سوريا: دمشق، ط 1، دار القلم، 1418هـ-1997م]، ص93-148.

يعرض القاسمي بعض كتاباته على الشيخ طاهر للتعليق وإبداء الرأي حولها، وقد عد أحد الباحثين [1] كتابات الشيخ طاهر من جملة الأسباب التي ساعدت القاسمي على تنوع ثقافته، وقد بلغ من تعلق الشيخ طاهر بالقاسمي أنه كان يرافقه حتى في زياراته الشخصية لبعض أقربائه، وبالرجوع إلى مذكرات القاسمي نجده يذكر صاحبه طاهر بعبارات تنم عن التقدير والإكبار، منها قوله: "ولم نزل نستفيد من حضوره فهو الشيخ المفيد والمرقي الوحيد"،"واستفدنا من مباحثه"، ويبلغ من تأثره وشدة إعجابه به أن يقول: "و بالجملة فالشيخ طاهر أعجوبة في عصره في الذكاء وفي التنقيب على الآثار العلمية، فهو شيخها في عصره بلا ريب، بل وفيما قبل عصره"[2]، وأما الشيخ طاهر فكان يخاطبه بقوله: "أيها الفاضل الهمام"،"حضرة الصديق الأجل الفاضل المحقق" [3] وأما بقية من صحبهم الشيخ طاهر من علماء وفضلاء دمشق فلم يرد من تفاصيل صحبتهم وعلاقته بهم حسب اطلاعي إلا النزر اليسير، منهم عبد الرزاق البيطار[4]،وسليم البخاري[5]، وجملة ما وقفت عليه من أخبارهم هو اجتماعهم في ما كان يعرف بحلقة دمشق الكبرى، يتبادلون الخبرات والمعارف ويتناقشون بينهم ما استجد من أمور و أحداث، والملاحظ أن الشيخ طاهر كان يجل البيطار ويحترمه، بل ويشتاق إليه بعد هجرته إلى مصر، وهذا ما يظهر من خلال مراسلاته لصاحبه القاسمي، فهو لا يفوت فرصة إلا ويطلب منه أن يبلغ سلامه للبيطار، من ذلك ما جاء في إحدى مراسلاته حيث يقول: "وإذا اجتمعتم بالأستاذ الأجل، فبلغوه أزكى التحيات، مع بيان الشوق إليه"، و يقول في أخرى: "بلغوا تحياتنا لحضرة الأستاذ الأجل، أدام الله نفعه، وإني لفي شوق إليه"، وفي رسالة ثالثة يقول: "وأرجوا إبلاغ تحياتي لحضرة الأستاذ الحائز قصبات السبق في ميدان الفضل"، والمقصود من عباراته السالفة هو الشيخ عبد الرزاق

---

[1] علي دبدوب، القاسمي وآراؤه الاعتقادية، [مصر: القاهرة، د.ط، دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر، د.ت]، ص43.

[2] ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص427، 432. وللمزيد حول علاقة الشيخ طاهر بالقاسمي ينظر، المصدر نفسه، ص425-441.

[3] أنظر هذه العبارات و غيرها في رسائل الشيخ طاهر إلى القاسمي، المصدر نفسه، ص510-521.

[4] هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار، عالم بالدين، ضليع في الأدب والتاريخ، ولد بدمشق سنة (1253هـ-1837م)، وتوفي سنة (1335هـ - 1916م)، من مؤلفاته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. الزركلي، الأعلام، ج3، ص351.

[5] هو سليم البخاري الدمشقي، ولد في دمشق سنة (1268هـ-1851م)، شغل الإفتاء وعضوية المجمع العلمي العربي، ورياسة العلماء، وغيرها، توفي سنة (1347هـ-1928م)، من مؤلفاته: حل الرموز في عقائد الدروز. المرجع نفسه، ج3، ص116.

البيطار، فهو المعروف بلقب الأستاذ بين معاصريه كما قال الأستاذ ظافر القاسمي [1]، ثم إن الشيخ طاهر قد نص على اسمه في مخاطبته للقاسمي بقوله: "أرسلنا لكم من شرح خطبة الكافي أربع نسخ، نسختان لحضرتكم، و نسخة للأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرزاق" [2]، فالمراد من إطلاق لفظ الأستاذ في عبارات الشيخ طاهر هو عبد الرزاق البيطار، كما أن طابع التعاون في المجال العلمي كان سائدا بينهم، من ذلك ما جاء في مجلة المنار من أن الشيخ طاهرا قد أحيا رسالة إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد بعد ما قُبرت في المكاتب القديمة، وأصلح بالمقابلة على ما عثر عليه من نسخها ما أفسد النساخ فيها، وطبعت على نفقة أسعد بك حيدر أحد وجهاء قضاء بعلبك، وصححها سليم أفندي البخاري[3]، فهذا الجهد من الشيخ طاهر ورفاقه كلل بإخراج هذه الرسالة إلى النور ونفض الغبار عنها بعدما كانت في طي النسيان، وإلى جانب من ذكرنا نجد محمد كامل قصاب [4] وكان من رفاق الشيخ طاهر ورواد حلقته، كما كان للطاهر علاقة بعلاء الدين عابدين [5]حيث جمعت بينهما الجمعية الخيرية الخيرية الإسلامية، فقد كان الأول من أعضائها البارزين، والثاني رئيسا لها، بالإضافة إلى تعاونهما مع الشيخ محمود حمزة [6] الذي كان رئيسا لديوان المعارف بصفتهما نائبين له، والظاهر أن الشيخ طاهر كانت تربطه علاقات جيدة بأسرة عابدين، فبالإضافة إلى علاقته بعلاء الدين نجد رجلا آخرا من ذات الأسرة وهو أبو الخير عابدين [7] الفقيه الحنفي، الذي لم يفوت الشيخ طاهر زيارته ووداعه قبل هجرته إلى مصر رفقة عدد آخر من العلماء والأصحاب منهم الأمير عمر الجزائري [8]،كذلك نجد أن

---

[1] هو ظافر بن جمال الدين القاسمي، عالم أديب لغوي مفسر، ولد بدمشق سنة (1331هـ-1913م)، درس وحاضر في العديد من الجامعات، توفي سنة (1404هـ-1984م)، من مؤلفاته: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ. يوسف المرعشلي، عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، [لبنان: بيروت، ط1، دار المعرفة، 1427هـ-2006م]، ص1862.

[2] أنظر هذه العبارة وما سبقها من عبارات: ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص511 ،513، 517، 518.

[3] رشيد رضا، "آثار علمية أدبية"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، شوال1322هـ]، مجلد7، جزء19، ص753.

[4] هو محمّد كامل القصّاب ، ولد في دمشق سنة (1290هـ،1873م)، من زعماء الحركة الاستقلاليّة في سوريّة، توفي سنة (1372هـ-1954م)، من مؤلفاته: النقد والبيان. الزركلي، الأعلام، ج7، ص13.

[5] هو علاء الدين ابن محمد أمين عابدين ، فقيه حنفي، ولد بدمشق سنة (1244هـ-1828م)، تولى الكثير من مناصب القضاء، وتوفي بدمشق سنة (1306هـ- 1889م)، من مؤلفاته: قرة عيون الأخيار. المرجع نفسه، ج6، ص270.

[6] هو محمود بن محمد حمزة ، ولد في دمشق سنة (1236هـ-1821هـ)، تقلد فتوى الشام سنة (1284هـ)، وتوفي في دمشق سنة (1305هـ-1887م)، من مؤلفاته: در الأسرار في التفسير، الفتاوى المحمودية. المرجع نفسه، ج7، ص185.

[7] هو محمد بن أحمد بن عبد الغني، أبو الخير، ابن عابدين، فقيه حنفي، ولد بدمشق سنة (1269هـ-1853م)، وتوفي في بيروت سنة (1343هـ-1925م)، من مؤلفاته: تحرير الأقوال في أخذ الحقوق من سائر الأعمال. المرجع نفسه، ج6، ص22.

[8] أنظر جانبا من وداع الشيخ طاهر لبعض أصحابه، ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص437-438.

كامِل الغَزّي[1] في معرض حديثه عن قصيدة الفراسة [2] يذكر أن الشيخ طاهر الجزائري اطلع عليها في إحدى زياراته إلى منزله، مما يدل على أن الغزي كان صديقا للشيخ، كما جمعته صحبة بالشيخ راغب الخالدي[3] حيث تآزرا معا لإنشاء المكتبة الخالدية في القدس.

ومن بين العلماء الذين التقى بهم الشيخ طاهر وجالسهم: عبد الجواد القاياتي [4] الذي ألف كتابا يصف فيه رحلته إلى الشام ومن التقى بهم من أفاضلها وعلمائها، فعد في جملة هؤلاء الشيخ طاهر الجزائري[5].

ثانيا. أقرانه في مصر

بعد تدهور الأوضاع السياسية في بلاد الشام لم يجد الشيخ طاهر من بد سوى الرحيل عنها، فاتجهت أنظاره إلى مصر التي كانت قبلة المفكرين والأحرار في ذاك الزمان، وبعد نزوله بها استأجر منزلا شاركه الإقامة فيه كل من الشيخ مصطفى القباني [6] وعبد الفتاح قتلان [7]، وهما من أهل دمشق

[1] هو كامل بن حسين الشهير بالغزي، مؤرخ، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق، ولد بحلب سنة (1271هـ-1853م)، وتوفي سنة (1351هـ-1933م)، من مؤلفاته: نهر الذهب في تاريخ حلب. الزركلي، الأعلام، ج5، ص217.

[2] يقول الغزي: " هذه أرجوزة تعد 238 بيتا. وقد تضمنت ذكر فضائل الأجناس وما خص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق، وأثر كل بلدة بأهله على سبيل الاختصار، وهي من النوادر العزيزة الوجود بحيث لم أطلع عليها في غير مسودة تاريخ كنوز الذهب. وكان المرحوم الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في إحدى زياراته منزلي وطلب مني أن أسمح له بنقلها فاعتذرت له ولم أجبه على طلبه حرصا عليها. وأخبرني أنه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة إحداهما، مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة". كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، [سوريا: حلب، ط2، دار القلم، 1419هـ]، ج1، ص78.

[3] هو راغب بن نعمان الخالدي، ولد في القدس سنة (1866م)، شغل العديد من المناصب وأسّس المكتبة الخالدية بالقدس، توفي سنة (1952م)، من مؤلفاته: مبتدأ الخبر في مبادئ الأثر. عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، [لبنان: بيروت، ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995م]، ص161.

[4] هو أحمد بن عبد الجواد القاياتي، أديب، فقيه أزهري، ولد بمصر سنة (1257هـ-1841م)، وتوفي بدمشق سنة (1308هـ - 1890م)، من مؤلفاته: شرح منظومة الحميدي . عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص 160. والزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 143.

[5] عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، [لبنان: بيروت، دط، دار الرائد العربي، 1401هـ-1981م]، ص121.

[6] مصطفى القباني، فقيه مشارك في بعض العلوم، توفي بعد سنة (1332هـ-1914م)، من مؤلفاته: أرجوزة في علم التوحيد من حاشيتي الجوهرة والسنوسية للبيجوري، ورسالة في التجويد. عمر كحالة، المرجع السابق، ج12، ص269.

[7] عبد الفتاح قتلان، فاضل، من أهل دمشق، أصدر المجلة السلفية، وأسس بالاشتراك مع محب الدين الخطيب المطبعة والمكتبة السلفية، وتوفي بالقاهرة حوالي سنة (1350 هـ-1931م)، من مؤلفاته: شواهد لسان العرب. المرجع نفسه، ج5، ص280.

ولم أقف على تفاصيل علاقتهما ولا إقامتهما مع الشيخ، وقد أسس صاحبه عبد الفتاح قتلان المجلة السلفية وكان هو المدير لها؛ فكان أكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري[1]، وهو ما يكشف عن منزلة الشيخ طاهر العلمية في نظر صاحبه عبد الفتاح.

مالبث خبر قدوم الشيخ طاهر مصر أن ذاع حتى طفق علماء البلد في زيارته و الاحتكاك به؛ لما علموه من واسع علمه وعظيم فضله، وكان أبرز من صاحبه مدة إقامته في مصر : أحمد زكي باشا وأحمد تيمور باشا[2]، وقد توثقت الصلة بينه و بين هذين العالمين فكان الشيخ طاهر في آخر حياته يقدمهما على غيرهما في بيع كتبه التي كان يعيش على ثمنها، ولا يرضى بكثير من العروض المغرية من دور الكتب الأجنبية، وموقفه هذا بقدر ما يكشف لنا حرصه على الكتب التي أفنى عمره في جمعها والرغبة في حفظها لدى أيد أمينة، فإنه يبين لنا من جهة أخرى حجم الثقة التي وضعها الشيخ طاهر في صديقيه الآنف ذكرهما والأمانة التي كانا يتمتعان بها في نظره؛ لكن علاقته بصاحبه أحمد زكي باشا أصابها نوع من الفتور وسبب ذلك كما يحدثنا كرد علي هو " أن صديقه الأستاذ أحمد زكي باشا نال بواسطة أحمد حشمت باشا وزير معارف مصر اعتمادا بعشرة آلاف جنيه، لطبع مجموعة من الكتب العربية القديمة النادرة تبلغ فيما أذكر سبعة و عشرين كتابا ومنها ما يدخل في بضعة مجلدات، فتباطأ زكي باشا في الطبع ومضت السنة فقيد المبلغ في نظارة المعارف على حساب السنة المقبلة ولم يخرج الباشا شيئا، وهكذا حتى ألغي الاعتماد باستقالة حشمت باشا فغضب الشيخ غضبة مضرية من عمل زكي باشا وصارحه بقوله: لقد أسأت إلى الأمة العربية بإبطائك في إخراج الكتب للناس، وإذا ادعيت أنك تقصد نشرها سالمة من الخطأ مشفوعة كلها باختلاف النسخ والتعاليق فالتأنق لا حد له ويكفي أن ينتفع الناس بالموجود، وظل الشيخ أشهرا لا يكلم صديقه الزكي إلا متكلفا كأنه عبث به، وحمل الضرر إلى مصلحته مباشرة وأي مصلحة أعلق بقلبه من نشر آثار السلف"[3]، وبالرغم من هذا فإننا نقف على الثناء العطر لأحمد زكي باشا على الشيخ طاهر بعد موته وذلك في رسالة[4] أبرقها إلى الشام معزيا، وهي تبين المكانة السامية التي كان يتمتع بها الشيخ

[1] محمد رشيد رضا، "المطبوعات الجديدة"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، محرم 1336هـ] مجلد 20، جزء4، ص208.

[2] هو أحمد تيمور باشا، عالم بالأدب، باحث، مؤرخ مصري، ولد بالقاهرة سنة (1288هـ–1871هـ)، وتوفي سنة (1348هـ - 1930م)، من مؤلفاته: أبو العلاء المعري وعقيدته، التذكرة التيمورية، وغيرها. أحمد تيمور باشا، تاريخ الأسرة التيمورية، [د.م، ط1، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، د.ت]، ص89-92. الزركلي، الأعلام، ج1،ص100.

[3] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص18.

[4] سبق نقلها في الكلام عن وفاة الشيخ طاهر، ص24.

طاهر بين أقرانه ونظرتهم إليه، وبالنسبة لصاحبه أحمد تيمور باشا فقد كان هو الآخر على علاقة جيدة بالشيخ ، وقد تحدث عن هذه العلاقة الشيخ رشيد رضا [1] عند ترجمته لتيمور باشا، حيث يرى أن سبب مجالسة هذا الأخير للشيخ طاهر هو ارتياحه إلى شيء من سماع الأقوال الشاذة المستغربة من رأي أو خبر، والشيخ طاهر كان لديه من ذلك الجم الكثير [2]، ثم يضيف موضحا جملة الدواعي لمثل هذه الصحبة فيقول: " وأما أول أسباب عشرته وحبه له فهو كونه من علماء الدين الميالين إلى الإصلاح العارفين بحال العصر، وما له من الاطلاع الواسع على نفائس الكتب العربية في خزائنها المشهورة في الشرق والغرب مع العلم بقيمتها العلمية والتاريخية، وهو الذي دله على الكثير منه ا"[3]، وقد سبق الذكر أن الشيخ طاهر باع كثيرا من كتبه ومخطوطاته بسبب حاجته وفاقته لأحمد تيمور باشا الذي عرف بالجاه والثروة، ولا يمكن القول أن هذا الأخير قد استغل ظرف الشيخ للظفر بهذه الكنوز التي قل أن تجتمع عند غيره، وفي هذا يقول رشيد رضا: "ولو كان الشيخ طاهر يقبل من أحد مواساة مالية لكان له من صديقه الوفي المخلص أحمد تيمور ما يكفيه وفوق ما يكفيه مع الإخفاء والكتمان؛ ولكن كان له من عزة النفس بالعلم وشرف البيت، ومن العفة والقناعة بآداب الدين ما يربأ به عن ذلك"[4].

إن هذا الكلام من الشيخ رشيد رضا يمكننا عده بمثابة الشهادة لكلا الرجلين، لاسيما إذا علمنا أن له صحبة ومعرفة بكليهما، ومما يدل على صحبته ورفقته للشيخ طاهر أن هذا الأخير جاء على ذكره في رسالة خاصة أرسلها لتلميذه محمد كرد، والشاهد فيها قوله: "وكان معنا في المذاكرة الفاضل المقدام السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار" [5]، وإذا استقرأنا كلام رشيد رضا في مجلته المذكورة آنفا ومواضع ذكره للشيخ طاهر فإننا نلحظ توقيرا وإجلالا واعترافا بفضله، من ذلك قوله: "الشيخ طاهر الجزائري هو أشهر العلماء ودعاة الإصلاح في بلاد الشام "[6]، "الشيخ طاهر المغربي

[1] هو محمد رشيد بن علي رضا، مؤسس مجلة المنار ، ولد في الشام سنة (1282هـ-1865م)، وتوفي سنة (1354هـ-1935م)، من مؤلفاته : السنة والشيعة، تاريخ الأستاذ الإمام . الزركلي، الأعلام، ج6، ص 12. وانظر، خالد آل حمزة، محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، [مصر: الإسكندرية، ط 2، دار علماء السلف للطباعة والنشر، 1415هـ]، ص 12-50.

[2] رشيد رضا، "أحمد تيمور باشا وفاته وملخص ترجمته"، [مجلة المنار، ذو الحجة 1348هـ]، مجلد30، جزء10، ص787.

[3] المرجع نفسه، ص787.

[4] المرجع نفسه، ص788.

[5] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص38.

[6] رشيد رضا، "تقريظ الجواهر الكلامية"، [مجلة المنار، ذو الحجة 1320هـ]، مجلد5، جزء23، ص914.

الشهير بغيرته وعلمه"[1]،"وناهيك بسعة اطلاع الشيخ طاهر وحُسن استحضاره واختياره"[2]،" المغفور له العلامة الكبير الشيخ طاهر الجزائري"[3]، و إن كان رشيد رضا قد أثنى على الشيخ طاهر فإن أخاه صالح مخلص رضا[4] الذي وصفه أخوه بأنه صديق للشيخ طاهر، قد ترجم لهذا الأخير ترجمة انتقده فيها من كذا وجه، وذكر فيها من المعايب والمثالب ما لم يذكره غيره [5]، وقد وصف هذه الترجمة أخوه رشيد رضا بأنها ترجمة انتقادية دقيقة غير مألوفة في عصره، وقد انتقدها بعض أدباء دمشق على اعترافه بأنها حق[6]، غير أنه لا يسلم بكل ما جاء فيها.

ومن بين رفاق الشيخ طاهر الذين حطوا الرحال في مصر: الأمين الخانجي [7]، ويظهر من كلام الشيخ في حديثه عنه [8] أنه كان صاحبا له، فكلاهما كان مهتما بالتنقيب عن الكتب والمخطوطات وهذا هو القاسم المشترك بينهما.

لا يمكن الحديث عن أقران الشيخ طاهر في مصر دون التساؤل عما إذا كانت هناك صلة بينه وبين محمد عبده[9]من عدمها، والواقع أني لم أقف على معلومات دقيقة تجزم بأحد الأمرين، فمن الباحثين من أثبت هذه العلاقة مثل محمد كرد الذي قال: "عقد الشيخ صلات مستديمة مع علماء

---

[1] رشيد رضا، "آثار علمية أدبية"، [مجلة المنار، شوال1322هـ]، مجلد7، جزء19، ص753.

[2] رشيد رضا، "تقريظ المطبوعات" (توجيه النظر إلى أصول الأثر)، [مجلة المنار، صفر 1330هـ]، مجلد15، ج2، ص160.

[3] رشيد رضا، "وفاة العلامة الجليل الشيخ سليم البخاري"، [مجلة المنار، جمادى الآخرة 1347هـ]، مجلد29، ج8، ص633.

[4] صالح مخلص رضا هو أخٌ للشيخ رشيد رضا، كان مديرا لبعض المدارس الابتدائية، توفي سنة (1340هـ)، له بعض المقالات وتقاريظ لبعض المطبوعات في المنار . رشيد رضا ، "مصابنا بشقيقنا السيد صالح مخلص رضا "، [مجلة المنار، رمضان 1340هـ]، مجلد23، جزء5، ص397-400.

[5] صالح مخلص رضا، "تقريظ المطبوعات" (تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر)، [مجلة المنار، ذو الحجة 1339هـ]، مجلد22، جزء8 ص637-640.

[6] رشيد رضا، "مصابنا بشقيقنا السيد صالح مخلص رضا"، ص398.

[7] هو محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي، عالم بالمخطوطات وأماكن وجودها، ولد في حلب سنة : (1282هـ-1865م)، وتوفي بالقاهرة سنة: (1358هـ-1939م). الزركلي، الأعلام، ج6، ص44.

[8] كقوله في مراسلة للقاسمي:"وقد سررت من مجموعة المتون التي رتبتموها، كما سر بذلك صاحبنا الأمين"،"وأما من خصوص صاحبنا أمين أفندي الخانجي، فإنه قد عرضت له مسألة من نحو سنة، جعلته لا ينام إلا غرارا، وكنا متجاورين..." . ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص510، 512.

[9] هو محمد عبده بن حسن خير الله، ولد في مصر سنة (1266هـ-1850م)، تولى القضاء وعين مفتيا للديار المصرية، توفي سنة (1323هـ-1905م)، من مؤلفاته: رسالة في التوحيد، وغيرها. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص272-273.

عصره على اختلاف أديانهم وأجناسهم، صحب صديقه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده..." [1]، ومثله محمد الصالح الصديق[2] الذي يقول في ترجمته للشيخ طاهر: "وتوثقت عروة الصداقة بينه وبين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وكان كل منهما يعتز بصداقة الآخر" [3]، وأما الأستاذ أبو القاسم سعد الله[4] فيرى أن العلاقة بينهما هي علاقة أستاذ وتلميذ فيقول: "ويبدو أن الشيخ طاهر الجزائري وابن أخيه سليم السمعوني كانا من تلاميذ الشيخ عبده" [5]، ويذهب بعض الباحثين إلى إثبات خلاف هذا، حيث يصل في نتيجة بحثه إلى أن محمد عبده هو من تأثر بالشيخ طاهر واستفاد منه [6]، منه[6]، بينما يذهب الأستاذ عدنان الخطيب إلى نفي أي صلة أو علاقة بينهما [7]، وغير مستبعد أن أن تكون هناك علاقة صداقة وتأثر متبادل بين الشيخين، لاسيما وقد عاصر أحدهما الآخر وعاشا فترة من الزمن في نفس البلد، أقصد بلاد الشام التي كان محمد عبده يقيم فيها منفيا في بيروت، وقد كان للشيخ طاهر زيارات عديدة إليها فلا يستبعد لقاءهما، واستفادة أحدهما من الآخر ، لا سيما أنه كان لكل منهما مشروع إصلاحي، وقد ثبتت من جهة أخرى صلة الكثير من تلاميذ وأصحاب الشيخ طاهر بمحمد عبده.

---

[1] محمد كرد،كنوز الأجداد، ص15.

[2] هو محمد الصالح الصديق، ولد بتيزي وزو في الجزائر سنة (1925م)، اشتغل في التعليم، وانتدب لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف للإشراف على إحياء التراث، من مؤلفاته: أدباء التحصيل، مقاصد القرآن، وغيرها. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، [لبنان: بيروت، ط1، دار الغرب الإسلامي، ج1، 1995م]، ص317-318.

[3] مقدمة محمد الصالح الصديق على الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية للشيخ طاهر الجزائري، [الجزائر، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت]، ص17.

[4] أبو القاسم سعد الله، مؤرخ جزائري ولد بوادي سوف في الجزائر سنة (1930م)، عمل في التدريس بالجامعة الأمريكية والجامعة الجزائرية، توفي سنة 2014م، من مؤلفاته: تاريخ الجزائر الثقافي، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وغيرها. عبد الكريم شبرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، [مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م/2007م]، ص49-56.

[5] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، [الجزائر، د.ط، دار البصائر، 2007م]، ج4، ص200.

[6] عبد العزيز لعميد، الشيخ طاهر الجزائري ودوره في المشرق العربي. بلاد الشام نموذجا، [مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1422هـ-2001م]، ص170.

[7] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري...، ص122، 123.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن الشيخ طاهر كانت له لقاءات ودية واجتماعات علمية مع ثلة من علماء الأزهر، كالشيخ محمد بخيت المطيعي [1] مفتي الديار المصرية، وهو ما أكده الشيخ في رسالة [2] بعث بها إلى القاسمي، كما أنه تعرف على الشيخ محمد الخضر حسين [3] والتقى به أثناء زيارته للقاهرة وذلك قبل توليه مشيخة الأزهر [4].

ثالثا. أقرانه وأصدقاؤه في باقي البلدان

من الواضح أن شهرة الشيخ طاهر تعدت موطن إقامته، وهو ما يبدو جليا من خلال العلاقات المتنوعة التي أقامها مع العديد من علماء وأفاضل البلدان المتعددة، فإن كان الشيخ شامي المولد والنشأة فهو جزائري الأصل لم ينس أصله ولا نسي بلد أجداده الجزائر؛ حيث قام بزيارة لهذا البلد ونزل ضيفا على الشيخ محمد السعيد بن زكري [5] حوالي سنة 1893م [6]، كما تعرف الشيخ طاهر طاهر كذلك على أبي يعلى الزواوي من علماء الجزائر وتطورت علاقتهما، ويرجع الفضل في معرفة الزواوي بالشيخ طاهر إلى ابن زكري، وهذا الذي أكده أبو يعلى نفسه في رسالة [7] بعث بها من دمشق إلى الشيخ طاهر في مصر يطلب منه تأليف كتاب في تاريخ الزواوة وكان هذا قبل اجتماعهما، ويكفي للوقوف على وشائج الأخوة وأواصر الصداقة بين الشيخين ما ذكره أبو يعلى الزواوي ذاته، حيث يقول: " ولما اجتمعت به بمصر وسكنا معا مدة خمسة أعوام تقريبا كلفني بتحرير

---

[1] هو محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها في زمانه، ولد سنة (1271هـ-1854م)، وتوفي بالقاهرة سنة (1354هـ-1935م)، من مؤلفاته: إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة. الزركلي، الأعلام، ج6، ص50.

[2] أنظر ملخصها، ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص436.

[3] هو محمد الخضر بن الحسين، عالم تونسي، كان من ممن تولى مشيخة الأزهر، ولد في تونس سنة (1293هـ-1876م)، وتوفي بالقاهرة سنة (1377هـ-1958م)، من مؤلفاته:الدعوة إلى الإصلاح. الزركلي، الأعلام، ج6، ص113-114.

[4] زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية، ص156.

[5] هو محمد سعيد بن زكري، ولد في زواوة سنة (1267هـ-1851م)، كان إماما ومدرسا ومفتيا بالجزائر العاصمة، ومن الفقهاء المتمكنين من علمهم. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، [الجزائر، ط6، دار البصائر، 2009م]، ج3، ص97.

[6] هذا التاريخ ذكره أبو القاسم سعد الله، وذكر محمد الصالح الصديق أن هذه الزيارة كانت سنة 1912م، وبالرجوع إلى الرسالة الآتي ذكرها والتي أرسلها أبو يعلى إلى الشيخ طاهر، نلاحظ أنها أرسلت بتاريخ: 7جمادى الأولى سنة 1331هـ يعني ما يوافق سنة 1912م، وصاحبها يذكر في طياتها أن زيارة الشيخ طاهر كانت قبل نحو عشرين سنة، يعني من تاريخ الإرسال، وبعملية حسابية نجد أن التاريخ الصحيح للزيارة هو ما ذكره سعد الله لا ما ذكره محمد الصالح. سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ص146، ومقدمة محمد الصالح الصديق على الجواهر الكلامية، ص16.

[7] قام بنشرها أبو القاسم سعد الله ضمن كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ص156-167.

مقالات كثيرة وبتأليف في النحو وآخر في إلزام الشبان الأصحاب التدين ، وألح علي في إثبات مذكراتي ونظراتي في السياسة وكان معجبا بها شهادة الإخوان الشاميين والمصريين الذين هم بقيد الحياة، وكان يرسل إلي شبانا من تلاميذه وخواصه لتلقي المواعظ والإرشادات إلى غير ذلك من ظنه الكمال وهو الكامل، وكان يعجب باستدلالي بالقرآن وتطبيقاتي الدينية واعتباراتي إياها..."[1]، وفي كلام أبي يعلى هذا بيان للمنزلة التي كان يحظى بها عند الشيخ طاهر من جهة، وفيه إشارة قوية إلى القيمة العلمية التي كان يتميز بها علماء الجزائر أينما حلوا وارتحلوا.

توسعت علاقات الشيخ طاهر لتشمل عددا من علماء العراق وموريتانيا والمغرب الأقصى، حيث كانت تربطه علاقة بالشيخ محمود شكري الألوسي [2]من العراق والشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي[3]من موريتانيا، ومما يثبت علاقته وصلته بهذا الأخير ما ذكره محب الدين الخطيب من أن الشنقيطي ألف كتابه "الوسيط في تراجم علماء وأدباء شنقيط" وكتبه من أوله إلى آخره من حفظه إجابة لاقتراح الشيخ طاهر الجزائري [4]، ويظهر أن الشيخ طاهر كانت تربطه علاقة صداقة بعبد الحي الكتاني[5]من المغرب، وهو ما صرح به الكتاني فقال: " صديقنا البحاثة النادرة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي"[6].

وإلى جانب كل من ذكرنا نجد أن الشيخ طاهر كانت تربطه علاقات صداقة بكثير من الولاة والسياسيين والمستشرقين، ورجال الدين النصارى، فأما الولاة والسياسيون فأهمهم: مدحت باشا،

[1] أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، ص162.

[2] هو محمود شكري الآلوسي، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، ولد في بغداد سنة (1273هـ-1857م)، وتوفي فيها سنة (1342هـ-1924م)، من مؤلفاته: بلوغ الأرب في أحوال العرب. الزركلي، الأعلام، ج7، ص173.

[3] هو أحمد بن الأمين الشنقيطي، عالم بالأدب، من أهل شنقيط، ولد سنة (1279هـ-1872م)، نزل بالقاهرة وتوفي بها سنة (1331هـ-1913م)، من كتبه: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، وغيره. المرجع نفسه، ج1، ص101.

[4] محب الدين الخطيب، "تحريف الحقائق الإسلامية في كتاب فجر الإسلام "، [مجلة الفتح، مصر، دار المطبعة السلفية، العام الخامس عشر، شعبان 1359هـ]، ص408.

[5] هو محمد عبد الحي الكتاني، ولد سنة (1305هـ-1888م)، كان له اهتمام زائد بالحديث ورجاله، كما كان له اشتغال بالسياسة، توفي بفرنسا سنة (1382هـ-1962م)، من مؤلفاته: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية . مقدمة عبد الله الخالدي لكتاب نظام الحكومة النبوية لمحمد عبد الحي الكتاني، [لبنان: بيروت، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د. ت]، ج1، ص8.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص176.

حمدي باشا[1]، وعباس حلمي[2]خديوي مصر، وفوزان السابق[3]، وأما المستشرقون فعلى رأسهم: غولد زيهر[4] الذي ربطته به علاقة خاصة، بالإضافة إلى آخرين مثل: براون الإنجليزي [5]، ومرجليوث[6]، وغيرهم[7]، وأما رجال الدين النصارى فأبرزهم: المطران يوسف داود السرياني [8]، ولويس شيخو [9]، والأب الكرملي[10].

الفرع الثاني: رحلاتـــه

عاش الشيخ طاهر الجزائري معظم حياته في دمشق التي نالت النصيب الأوفر من حله وسكناه، وإن كان قد غادرها أحيانا متنقلا في ربوع الشام من بلدة إلى أخرى، حيث زار بيروت وبعلبك وصيدا وطرابلس ويافا والقدس وغيرها من الأماكن، وأما عن تاريخ زيارته لهذه الأماكن فنجد أنه كان متواجدا في بيروت في شهر شعبان سنة (1320هـ-1900م)، وسنة

---

[1] هو أحمد حمدي باشا، ولد سنة (1242هـ)، تولى العديد من المناصب العسكرية والسياسية، منها ولاية سوريا سنة (1291هـ)، توفي سنة (1303هـ). عبد الرزاق البيطار، حلية البشر...، ص134-140.

[2] هو عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل، أحد ولاة مصر، من أسرة محمد علي، ولد بالقاهرة سنة (1291هـ-1874م)، وتوفي سنة (1363هـ-1944م). الزركلي، الأعلام، ج3، ص260-261.

[3] هو فوزان بن سابق بن فوزان النجدي، سياسي سعودي، ولد سنة (1275هـ-1858م)، وتوفي سنة (1373هـ-1954م)، له كتاب بعنوان: "البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار". المرجع نفسه، ج5، ص162.

[4] غولد زيهر (IGNAZ GOLDZIHER)، مستشرق مجري، ولد سنة (1850هـ)، وتوفي سنة (1921م)، من مؤلفاته: دراسات إسلامية، الظاهرية مذهبهم وتاريخهم. عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، [لبنان: بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1993م]، ص197-203.

[5] براون (EDUARD GRANVILLE BROWN)، مستشرق إنجليزي، متخصص في الأدب الفارسي، ولد سنة (1862م)، وتوفي سنة (1926م)، من مؤلفاته: التاريخ الأدبي لفارس، عام بين الفرس، المرجع نفسه، ص79-81.

[6] هو ديفد صمويل مرجليوث (D.S.MARGOLIOUTH)، مستشرق إنجليزي، ولد سنة (1858م)، وتوفي سنة (1940م)، من مؤلفاته: محمد ونشأة الإسلام، العلاقات بين العرب واليهود. المرجع نفسه، ص546.

[7] أنظر، مقدمة عدنان عمر الخطيب على تقريب المجاز إلى مسائل المجاز للشيخ طاهر الجزائري، [مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م]، ص67.

[8] هو يوسف بن داود بن بهنام السرياني، ولد سنة (1244 هـ-1829م)، كان مطرانا لطائفة السريان بدمشق، توفي سنة (1307هـ-1890م)، من مؤلفاته: التمرين في أصول الصرف والنحو، وغيره. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص203.

[9] هو رزق الله بن يوسف شيخو، راهب يسوعي، ولد سنة (1275 هـ-1859م)، وتوفي سنة (1346هـ-1927م)، من مؤلفاته: الآداب العربية في القرن التاسع عشر، شرح ديوان الخنساء، وغيرها. المرجع نفسه، ج5، ص246.

[10] هو أنستاس ماري الكَرْملي، واسمه بطرس بن جبرائيل يوسف عوّاد، كاهن وعالم بالأدب واللغة ، ولد سنة (1263هـ-1846م)، وتوفي سنة (1366هـ-1947م)، من مؤلفاته: المعجم المساعد، شعراء بغداد وكتّابها. المرجع نفسه، ج2، ص25.

(1321هـ)[1]، ويشير القاسمي في مذكراته أنه صحب الشيخ في سفر إلى بعلبك وبيروت وصيدا لمدة لمدة ستة عشر يوما [2]وذلك سنة (1324هـ)، وفي سنة (1325هـ-1907م) قرر الشيخ طاهر الهجرة عن دمشق؛ وذلك حينما كثر إرهاق العلماء وأذيتهم والتجسس عليهم في عهد السلطان عبد الحميد فاختار مصر للنزول والمقام بها، فبلغت إقامته فيها مدة ثلاثة عشر سنة تخللتها بعض الرحلات منها رحلة لأداء فريضة الحج، كما زار طرابلس سنة (1332هـ) وهو ما يستفاد من رسالة أرسلها إلى تلميذه محمد كرد، وقد أوضح فيها سبب زيارته لهذه البلدة؛ وهو إرشاد أهلها ببيان الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه ويكون أقرب لنجاحهم[3].

كان الشيخ طاهر مولعا بالكتب والمخطوطات مما دفعه إلى تتبع أماكن وجودها، فجدّ في تحصيلها والاطّلاع عليها، وقام بزيارة الكثير من البلاد الإسلامية والأوربية لهذه الغاية، فرحل إلى فرنسا وعلى وجه التحديد باريس، حيث زار معرضا للكتب وحضر مؤتمرا للمستشرقين [4]، كما زار العديد من الدول الأخرى مثل: الجزائر التي نزل عند مفتيها الشيخ محمد السعيد بن زكري حوالي سنة 1893م.

هذا وقد دون الشيخ تفاصيل رحلاته وأسفاره في كناشاته التي لا تزال مخطوطة، ونذكر منها[5]:

منها[5]:

1 - فوائد نحوية والرحلة إلى الحجاز.
2 - تاريخ سفر المؤلف إلى الإسكندرية وما جرى معه.
3 - مسائل نحوية ورحلة المؤلف إلى القدس وبيروت وصيدا.
4 - دفتر خزائن الكتب في إستانبول وباريز وحلب وأيا صوفيا.
5 - الرحلة إلى طبرية

---

[1] هذا ما أرخ به الشيخ طاهر لانتهائه من تدوين كتابيه "الجوهرة في قواعد العقائد" ، و"التمرين على البيان والتبيين". طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد تحقيق: حسن السماحي سويدان، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1421هـ-2000م]، ص125، وطاهر الجزائري، التمرين على البيان والتبيين، [لبنان: بيروت، ط2، المطبعة الأهلية، 1325هـ]، ص88.

[2] ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص428.

[3] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص45.

[4] المرجع نفسه، ص12-13، ومقدمة عدنان عمر الخطيب على تقريب المجاز إلى مسائل المجاز، ص72.

[5] حازم زكريا محي الدين، الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1421هـ-2001م]، ص52.

المطلب الرابع : أعماله ومؤلفاته

الفرع الأول : أعماله و نشاطاته

عرف الشيخ طاهر بسعيه الدؤوب وحركته النشيطة مضيا في الطريق الذي رسمه لنفسه منذ نعومة أظفاره، والمتأمل لسيرته يلاحظ اختلاط يومه بليله وازدحام وقته بأصناف الأعمال ومختلف النشاطات والأشغال، ساعده على هذا تفرغه التام للعلم منذ صغره، وعدم تقيده بنظام أسرة لكونه لم يتزوج، وعدم اشتغاله بمال يعالجه ولا ولد يشغله، ولذلك نجد هذا الزخم من النشاط في حياته، وقد كان من أهم الأعمال التي قام بها الشيخ فخلدت اسمه ورفعت ذكره مايلي:

1. **تأسيس الجمعيات و الانخراط فيها:** أظهر الشيخ اهتماما كبيرا بالجمعيات وأدرك قيمة العمل الجماعي ودوره في النهوض بالأمة فكان له نشاط في هذا المجال تأسيسا واشتراكا، ففي سنة (1294هـ-1876م) تأسست الجمعية الخيرية في دمشق فكان الشيخ طاهر من بين الأعضاء المؤسسين لها وواحد من بين أهم أعضائها البارزين والفاعلين، وقد أسست هذه الجمعية كرد فعل على نشاط الجمعيات التنصيرية، واستطاعت الحد من تأثيرها إلى جانب جهودها في تأسيس العديد من المدارس.

2. **تأسيس المدارس:** كان لعضوية الشيخ في الجمعية السابقة عظيم الأثر في تأسيس المدارس وإعادة ترميم القديم منها واسترجاع المدارس الموقوفة على طلب العلم والتي كانت معطلة لا يستفاد منها، قد سيطر عليها أشخاص فاسدون متنفذون قاموا بتسخيرها لمصالحهم الشخصية، وساعده في مشروعه هذا علاقته الجيدة بالولاة آنذاك، فتم له ما أراد واستطاع الشيخ أن يفتح رفقة عدد من أعوانه ورفاقه في الجمعية الخيرية نحو تسع مدارس منها اثنتان للإناث [1].

3. **تأسيس المكتبات:** بلغت خزائن الكتب في عهد الشيخ حالة سيئة من الإهمال وكادت أن تطمس معالمها وهي التي حوت ثروة هائلة من المخطوطات التي ظل الخزنة يعبثون بها تشريدا وتضييعا، فراع هذا الأمر الشيخ طاهرا وهو المولع بالمطبوعات والمخطوطات، وباتفاق مع بعض علماء عصره ومؤازرة من الوالي مدحت باشا تمكن من جمع ما تفرق منها في مكتبة القبة الظاهرية

---

[1] الحافظ، وأباظه، تاريخ علماء دمشق...، ص367، 368.

وذلك سنة (1296هـ)، وقد ضمت هذه المكتبة سنة (1299هـ) عشر مكتبات[1]، وهو ما يبرز لنا حجم الجهد الذي بذله الشيخ طاهر، كما كانت له يد في تأسيس المكتبة الخالدية التي أنشأها الشيخ راغب الخالدي في القدس بمشورته ومعاونته سنة (1318هـ- 1900م)، وقد بلغت نحو أربعة آلاف مجلد وزيادة[2]، ولم يقف الشيخ طاهر عند هذا الحد بل كان يشجع على تأسيس المكتبات أينما حل وارتحل.

4. **التعليم الحكومي**: في سنة(1294هـ-1878م) عين الشيخ طاهر معلما في المدرسة الظاهرية الابتدائية، فكان هذا أول منصب حكومي يتولاه الشيخ، كما أنه شغل تدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة الإعدادية بدمشق لمدة سنتين استقال بعدها، وهو من جملة مؤسسيها[3].

5. **التعليم الحر**: ونقصد به التعليم الغير حكومي والمتمثل أساسا فيما كان يعرف بحلقة دمشق الكبرى أو حلقة الشيخ طاهر، وهي عبارة عن حلقة أو ندوة فكرية كان الشيخ طاهر يجتمع فيها بكبار علماء عصره كالشيخ عبد الرزاق البيطار، وجمال الدين القاسمي، وسليم البخاري، إلى جانب عدد من الشباب المثقفين من أمثال: محمد كرد علي، ومحمد سعيد الباني، ومحب الدين الخطيب، ورفيق العظم، وغيرهم كثير" وكان محور هذه الحلقة تعلم العلوم الحديثة، وتدارس التاريخ والتراث الفكري الإسلامي، واللغة العربية وآدابها، والدعوة إلى التمسك بمحاسن الأخلاق والقيم الإسلامية، والانفتاح على الغرب من خلال الأخذ بالصالح من مدنيته الحديثة، ونبذ كل مالا ينسجم مع الشريعة والعقيدة الإسلامية، وكانت تدور في هذه الحلقة أحاديث ومحاورات عن الوسائل التي يجب الأخذ بها لرفع مستوى التعليم والتفكير عند المسلمين في الدولة العثمانية"[4].

6. **التفتيش الإداري**: في سنة (1295هـ) عين الشيخ مفتشا عاما على المدارس الابتدائية، فأخذ على نفسه إصلاح المدارس وتحديثها بما يلائم حداثة العصر، فلم يدخر وسعا من أجل تحقيق غايته

---

[1] الفيكنت فيليب دي طرّازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين ، [لبنان، د.ط، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، دار الكتب اللبنانية، د.ت] ، ص136، ويحي محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، [السعودية: الرياض، ط2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1416هـ-1996م]، ص184.

[2] محمد كرد، خطط الشام، ج 6، ص195، وعارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، [فلسطين: القدس، ط 5، مطبعة المعارف، 1999م]، ج1، ص449، وقد جاء فيه أن هذه المكتبة "أنشأها الشيخ راغب الخالدي بمال تبرعت به أمه السيدة خديجة بنت موسى الخالدي، وعمل على ترتيبها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان يومئذ يعيش في القدس منفيا ".

[3] محمد كرد، "طاهر الجزائري"، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد1، جزء1، ص18.

[4] حازم زكريا، الشيخ طاهر الجزائري...، ص41.

سالكا طريق النصح والإرشاد للمعلمين بأسلوب حسن وحكمة بالغة، وجعل يراقب المدارس والطلاب ويسلك في سبيل تذليل الصعوبات وتقريب العلوم للأذهان أقرب المسالك، وعكف لأجل هذه الغاية على تأليف جملة من الكتب المدرسية بأسلوب سهل غير معقد بعيد عن الحشو والتعقيد، فكان من أهم ما ألف في هذه المرحلة: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، مد الراحة لأخذ المساحة، تمهيد العروض إلى فن العروض، الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام [1]، وهي كتب مدرسية تربوية سلك في عدد منها طريقة السؤال والجواب، وكان لهذه الجهود التي بذلها الشيخ الأثر الكبير في تقدم قطاع المعارف أشواطا كبيرة.

7. **نيابة ديوان المعارف:** لما تأسس ديوان المعارف تولى رئاسته الشيخ محمود حمزة، وأعانه في مهمته هذه الشيخ طاهر الجزائري كنائب له، إلى جانب الشيخ علاء الدين عابدين وخمسة عشر عضوا آخرين[2]، ولم أقف على تفاصيل العمل في هذا الديوان ولا المهام الموكلة للشيخ.

8. **التحرير الصحفي:** عمل الشيخ طاهر على تحرير عدد من المقالات لبعض الصحف المصرية على غرار جريدة المؤيد المصرية، جزاء أجر زهيد يقتات به وذلك بعد نزوله مصر، وإن كانت هذه المقالات قد نشرت بتواقيع مستعارة، كما نشرت له العديد من المجلات كالمجلة السلفية التي كان أكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية[3].

9. **إدارة المكتبة الظاهرية وعضوية مجمع اللغة العربية:** بعد عودة الشيخ من مصر التي أقام بها مدة ثلاث عشرة سنة لاجئا سياسيا، وبمجرد أن وطأت أقدامه دمشق أسرعت الحكومة العربية السورية إلى تسميته مديرا عاما لدار الكتب الوطنية الظاهرية، وأجمع أعضاء المجمع العلمي العربي على ضمه إليهم فشاركهم في حضور بعض جلساته، ولم يطل بقاء الشيخ في هذه الوظائف، إذ سرعان ما أدركته المنية بعد أربعة أشهر من رجوعه إلى دمشق[4].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طاهر عرضت عليه العديد من المناصب العلمية بعد هجرته إلى مصر ولكنه رفضها.

---

[1] مقدمة عدنان الخطيب على تقريب المجاز إلى مسائل المجاز، ص68.

[2] حازم زكريا، الشيخ طاهر الجزائري...، ص36.

[3] رشيد رضا، "المطبوعات الجديدة"، مجلة المنار، مجلد 20، جزء4 ص208.

[4] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري...، ص115-116.

الفرع الثاني: مؤلفاته[1]

ألف الشيخ طاهر العديد من الكتب في مختلف المجالات الشرعية واللغوية والأدبية والطبيعية، غير أن الكثيرين يعدونه من المقلين، وهذا باعتبار العلم الغزير الذي كان يحوزه وإتقانه لكثير من العلوم والفنون واطلاعه الهائل على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات، زد على ذلك تحريه للتيسير و السهولة في كثير من هذه المؤلفات، يقول محمد كرد :"وليست تآليف الشيخ مما يناسب علمه الواسع، لأن بعضها مما ألفه في صباه لنفع المدارس، وهو مفيد جدا في بابه وفي حينه " [2]، وتنوعت كتاباته ما بين مطبوع ومخطوط، إلى جانب عدد من كتب التراث التي حرص الشيخ على إخراجها وإليه يعود الفضل في طبعها وتحقيقها، وفيما يلي أذكر مسردا لما وقفت عليه من مؤلفاته وهي كالتالي:

أولا- مؤلفاته المطبوعة:

1- التِّبيان لبعض المباحث المتعلِّقة بالقرآن على طريق الإتقان.
2- توجيه النَّظر إلى أصول الأثر.
3- الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الاسلامية.
4- أشهر الأمثال.
5-مبتدأ الخبر من مبادئ علم الأثر.
6- الحكم المنثورة
7- إرشاد الألبَّاء إلى طريق الألف باء.
8- إتمام الأُنس في حدود الفرس.
9- العقود اللآلي من الأسانيد العوالي.
10- تمهيد العُروض في فنِّ العَروض
11- تَّسهيل المجاز إلى فنِّ المعمَّى والألغاز.
12-التَّقريب لأصول التَّعريب.
13- بديع التَّلخيص وتلخيص البديع.
14- شرح خطبة الكافي.
15- مُنيَة الأذكياء في قصص الأنبياء.
16-رسائل في علم الخط.
17- دائرة في معرفة الأوقات والأيام.
18- مدُّ الرَّاحة لأخذ المساحة.
19- الفوائد الجسام في الكلام على الأجسام.
20-مدخل الطلاب إلى فنِّ الحساب
21- تدريب اللسان على تجريد البيان.
22- مختصر البيان والتبيين للجاحظ
23- جدول الحروف العربية القديمة والحديثة
24- التمرين على البيان والتبيين.

---

[1] مازن المبارك، آثار الشيخ طاهر الجزائري، [مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الماجد للثقافة والتراث، العدد الأول، السنة الأولى، محرم 1414هـ- يونيو 1993م]، ص50-56، وعبد القادر المغربي، "الظاهر من آثار الشيخ طاهر"، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد3، ج 6، ص611.
[2] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص27.

1225- الجوهرة الوسطى من الجواهر الكلامية.
26- شرح خطب ابن نباتة.
27- حدائق الأفكار في رقائق الأشعار.
28- عمدة المغرب و عدة المعرب.
29- الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام.
30- الكافي في اللغة.
31- تلخيص أدب الكاتب لابن قتيبة.
32- ميزان الأفكار شرح معيار الأشعار.

ثانيا- مؤلفاته المخطوطة:

1-أسنى المقاصد في علم العقائد.
2- الإلمام بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.
3- التفسير الكبير، أو التبيان في تفسير القرآن.
4- جلاء الطَّبع في معرفة مقاصد الشرع.
5-الكافي في اللُّغة.
6- كنَّاشاته المعروفة بالتَّذكرة الطاهرية ومنها:
أ- فهرست كتب في تفسير القرآن الكريم.
ب- رسالة في الإفتاء وشروط المفتي.
ج-إثبات تحريف التَّوراة والإنجيل.
د-الرِّحلة إلى طبرية.
هـ-تواريخ سياحية في بعض البلاد.

مؤلفات نشرت بعنايته و تحقيقه:

1 – أمنية الألمعي و منية المدعي لأبي الحسن الغساني
2 – الأدب الصغير لابن المقفع.
3 – إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للأكفاني .
4 – الأدب والمروءة لصالح بن جناح.
5 – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للأصبهاني
6 – الفوز الأصغر لمسكويه.
7 – روضة العقلاء و نزهة الفضلاء لابن حبان.
8 – الحنين إلى الأوطان لأبي عثمان الجاحظ

كما كان للشيخ طاهر الأثر البارز في طبع العديد من الكتب الأخرى التي كانت حبيسة الرفوف والأدراج عن طريق الحث والإرشاد، نذكر من ذلك: رسالة في إعجاز سورة الكوثر للزمخشري، وهي عبارة عن مخطوطة أعدها كاتبها للطبع وعرضها على الشيخ طاهر الجزائري الذي حثه على طبعها[1].

---

[1] صلاح محمد الخيمى، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة، [سوريا: دمشق، د.ط، مجمع اللغة العربية، 1403هـ- 1983م]، ج2، ص192، 140.

المطلب الخامس: مذهبه وعقيدته

الفرع الأول: مذهبه الفقهي

لم يكن الشيخ طاهر على عادة علماء عصره ملتزما بمذهب من المذاهب الفقهية المعروفة بل كان مجتهدا يتبع ما صح وترجح عنده من الأقوال والآراء الموافقة للدليل، هذا على الرغم من كون والده كان من فقهاء المالكية وتولى الإفتاء على مذهبه لمهاجري الجزائر الذين كانوا على المذهب المالكي، كما أن شيخه عبد الغني الغنيمي الميداني كان حنفي المذهب، وقد جاء في ترجمة الشيخ طاهر أنه قرأ عليه حاشية السعد التفتازاني [1]: "التلويح على التوضيح" لصدر الشريعة في أصول الحنفية، وعلى الرغم من ذلك فإن الشيخ طاهر لم يكن على مذهب والده ولا على مذهب شيخه، وإن كان الغنيمي قد عرف هو الآخر بنبذ التقليد وبغض التعصب والبعد عن البدع وحب الظهور وهو ما استفاده تلميذه منه، يقول محمد كرد: "هذا وليس الشيخ في مذهبه على الحقيقة حنبليا ولا مالكيا ولا حنفيا، بل هو مسلم يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاص، ويحسن ظنه بأئمة المذاهب المعروفة، ويتجهم لمن يجرأ على النيل من أحد العلماء عامة يعمل بما صح له من الدليل في الكتاب والسنة"[2].

يظهر من خلال هذا الكلام أن الشيخ طاهر كان فقيها مجتهدا يستنبط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، وعلى الرغم من كونه لم يكن مقلدا لأحد المذاهب الأربعة؛ إلا أنه يرى أن الذي ينبغي هو تقليد أحد الأئمة الأربعة إلا للضرورة، وعن الاختلاف الذي وقع بين هؤلاء الأئمة يرى أنهم مجتهدون مأجورون سواء أصابوا أم لم يصيبوا، فهم لم يقصروا في استخراج الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة بحسب ما ظهر لكل واحد منهم، والمسائل التي اختلفوا فيها هي مسائل فرعية لم يثبت فيها نص قطعي، ومن جهة أخرى فإن الاختلاف فيها يوجب اليسر على الناس ويرفع عنهم الحرج والمشقة؛ فهو يرى أن الإنسان يأخذ بالأيسر إذا ألجأته الضرورة، وإلا عمل بما هو أحوط وأحرى وأظهر[3].

---

[1] هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان سنة (712هـ-1312هـ)، وتوفي بسمرقند سنة (793هـ-1390م)، من مؤلفاته: شرح العقائد النسفية. الزركلي، الأعلام، ج7،ص219.

[2] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص9.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص109-110.

الفرع الثاني: عقيدته

من خلال دراسة الآراء العقدية للشيخ طاهر يظهر أنه كان في الغالب يتأرجح بين مذهب السلف، ومذهب الأشاعرة [1]؛ إذ تأثره بمذهب السلف يبدو واضحا في باب الصفات الإلهية مثلا؛ حيث يرجحه على المذهب الأشعري ويرى أن الأخذ به أسلم، غير أنه لم يلتزم مذهب السلف في جميع الصفات التي تناولها؛ بل نجده يوافق الأشاعرة في تأويل بعض الصفات كتأويل صفة المجيء التي ذهب إلى القول بأن المراد منها مجيء أمره سبحانه وتعالى وليس المجيء الحقيقي.

ويظهر تأثر الشيخ واضحا بعالمين هما: ابن تيمية [2] الذي يمثل مذهب السلف، والغزالي [3] الذي يمثل مذهب الأشاعرة، فهو كثير الاقتباس عنهما، كما أنه يثني على المعتزلة [4] ويوافقهم في بعض المواضع، وينقل عن الفلاسفة والصوفية[5] والشيعة وغيرها من الفرق.

يقول محمد كرد: "...ولطالما أعطى الحق لعلماء الشيعة أو الإباضية[6] أو المعتزلة في مسائل تفردوا بها وضيق فيها أهل السنة، أما الفلسفة [7] أو الحكمة القديمة والفلسفة الحديثة فكان يعطف عليها وعلى المشتغلين بها، وينحي باللائمة على المتأخرين الذين أوصدوا بابها فأظلمت

---

[1] الأشاعرة: فرقة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، من عقائدها إثبات الصفات السبع، والقول أن الإيمان هو التصديق فقط، وأما القول باللسان، والعمل بالأركان ففروعه. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق:محمد سيد كيلاني، [لبنان: بيروت، د.ط، دار المعرفة، 1404هـ]، ج1، ص106، 114.

[2] هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ولد في حران سنة (661هـ-1263م)، برع في كثير من العلوم، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، توفي بدمشق سنة (728هـ-1328م)، من مؤلفاته: درء تعارض العقل والنقل. الزركلي، الأعلام، ج1، ص144.

[3] هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، من علماء الشافعية، ولد بطوس سنة (450هـ)، وتوفي سنة (505هـ)، ألف إحياء علوم الدين وغيره. إسماعيل بن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم، [د.م، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ-1993م]، ص533-535.

[4] المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري بسبب الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة وقوله بالمنزلة بين المنزلتين، من معتقداهم: نفي الصفات القديمة، والقول بخلق القرآن، وغير ذلك. المرجع نفسه، ص42-45.

[5] الصوفية: فرقة اختلف في نسبتها فقيل تنسب إلى لبس الصوف، وقيل إلى أهل الصفة، وقيل من الصف الأول، وقيل غير ذلك، واشتهرت الصوفية قبل المائتين للهجرة، من أعلامها: الجنيد والمحاسبي. أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، [مصر: القاهرة، د.ط، مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409هـ-1989م] ص78، 464، 465.

[6] الإباضية: أتباع عبدالله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، من عقائدهم أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومرتكبو الكبيرة موحدون لا مؤمنون. الشهرستاني، الملل والنحل، ص133.

[7] الفلسفة: كلمة مشتقة من اليونانية وأصلها (فيلا – صوفيا) ومعناها محبة الحكمة، وتطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الكتاب اللبناني،1982م]، ج2، ص160.

العقول وضعف مستواها"[1].

وقد تعرض الشيخ طاهر بسبب اجتهاده وموقفه من التقليد إلى الكثير من المضايقات، يذكر منها استفساره من قبل قاضي المحكمة الشرعية وتوجيه عدد من التهم له، من بينها المشاركة في تأليف رسالة طبعت بمصر بعنوان: "الفقه والتصوف" وُصفت من قبل القاضي بأنها مخلة بالمذاهب الأربعة وما عليه أهل العرفان من الأولياء العظام.

وقد رد الشيخ طاهر على هذا الاتهام وتبرأ من الرسالة المذكورة ووصفها بأنها مخالفة للمعقول والمنقول، واستغرب نسبة مثل هذه التهم إليه لكونه من أكثر الناس سعيا في رد شبه الملحدين، واستشهد على ما يقول برسائله المطبوعة في العقائد، ويذكر أنه سلم للقاضي رسالة ألفها في العقائد ولم يذكر اسمها، ثم حمد الله عز وجل على اتباع مذهب أهل السنة والجماعة.

ويذكر الشيخ طاهر أنه اجتمع بعد هذه الحادثة بالوالي ناظم باشا، ودار الحديث عن مسألة العقائد وغيرها فقال له "مذهبي مذهب الإمام الغزالي لايرى معصوما سوى النبي صلى الله عليه وسلم، وأما غيره فإن أجمعوا على شيء فبها ونعمت وإن اختلفوا نظرنا في الأقوى دليلا"[2]. وهذا يؤكد ما سبق من كون الشيخ مجتهدا يأخذ بما ترجح لديه، ويبرر تأييده لبعض الفرق دون البعض.

المطلب السادس: مكانته و ثناء العلماء عليه

عاش الشيخ طاهر حياة حافلة بطلب وخدمة العلم وبذل نفسه ووقته لنهضة المسلمين، ومن كانت هذه حاله فلا ريب أن يخلد اسمه في سماء المعرفة فينال الذكر المحمود والمقام المشهود، وهو ما حصل للشيخ فناله من ثناء العلماء والباحثين الشيء الكثير، وفيما يلي أنقل شيئا من هذا الثناء الذي يظهر مكانة الشيخ بين معاصريه ومن جاء بعدهم ممن لم يدركه.

- قال عبد الحميد بن باديس (ت: 1359هـ-1940م): "هذا الأستاذ العظيم من أبناء الجزائر الكثيرين الذين ظهر نبوغهم في غير وطنهم فدلوا على أن الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء إذا واتتها الظروف"[3].

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص9.

[2] مخطوطة مذكرات الشيخ طاهر، رقم:11481، مؤرخة في 18 رمضان 1319.

[3] عبد الحميد بن باديس، آثار بن باديس، تحقيق: عمار طالبي، [الجزائر، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1388هـ-1968م]، ج4، ص152.

– وقال أبو يعلى الزواوي: " الأستاذ المرحوم الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي وهو واسع الإطلاع له في الفن طول الباع بحاثة كبير محقق"[1]، وقال أيضا: "ومن سادة الزواوة وعلمائها بالشام المرحوم العالم العلامة الحكيم الأستاذ الكبير السيد الشيخ طاهر السمعوني الجزائري "[2].

– وقال رشيد رضا: "فإن هذا الرجل أعلم علماء سوريا في العلوم العربية بل هو أوسع من تعرف اطلاعا على مؤلفات المتقدمين والمتأخرين من أهل هذه اللغة مع تمكنه في علومها..."[3].

– وقال الزركلي في ترجمته: "بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره"[4].

– وقال محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة في ترجمته: "مصلح من أركان النهضة العربية الحديثة، حامل لواء المعارف..."[5].

– وقال جمال الدين القاسمي: "ولم نزل نستفيد من حضوره، فهو الشيخ المفيد، والمرقي الوحيد... وبالجملة فالشيخ طاهر أعجوبة في عصره في الذكاء، وفي التنقيب على الآثار العلمية، فهو شيخها في عصره بلا ريب، بل وفيما قبل عصره"[6].

– وقال ظافر القاسمي: "كان العلامة الشيخ طاهر الجزائري عبقري زمانه، ونابغة عصره، أجمع على هذا مؤرخوه وتلاميذه، والذين انتفعوا بصحبته، أو زاملوه"[7].

– وقال عبد الفتاح أبو غدة: "كان رحمه الله إماما علامة ضليعا، ومتفننا دقيقا، جامعا بين المعقول والمنقول، مؤرخا أثريا، لغويا أديبا، أحد رواد النهضة الحديثة في البلاد العربية، ومن دعاة التجديد فيها علما وتأليفا، ودعوة وأخلاقا، وفكرا وسياسة"[8].

– وقال علي الطنطاوي: "كان من المؤلفين المكثرين إن عد المؤلفون المكثرون، وكان من أئمة المربين، إن ذكر المربون، وكان من رؤوس المصلحين، ومن العلماء العاملين، وكان من الأركان الكبار في هذه النهضة التي نأوي اليوم إليها، ونتفيأ ظلالها، ونتعم بخيراتها"[9].

---

[1] أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] رشيد رضا، "التقريظ" (إرشاد الألبا إلى طريق تعليم ألف با)،[مجلة المنار، رجب1321هـ]، مجلد6، جزء13، ص522.

[4] الزركلي، الأعلام، ج3، ص221.

[5] الحافظ، وأباظة، تاريخ علماء دمشق...، ج1، ص366.

[6] ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص427، 432.

[7] المرجع نفسه، ص425.

[8] مقدمة أبو غده على توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري، ص15.

[9] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، ج2، ص380.

- وقال عبد الجواد القاياتي: "... الأستاذ الأوحد و العلامة الأمجد الشيخ طاهر أفندي الجزائري المغربي"[1].

- وقال سامي الكيالي: "إستطاع هذا المصلح أن يخلق مدرسة في دمشق تقول برأيه وتسير وفق منهجه، وهي مدرسة ضمت الكثير من الأعلام، والتي مهدت لنهضة دمشق الفكرية والعلمية، وتلك النهضة التي تمتع بثمارها هذا الجيل"[2]

- وقال أحمد زكي باشا: "كنت أرى فيه الأثر الباقي، والمثال الحي، والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية، في كل المعارف الإسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق و التمحيص واستثارة خباياها و إبراز مفاخرها..." [3].

- وقال عدنان الخطيب: " إن تاريخ النهضة الحديثة في مصر والشام مرتبط أشد الارتباط بحياة ثلاثة من عظماء الرجال، تدين البلاد العربية لهم، كما تدين البلاد الإسلامية بإيقاد أول شعلة أيقظت العرب والمسلمين من سباتهم، ودفعتهم لمقاومة الاحتلال الأجنبي، وبثت فيهم شعور القومية...هؤلاء الثلاثة هم: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وطاهر الجزائري"[4].

[1] عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام، ص121.

[2] سيد بن حسين العفاني، زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، [مصر: القاهرة، د.ط، دار العفاني، د. ت]، ج2، ص469-470.

[3] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص11-12.

[4] عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري، ص119.

في ختام هذا الفصل نخلص إلى ما يلي:

- أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لعصر الشيخ طاهر كانت على درجة كبيرة من السوء، وهو ما أثر على شخصية الشيخ واتجاهه للإصلاح.
- أن الشيخ طاهر عالم جزائري ولد في دمشق سنة (1268هـ) على الأرجح، وتوفي سنة (1338هـ)، وهو من أسرة علمية من أبرز أفرادها والده الذي يعود إليه الفضل في تنشئته وتعليمه.
- من أبرز الخصال التي ميزت الشيخ طاهر: الزهد والصبر والعفة وعزة النفس وقوته في الحق وحبه للعلم وغيرها من الخصال.
- كان الشيخ على معرفة بكثير من العلوم النقلية والعقلية على اختلاف فنونها، إلى جانب تحصيله لكثير من اللغات ومعرفته بعدد من الخطوط القديمة.
- من أبرز العوامل التي ساعدت الشيخ على النبوغ: البيئة الملائمة والمقصود بها أسرته، إلى جانب علو همته وقوة حافظته وتفرغه لطلب العلم، بالإضافة إلى شيوخه الذين كان لهم تأثير عليه لا سيما شيخه: عبد الغني الميداني.
- كان للشيخ تلاميذ كثر، من أبرزهم: محمد كرد، محمد سعيد الباني، محب الدين الخطيب، كما ربطته علاقات بكثير من الساسة والولاة والعلماء والمستشرقين.
- كان للشيخ العديد من النشاطات منها: تأسيس المدارس والمكتبات والجمعيات والتعليم والتحرير الصحفي وغيرها.
- خلف الشيخ العديد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، كما أشرف على طبع وتحقيق عدد من المؤلفات الأخرى.
- حاز الشيخ على ثناء وإعجاب الكثير من العلماء نظرا للمكانة العلمية الكبيرة التي تبوأها.

الفصـــل الثـانـــي:

منهجـه فـي عــرض العقيـــــــــدة

الفصل الثاني: منهجه في عرض العقيدة

تمهيد:

اختلفت مناهج العلماء في عرض العقيدة، وتعددت طرقهم في الاستدلال على مباحثها، بين من يقف عند حدود النقل جاعلا منه أساسا لإثبات العقائد الدينية، وأما العقل فهو مؤيد للنقل شاهد بصحة الشرع لعدم إمكان التعارض بينهما، وبين من اعتمد على العقل وقدمه على النقل، وقاعدتهم في ذلك أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل على النقل، وحمل النقل على معنى لا يخالف العقل، فجعلوا العقل أصلا والنقل فرعا.

من جهة أخرى نجد أن كثيرا من الكتابات صبغت بالطابع الكلامي والفلسفي، في حين نجد أن هناك طائفة من العلماء اتخذت موقفا صارما حيال علم الكلام والفلسفة وقالت أن في القرآن والسنة غنية عما سواهما، وبالتالي اختلفت طرائقهم في التأليف تبعا لذلك.

فما هو المنهج الذي ارتضاه الشيخ طاهر في عرض العقيدة ؟ وكيف كان استدلاله على مسائل العقيدة ؟ وما هي طريقته في التأليف في العقيدة ؟

هذا ما سيتم الإجابة عنه فيما سيأتي من مباحث.

المبحث الأول: مصادر الاستدلال على مسائل العقيدة

يحسن بنا قبل التطرق إلى الآراء العقدية للشيخ طاهر، أن نذكر المصادر التي اعتمد عليها في الاستدلال على آرائه العقدية، وسأتطرق فيما يلي إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، والعقل، لكون استدلاله جاء مبنيا على هذه المصادر الثلاثة، كما سأعرّج في هذا المبحث على نظرته إلى وسائل المعرفة.

المطلب الأول: القرآن الكريم

اعتمد الشيخ طاهر على القرآن الكريم في استمداد وتقرير مسائل العقيدة، باعتباره المصدر الأول من مصادر التشريع، فالقرآن عنده هو الإمام المبين، والهادي إلى سواء السبيل في كل ما ينزل بالإنسان ويلحقه في أمور الدين، ويستدل بقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:38]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩ ﴾ [النحل:89]، فالقرآن متضمن للدليل على سبيل الهدى في كل نازلة من نوازل الدين التي تعرض للناس[1].

ويرى الشيخ طاهر أن القرآن الكريم ورد بتوضيح الشريعة عموما وما يتعلق بأمور الاعتقاد خصوصا، فهو شامل لكل ما يُصلح العبد في دينه ودنياه، فالله تعالى قد أوضح شريعته الغراء في الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقامت به الحجة، واستقامت به المحجة، وتم به ما يتعلق بأمر النفوس في المبدأ والمعاد، من عمل أو اعتقاد، ولما كان شأن الاعتقاد عظيما وكان هو الركن الأول في أمر السعادة، ورد القرآن بتبيينه بيانا كافيا شافيا، قال الله تعالى فيه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل:89]، فجاء فيه ما يتعلق بالاعتقاد متفقا مع الفطرة السليمة، واضحا وضوحا لا يحتاج فيه سليم الفطرة إلى إعمال الفكرة[2].

ولما كان القرآن هو الأساس الذي تقوم عليه الشريعة والأصل الذي ينبني عليه أمر الاعتقاد، وكانت الكثير من آياته تحتاج إلى بيان وتفسير، فإن الشيخ لم يغفل هذا الجانب؛ بل أوضح المنهج

[1] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص893.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص90.

الأمثل في تفسيره وفهم معانيه فقال: "قال بعض المحققين: أحسن الطرق في التفسير أن تفسر القرآن بالقرآن فإن كثيرا مما أجمل في موضع قد فسر في موضع آخر، فإن لم تجد ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" [1]، وهذه قاعدة عامة ذكرها الشيخ طاهر أثناء ذكره لجهة نزول المطر حيث قرر أنه ينزل من السحاب بمنطوق القرآن، ولا تنافي في ذلك مع كونه ينزل من السماء كما ورد في عدد من الآيات؛ إذ المقصود بالسماء جهة العلو.

وهكذا نلاحظ أن الشيخ يفسر القرآن بالقرآن جريا على هذه القاعدة، ويقرر أن القرآن هو مصدر الاعتقاد وأصل الدين، وأنه يفسر بعضه بعضا، فما أطلقه الله تعالى في موضع قيده في موضع آخر، وما كان مجملا في موضع جاء مبينا في موضع آخر.

المطلب الثاني: السنة

يعرف الشيخ طاهر السنة لغة بقوله: "السنة الطريقة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى: الطريقة التي تقتضيها الحكمة من ترتيب المسببات على الأسباب وجعل العاقبة للتقوى وإهلاك الأمم الطاغية ونصر الرسل وما أشبه ذلك" [2].

وأما اصطلاحا فيعرفها بقوله: "وأما السنة فتطلق في الأكثر على ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير" [3]، فالسنة عند الشيخ طاهر عامة تشمل أقواله صلى الله عليه وسلم، وأفعاله كأداء الصلاة ومناسك الحج وغيرها من الأعمال التي حفظتها دواوين السنة، كما تشمل كذلك ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الأعمال الصادرة عن أصحابه.

والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، والأصل الثاني بعد القرآن الكريم في استنباط الأحكام الشرعية واستقاء الأمور العقدية، فهي مُبيّنة لكثير مما ورد إجماله في القرآن ومفسرة له كما يقول الشيخ طاهر، وهو يستدل على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:44]. فجميع ما حكم

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، إعتنى به: أحمد فريد المزيدي، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1428هـ-2007م]، ص201، وانظر أصل هذه العبارة، ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، [لبنان: بيروت، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1490هـ-1980م]، ص39.

[2] طاهر الجزائري، المرجع السابق، ص252.

[3] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص40.

به النبي صلى الله عليه وسلم هو مما فهمه من القرآن[1].

ولما كانت السنة تالية للقرآن ومبينة له فإن الشيخ طاهر يرى وجوب الأخذ بها والعمل بأحكامها فيقول: "ولما كانت السنة تالية للكتاب، وجب الأخذ بما ثبت منها بغير شبهة، فإنها كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، **فصارت العقائد مؤسسة على صريح الكتاب والسنة**"[2]، فهو يرى أن السنة عبارة عن وحي إلهي وأنها مصدر من مصادر العقيدة الإسلامية، و يستدل على ذلك بعدد من الآيات التي ورد فيها الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم ودلت على وجوب اتباع سنته، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم:1-4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:7]، وقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء:80]، إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت صريحة، ظاهرة الدلالة في وجوب الأخذ والعمل بالسنة[3].

وإذا كان الشيخ طاهر قد أوجب الأخذ بالسنة، فهل هذا يعني أن هذا الحكم شامل لجميع ما اشتملت عليه من متواتر وآحاد؟ والذي يهمنا في هذا الموضع هو رأي الشيخ في الأخذ بالأحاديث المروية من طريق الآحاد، وذلك لكون كثير من العقائد تقوم عليها نفيا وإثباتا، وهذا يرجع إلى الاختلاف في حجيتها.

لقد بحث الشيخ طاهر كثيرا من المسائل المتعلقة بالحديث وأقسامه في كتابه "توجيه النظر إلى أصول الأثر"، وأشار إلى خبر الآحاد باعتباره أحد قسمي الخبر، والذي يدخل فيه جزء كبير من الأحاديث النبوية، فهو يرى أن حال المخبر تختلف؛ فليس كل ناقل للخبر يكون صادقا، كما أن الخبر نفسه يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهو ما اقتضى أن يُبحث عما يُعرف به صدق الخبر، وذلك إما بطريق اليقين، وهذا في الخبر المتواتر، أو بطريق الظن، وذلك في غير المتواتر، فالخبر عموما ينقسم إلى متواتر وآحاد، وقد جعل العلماء للأحاديث النبوية مبحثا خاصا وذلك باعتبارها قسما

[1] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص893.
[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص91.
[3] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص894.

من أقسام الخبر[1].

وخبر الآحاد كما يعرفه الشيخ طاهر هو: "الخبر الذي لم تبلغ نقلته في الكثرة مبلغ الخبر المتواتر، سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، إلى غير ذلك من الأعداد التي لا تشعر بأن الخبر دخل بها في حيز المتواتر" [2]. ففي هذا التعريف نلاحظ تركيز الشيخ على شرط الكثرة العددية التي تحيل العادة تواطؤها على الكذب، فكل ما لم يبلغ المخبرون به حد التواتر يسمى آحادا.

وقد تكلم الشيخ عن نكير المتكلمين على المحدثين الذين يروون الأحاديث الضعيفة، من غير بيان ضعفها حتى حصل من الضرر ما حصل، وقام بالدفاع عنهم ونفى نسبة إنكار الأخذ بالحديث مطلقا إليهم فقال: "أن هؤلاء لا يتوقفون في وجوب الأخذ بالحديث إذا كان متواترا أو كان غير متواتر إلا أنه احتف به من القرائن ما يدل على صحته، وإنما يتوقفون في الأخذ بالحديث إذا كان مرويا من طريق الآحاد، ولم تقم قرينة على صحته، وأما الأحاديث الضعيفة فلا يقولون بها أصلا **وقد نحا منحاهم المتكلمون منا**"[3].

من خلال هذا الكلام الذي سبق يتبين لنا أن الشيخ يفرق بين أنواع الحديث من حيث الأخذ به، فهو يستبعد الحديث الضعيف فلا يقول به أصلا، ويستثني الحديث المتواتر فيرى وجوب الأخذ به، بقي حديث الآحاد، فهو يشترط للأخذ به أن تحتف به القرائن الدالة على صحته، فهذا النوع الأخير يلحق بالمتواتر من حيث الأخذ به، وفي حال انعدام هذا الشرط فإنه يتوقف في الأخذ به، وهذا رأي المتكلمين وبه يقول الشيخ طاهر حيث نص على تأييده عندما قال في العبارة السابقة: "وقد نحا منحاهم المتكلمون منا".

وإذا كان الشيخ طاهر يرى وجوب الأخذ بخبر الآحاد الذي احتفت به القرائن، فلا ريب أن يكون مفيدا للعلم عنده، ولهذا نجده يقول في سياق تعداده لأسباب اضطراب عبارات العلماء في الحديث المتواتر: "ومنها ظن بعضهم أن خبر الآحاد لا يفيد العلم وإنما يفيد العلم الخبر المتواتر مع أن خبر الآحاد قد يفيد العلم، وذلك إذا احتفت به قرائن توجب ذلك"[4].

---

[1] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص107-108.

[2] المصدر نفسه، ص108.

[3] المصدر نفسه، ص666-667.

[4] طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، [مصر، ط1، مطبعة المنار، 1334هـ]، ص95.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ طاهر كان شديد التحري في العمل بالسنة عموما، وفي نقل الأحاديث والاستدلال بها خصوصا، وهو ما يفسر قلة إيرادها في كتاباته العقدية، وغالب ما أورده منها لا يخرج عن الصحيحين، وهي على قلتها لا يوجد بينها ما ليس بصحيح في حد علمي، ومما يؤكد لنا دقة الشيخ وتحريه في هذه المسألة عدم تسويغه الاستشهاد بالأحاديث الواردة في غير مضانها إلا بعد التحقيق، حيث أنه لا يجيز الاستشهاد على حكم من الأحكام بالأحاديث الواردة في كتب اللغة ما لم يتثبت من صحتها، وذلك من خلال الرجوع إلى كتب الحديث، وما هذا إلا لكثرة ما وقع في كتب اللغة من الأحاديث التي لا تصح[1].

المطلب الثالث: العقل [2]

الفرع الأول: تعريفه ومكانته في الاستدلال عند الشيخ طاهر

قال الشيخ طاهر في تعريف العقل لغة: "العقل جمع عقال مثل: كتب وكتاب، حبل يعقل به البعير تقول: عقلت البعير عقلا من باب ضرب إذا ثنيت وطيفه مع ذراعه فشددتهما معا في وسط الذراع"[3]

وقال في تعريفه اصطلاحا: أنه الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي[4] حيث قال في حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب، به يستعد لإدراك الأشياء، وهو يطلق على ثلاثة معان أخرى تنشأ عنه:
أحدها: العلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، ونحو ذلك.

---

[1] طاهر الجزائري، الكافي في اللغة، [مصر: القاهرة، د.ط، مطبعة كردستان العامية، 1326م]، ص14.

[2] ذكر الجرجاني عدة تعريفات للعقل منها أنه: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، أنه جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، أنه: نور في القلب يعرف الحق والباطل، أنه: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، ثم قال: العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م]، ص152.

[3] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص60.

[4] هو الحارث بن أسد المحاسبي ، من أكابر الصوفية ، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة (243 هـ -857م)، من مؤلفاته: آداب النفوس، وشرح المعرفة، وغيرها. الزركلي، الأعلام، ج2، ص153.

ثانيها: ما يستفاد من التجارب، ومجاري الأحوال، فيقال في العرف لمن حنكته التجارب وهذبته النوائب: إنه ذو عقل.

ثالثها: معرفة عواقب الأمور، والجري على منهج الحكمة [1].

الواقع أن هذا التعريف ذكره الغزالي [2] ونقله الشيخ طاهر وارتضاه، غير أنه أبهمه ولم يشر إلى نقله، والعقل حسب هذا التعريف يطلق على الغريزة التي تكون سببا وطريقا للعلوم الضرورية كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، والعلوم النظرية المكتسبة الحاصلة بالنظر والاستدلال، كما يطلق على العمل وفق ما تقتضيه الحكمة، ولا خلاف بين هذه المعاني، إذ العقل غريزة خص الله تعالى بها الإنسان دون سائر المخلوقات، وهو عبارة عن العلوم الضرورية التي تولد مع الطفل كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وبهذه الغريزة يكون على استعداد لاكتساب مختلف العلوم النظرية، والعمل وفق ما هو أصلح لدينه ودنياه على منهج الحكمة، ويستفاد من هذه التعاريف أن العقل فطري جِبلِّي وهو ما عبر عنه بالغريزة، ومكتسب وهو ما يستفاد من التجارب والنوائب.

بعد أن عرفنا معنى العقل عند الشيخ طاهر نرجع إلى موضوع الاستدلال به على آرائه العقدية، حيث نجد أن الشيخ يعتمد إلى جانب النقل على العقل في تقرير كثير من مسائل الاعتقاد، إذ يرى أن العقل يوافق النقل ولا يمكن أن يَرِد صحيحُ النقل بمخالفة صريح العقل، ويذكر اتفاق العلماء على هذه القاعدة، ويستثنى من ذلك الحشوية [3]، وهم فرقة يضعون من العقل ما رفع الله من

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص122-123.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، [لبنان: بيروت، د.ط، دار المعرفة، د.ت]، ج1، ص85.

[3] يرى الشيخ طاهر أن الحشوية يصعب إدخالها في حد أو رسم، إذ ليس لهم جامع يجمعهم على أمر لعدم التزامهم قاعدة ما، فهم عنده بمنزلة السوفسطائية، ويرجح أنهم منسوبون إلى الحشو بمعنى العامة، أو إلى الحشو وهو الكلام الذي لا فائدة فيه، لوجود الحشو في كلامهم، أو لقولهم بوجود الحشو في كلام من دل صريح العقل على أن وجود ذلك فيه محال، وبالجملة فهم كما قال الشيخ:فرقة يضعون من العقل ما رفع الله من شأنه، ولا يلتفتون إلى برهانه، ولهذا فقد كان يحاسب الذين يرمون الكلام على عواهنه حسابا غير يسير ويسميهم حشوية، ونجده ينهى تلميذه محمد كرد عن قراءة أفكاره عليهم، بل كانت بينه وبينهم عداوة شديدة بلغت بهم حد الوشاية والتحريض لدى المسؤولين، ويظهر هذا في قيامهم على صديقه جمال الدين القاسمي وتحرشهم به بعد نشره لمجموع اشتمل على رسالة في أصول الظاهرية، فاندفع الشيخ طاهر للرد عليهم، وقد كان من بين هؤلاء أسعد الصاحب النقشبندي، يقول نزار أباظة: "كان إلى جانب العلماء طائفة من الصوفية أخذت حظا يسيرا من العلم جمدت عليه، سماهم الشيخ طاهر (الحشوية) اهتمت بقشور التصوف بعيدا عن لبابه، ومزجت ما عندها من العلم بكثير من الأوهام والخرافات وتقديس الأموات ونسبة الكرامات لهم وطلب الحاجات إليهم". نزار أباظة، "الشيخ طاهر الجزائري في المجتمع"، [مجلة التراث العربي، عدد:108، السنة 27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول 2007م]، ص 24. وطاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص114-116. ومحمد كرد، كنوز الأجداد، ص24، 37. وظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، ص429-430.

شأنه، ولا يلتفتون إلى برهانه، غير أن هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ ليست على إطلاقها، فهو يقيدها في موضع آخر و يفترض إمكان تعارض العقل والنقل، ويقرر أن الواجب عندئذ أن نحمل النقل على معنى لا يخالف العقل، وقد أثنى الشيخ على المعتزلة لشدة اعتنائهم بهذه القاعدة، فذكر في سياق الحديث عنهم أنهم أكثر الفرق اعتناءً بهذه القاعدة المشهورة، وهي: أن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فإن ورد فيه ما يوهم المخالفة، يُلجأ حينئذ إلى الجمع بينهما، بحمل النقل على معنى لا يخالف العقل، وتجعل دلالة العقل قرينة على ذلك، ومما يؤكد إقراره لهذه القاعدة وتصحيحه لها أنه ذكر مرة أخرى بعد كلامه عن المعتزلة الاتفاق عليها وأشار إلى شذوذ أناس من الحشوية، وقال أنهم فرقة لا يُعبأ بها، وأرجع مخالفتهم إلى احتمال عدم معرفتهم بما أريد بالعقل الصريح[1].

وفيما يلي أذكر بعض الشواهد من كلامه الذي جاء فيه الإشارة إلى ثنائية العقل والنقل:

- قال في إثبات حدوث العالم: "إتفق أرباب الملل على حدوث العالم بذاته وصفاته...ووافقهم على ذلك بعض الحكماء وهو الحق وقد شهد بذلك **العقل وأيده النقل**"[2].

- وقال في ذم الخوض في مباحث الذات والصفات: "هذا وقد تصدى بعض المتكلمين لمباحث في الذات والصفات، ولو سكتوا عنها لكان أقرب إلى ما يقتضيه **العقل والنقل**، ولو سئل أحدهم عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر"[3].

- وقال في الاستدلال على نفي مشابهة الخالق للخلق: "وقد قام **الدليل العقلي وأيده الدليل النقلي**، على أنه تعالى لا يشابه شيئا" [4]، وقال كذلك: "واستواءه على العرش ليس كاستواء الإنسان على السفينة أو ظهر الدابة أو السرير مثلا، فمن تصور ذلك فهو ممن غلب عليه الوهم، لأنه شبه الخالق بالمخلوقات مع أنه قد ثبت في **العقل والنقل** أنه ليس كمثله شيء"[5].

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد ، ص114، 119. وطاهر الجزائري، توجيه النظر، ص196.
[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص253.
[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص105.
[4] المصدر نفسه، ص98.
[5] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص46.

- وقال في إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة: "رؤية الله تعالى بالبصر ممكنة **عقلا** واقعة في الجنة للمؤمنين **نقلا**"[1]

الفرع الثاني: موقفه من الفلسفة وعلم الكلام[2]

أولا: موقفه من الفلسفة

كان للشيخ طاهر اهتمام بالفلسفة بنوعيها: الفلسفة أو الحكمة القديمة والفلسفة الحديثة، حيث كان يعطف عليها وعلى المشتغلين بها، وينحي باللائمة على المتأخرين الذين أعرضوا عنها وأوصدوا بابها فأظلمت العقول وضعف مستواها.

وقد وصفه عدد من الباحثين بالفيلسوف كتلميذه المتقدم محمد كرد الذي يقول: أن الشيخ طاهر إذ جمع إلى سلامة الفطرة وسلامة البيئة جودة النظر وبعد الهمة، جاء منه بالدروس والبحث عالم مصلح وفيلسوف إلهي، فقد كان فيلسوفا بكل ما في الفلسفة من معنى شريف، ويشبهه بابن الخشاب[3] الذي يشبهه الشيخ طاهر إلى حد بعيد، سواء في عاداته أو في علمه، فابن الخشاب إلى جانب كونه إماما في اللغة والأدب، وعالما بالحديث والهندسة وغيرها من العلوم، كان له معرفة بالمنطق والفلسفة، والشيخ طاهر كان من هذا الطراز[4].

وعلى الرغم من سعة علم الشيخ طاهر بالفلسفة إلا أنه لم يكن يكلف نفسه عناء إفهامها ومناقشة مباحثها مع من لا يسعفه إدراكه على استيعاب دقائقها وتشعباتها، كما ضرب صفحا عن الخوض فيها وإيداع كتبه العقدية شيئا من مباحثها وإيراد أقوال واختلافات الفلاسفة، وذلك لكون مؤلفاته العقدية موجهة للناشئة والمبتدئين على وجه الخصوص، فليس من الحكمة حشوها بما لا يناسب مقصدها والغرض من تأليفها، غير أننا نجد الشيخ في بعض كتاباته الأخرى ي نقل عن بعض

---

1 طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص101.

2 عرفه الإيجي بأنه: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه"، وعرفه الجرجاني بأنه: " علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام "، عبد الرحمان الإيجي، المواقف في علم الكلام، [لبنان : بيروت، د.ط، عالم الكتب، د.ت]، ص34، والجرجاني، التعريفات، ص156.

3 هو عبد الله بن أحمد بن الخشاب، محدث وإمام في النحو، ولد سنة (492هـ)، وتوفي سنة (567هـ)، من مؤلفاته: رد على الحريري، شرح اللمع. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، [لبنان: بيروت، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م]، ج20، ص523-527.

4 محمد كرد، كنوز الأجداد، ص9، 6، 14، 20.

الفلاسفة وينتقد آخرين،كنقله عن ابن سينا (ت428هـ- 1037م) فصلا من كتاب التعليقات في ماهية الأشياء وحقائقها وصعوبة إدراكها.

وأما انتقاده للفلاسفة فقد وقع له في بعض المواضع أذكر منها على سبيل المثال:

- انتقادهم في نسبة الاختيار إلى الفلك، وقولهم أن الفلك حيوان وأن له نفسا، والملائكة السماوية هي النفوس المحركة له، إلى غير ذلك من التفاصيل التي ذكروها بما ليس تحته طائل، كما ذكر الشيخ رد الغزالي على الفلاسفة في قولهم أن نفوس السماوات مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم وأن المراد باللوح المحفوظ نفوس السماوات.

- انتقاده مذهب أرسطو وغيره من الفلاسفة في القول بقدم العالم، والرد عليهم[1].

ثانيا: موقفه من علم الكلام

قرر الشيخ طاهر مسائل العقيدة بأسلوب سهل مبسط دون الخوض في التدقيقات الكلامية ولا الولوج في المسائل الخلافية بين مختلف الطوائف الإسلامية، فالذي يميز الشيخ عن كثير ممن كتبوا في هذا المجال هو ابتعاده عن الحشو الفلسفي والتعقيد الكلامي الذي طبع الكثير من الكتابات في المجال العقدي، والذي يحتاج من القارئ في كثير من الأحيان إلى نوع من التخصص حتى يفهمه، وعلى الرغم من استعمال الشيخ لبعض المصطلحات الكلامية مثل: الجوهر[2] والعرض[3] والقدم والحدوث، غير أنه لم يخض في تفاصيلها ولم يتعرض لإثباتها بالطرق الكلامية، بل نجده ينهى عن الخوض في بعض القضايا الكلامية كقضية الجوهر الفرد وذلك لغموض مباحثه، وي نتقد المتكلمين لتناولهم مباحث في الذات والصفات ويود لو أنهم سكتوا عنها فيقول: "هذا وقد تصدى بعض المتكلمين لمباحث في الذات والصفات، ولو سكتوا عنها لكان أقرب إلى ما يقتضيه العقل والنقل، ولو سئل أحدهم عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر"[4]، ونهيه عن الخوض في مثل هذه المباحث يرجع إلى دقتها وشدة غموضها، وإلى هذا المعنى يشير بقوله: "قال بعض الجهابذة: حصل

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص363، 211، 253.

[2] الجوهر هو: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، فالجوهر هو الموجود لا في موضوع ويقابله العرض وهو الموجود في موضوع. الجرجاني، التعريفات، ص79، وجميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص424.

[3] العرض هو: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. الجرجاني، التعريفات، ص148.

[4] طاهر الجزائري ، الجوهرة في قواعد العقائد ، ص105.

لي اليأس من معرفة خمس وهي: سر القدر، والروح، والزمان، والمكان، والجوهر الفرد، وقد رأيت أناسا تخيلوا أنهم عرفوها ووجدتهم أرباب وهم، خيل لهم حصول الفهم" [1]، فهذه من أهم القضايا الكلامية التي كثر فيها البحث والنقاش، واشتد فيها الخلاف بسبب ما يعتريها من الغموض، ونجد الشيخ طاهر يذكر عبارة قريبة من هذه العبارة التي سبقت، وذلك في تعقيبه على كلام للخطيب ابن نباتة في الحث على الرجوع إلى القرآن والتمسك به، والاستبصار بنوره، حيث أورد كلاما لبعض من آل بهم الأمر إلى الحيرة والندم بسبب الإغراق في الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية، فقال: "قال بعض الأعلام: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر:10]، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه:5]، وأقرأ في النفي: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى:11]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" [2]، وهذه العبارة التي تنم عن ندم قائلها هي للفخر الرازي، وتعد كلاما نفيسا في هذا الباب لأنها صادرة عن رجل خبير بالمسالك الكلامية والمناهج الفلسفية، فهذه الأخيرة حسب الرازي لا توصل إلى مرغوب، ولا تف بمطلوب، ويبقى الأصل الذي عليه المعول هو الطريقة القرآنية، التي جاءت واضحة جلية بعيدة عن الغموض والتعقيد.

وقد انتقد الشيخ طاهر بعض الآراء الكلامية كالإرجاء الذي يصفه بالبدعة التي يعظم ضررها، فهو يرى أنه سبب في انحطاط الأمة ودمارها، وانتقد بعض آراء المعتزلة المتعلقة بحكم مرتكب الكبيرة ووصفها بالبعد عن العقل، وضرب مثالا على ذلك بحكمهم بخلود النار على من خُتم له باحتساء جرعة خمر مثلا مع كونه كان من أهل الطاعة، وعمر عمرا مديدا في العبادة [3]، وانتقد المعتزلة أيضا في قولهم بوجوب رعاية الأصلح، كما انتقدهم كذلك رفقة الجبرية بسبب ما قرروه في باب القضاء والقدر، واختار التوسط بين المذهبين.

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص203.

[2] المصدر نفسه، ص314، وانظر هذا الكلام: فخر الدين الرازي، رسالة ذم لذات الدنيا، مطبوع ضمن:
Aymen shihadeh.The teleological ethics of fakhr al-din-al-razi.[lieden.Boston. Usa.library of congress. 2006]. P263.

[3] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص195، 196.

الفرع الثالث: موقفه من التصوف

نشأ الشيخ طاهر في بيئة أكثر أفرادها متصوفة، فلا تكاد تجد فردا من أفرادها إلا وله ولاء لإحدى الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في ذلك الزمان، غير أن الشيخ ابتعد عن تلك الطرق منذ صغره ولم يُعلم انتمائه إلى واحدة منها، والظاهر أن هذا النفور من قبل الشيخ يعود إلى طبيعة شخصيته المتحررة، الرافضة لأي نوع من أنواع القيود والحجر الفكري والعقلي الذي اتسمت به كثير من الطرق الصوفية.

وقد كان للشيخ طاهر اهتمام بتراث الصوفية وما كتب عنهم، وهذا ما يظهر من خلال عناوين بعض كنانيشه ودفاتره المخطوطة، نذكر منها [1]:

1- إختيارات من كتاب (البدع التي يفعلها فقراء الصوفية) لزروق الفاسي (ت:846هـ-1493م)، في (14) ورقة.

2- أمثال علمية دفينة وبحث في التصوف، في (14) ورقة.

3- دفتر فيه مختصر في قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة لزروق، في (20) ورقة.

4- قصائد علمية وتاريخية وأبيات فارسية في التصوف، في (23) ورقة.

5- دفتر منوعات من ضمنه: أسماء كتب الحلاج (ت:309هـ-922م)، في (21) ورقة.

6- فوائد علمية ودينية ورسائل لابن عربي (ت:638هـ-1240م)، في (25) ورقة.

7- العلم الشامخ وتكفير ابن عربي، في (25) ورقة.

8- دفتر فيه ترجمة معروف الكرخي (ت: 200هـ-815م) والسري السقطي (ت: 253هـ-867م)، ومقتطفات من كتاب (سلوة العارفين وأنس المشتاقين) لأبي خلف الطبري (ت: 470هـ-1077م)، في (25) ورقة.

وأما إذا رجعنا إلى كتب الشيخ طاهر المطبوعة وأردنا الوقوف على رأيه في الصوفية فإننا لا نكاد نجد لذلك أثرا، إلا بعض الإشارات الطفيفة نذكر منها:

1. ذم أقوام من الصوفية يذمون العقل والمعقول: والواقع أنه نقل كلاما للغزالي في طائفة من الصوفية الذين قاموا بذم العقل وامتهنوه واحتقروه، وادعوا أن الشرع يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا

---

[1] حازم زكريا، الشيخ طاهر الجزائري، ص71-74.

بالعقل، وقد بين الغزالي سبب قولهم وأرجعه إلى ما انجر عن صنعة الكلام من نقل اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات ، ورد عليهم بأن الله تعالى قد أثنى على العقل فكيف يتصور ذمه؟ وأن العقل يُتوقف عليه في معرفة صحة الشرع، فلا يمكن أن يكون مذموما، وإلا انجر عنه ذم الشرع، وأرجع أصل اضطراب هذه الفرقة في العقل إلى تعلقها بالاصطلاحات، وجهلها بالمراد من العقل، وبهذا يبطل مذهب هذه الفرقة التي أسقطت قيمة العقل وحطت من شأن ما رفع الله[1].

2. **مخالفة الصوفية في المعنى المراد من حديث أبي هريرة:** وهذا الحديث هو قول أبي هريرة: "حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم"[2]، فبعد أن ذكر الشيخ قول أبي هريرة أتبعه بقول بعض الصوفية في أن المعنى المراد بالوعاء الذي لم يبثه أبوهريرة هو الأحاديث المتعلقة بالأسرار الربانية، التي لا يدركها إلا أرباب القلوب، ثم ضعف الشيخ هذا الرأي الذي قالوا به وقال أن فيه نظر، لأنه لو كان كما ادعى الصوفية لما وسع أبا هريرة كتمانه عن جميع الناس، بل كان أظهره لبعض الخواص منهم[3].

وعلى الرغم من عدم الانتماء الفكري للشيخ طاهر لواحدة من الطرق الصوفية إلا أنه كانت تربطه علاقات صداقة بعدد من أربابها ومريديها، وقد أثمرت هذه الصداقة في تأثير الشيخ على كثير ممن غاب عنه عقله، وذهب عنه وعيه بسبب خرافات هذه الطرق، ونضرب لذلك مثالين:

– **المثال الأول:** أن الشيخ رأى مرة جماعة من الناس المنتمين إلى إحدى الطرق الصوفية، وقد اجتمعوا على إحياء طريقتهم وإقامة أذكارها، وكان شيخ هذه الطريقة من أصحابه وتلاميذه، فما زال الشيخ طاهر به حتى حمل الجماعة على مطالعة كتاب في التصوف، وكان هذا الكتاب في الأدب العالي والأخلاق الفاضلة، وقد ابتكر الشيخ طاهر طريقة فريدة لربط أفراد هذه الطرق بالعلم، ونقل بعض أرباب الاستعداد منهم من كتب التصوف إلى كتب العلم والأدب، فكان يغشى مجالسهم مظهرا أنه طالب استفادة، حريص على استماع درس أستاذهم، وهو يحمل إليهم النسخ

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص 124-125، وانظر عبارة الغزالي: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1، ص89.

[2] رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم 120، ج1، ص59. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: قصي محب الدين الخطيب، [مصر: القاهرة، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1400هـ].

[3] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص63.

المخطوطة من الكتاب لمعارضتها بالمطبوعة، يحاول أن يعلم بعضهم صورة المراجعة في كتب اللغة، لتسلم العبارة من الخطأ، فخرج من هذه الطائفة أدباء نافعون بعد أن كانت نفوسهم مشبعة بالخيالات والمنامات [1].

إن هذا المثال الذي مر يظهر لنا حرص الشيخ طاهر على الارتقاء بالمتصوفة، من خلال إشغالهم وربطهم بالعلم عوضا عن الخيالات والمنامات، وقد تحمل في سبيل ذلك كثيرا من تجهم أفراد الطرق وجفائهم، وسلك منهجا قائما على الحكمة ظهر في تواضعه وتمثيله دور الطالب الباحث عن المعرفة.

– **المثال الثاني**: ما وقع للشيخ طاهر مع أحد معاصريه ممن كان له اشتغال بالتصوف والرياضة فغلبت عليه الخيالات بحيث لا يتخيل شيئا إلا تمثل له، وحدث أن اشتغل فترة بقراءة الأناجيل وحفظها وحضور كنائس النصارى، فكثر تخيله لقصة صلب المسيح حتى رأى المسيح مرة متمثلا أمامه بهيئته عند الصلب، وأثر المسامير في يديه كما قرأه في الأناجيل ، فاعتقد أن هذه الرؤية حسية حقيقية وخطب في النصارى بذلك، فصدقوه وقالوا إنه قديس، وشاعت المسألة وكثر تناقلها، فالتقى الشيخ طاهر بهذا الشيخ وتحدث معه في المسألة دون تخطئته، وإنما شغل ذهنه وخياله بآيات المسيح وبقدرته على الظهور بأشكال مختلفة (كما ذكروا في الإنجيل) وبلغ معه إلى مسألة إلقاء شبهه على يهوذا، وما بينه الله تعالى من التشبيه لهم ، وما زال به حتى تغيرت قصة الصلب وصورتها في خياله، فرأى المسيح مرة أخرى على خلاف الهيئة الأولى وسأله عن حقيقة مسألة الصلب؛ فأخبره بأنه ألقى شبهه على يهوذا وأن الأمر شبه عليهم، فذهب الشيخ وخطب في النصارى بهذه الرؤية فنبذوه واعتقدوا أنه مجنون [2].

إن هذه الواقعة تظهر لنا وجها آخر من وجوه المنهج الدعوي الذي سلكه الشيخ طاهر في بث العقيدة الصحيحة ونبذ الأوهام والخيالات، حيث استطاع بحكمته التأثير على هذا الشيخ الصوفي وقلب تصوره الفاسد ورده إلى التصور الإسلامي الصحيح في قضية صلب المسيح، ولم يكن يستطيع ذلك لولا معرفته بأحوال الصوفية وطرائقهم في التفكير والسلوك، ويمكن لنا ملاحظة الجانب الأخلاقي الذي يظهر في المنهج العملي للشيخ طاهر، حيث نلاحظ اجتنابه تخطئة الشيخ الصوفي في ما ادعاه وجاهر به مع عظم وخطر ما قام به.

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص15-16.

[2] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م]، ج6، ص44.

الفرع الرابع: موقفه من التأويل

يحسن بنا قبل التطرق إلى قضية التأويل عند الشيخ طاهر أن نقف أولا على معناها في اللغة والاصطلاح.

التأويل في اللغة:

للتأويل في اللغة العديد من المعاني فهو من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المؤْئِلُ أي الموضع الذي يرجع إليه.

والتأويل من آلَ إليه أوْلاً ومَآلاً أي: رَجَعَ، وأوَّلَهُ إليه: رَجَعَهُ، وأوَّلَ الكَلامَ تَأْويلاً وتَأَوَّلَه: دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ وفَسَّرَهُ[1].

وعليه فالتأويل من معانيه في اللغة: الرجوع والتفسير والتدبر والتقدير.

وأما اصطلاحا:

فيذكر ابن تيمية أن لفظ التأويل يستعمل في ثلاثة معان:

المعنى الأول: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به، وهذا اصطلاح المتأخرين من المتكلمين.

المعنى الثاني: أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله – من المصنفين في التفسير.

المعنى الثالث: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:53]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون: من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك[2].

وأما الشيخ طاهر فلم أقف له على تعريف للتأويل، غير أن الذي يفهم من كلامه الذي ورد في هذا الجانب أنه يستعمل لفظ التأويل بالمعنى الأول الذي ذكره ابن تيمية.

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، [سوريا: دمشق، ط 1، دار القلم، 1412هـ]، ص99. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، [لبنان: بيروت، ط8، مؤسسة الرسالة، 1426هـ،2005م]، ص963.

[2] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، [السعودية: المدينة النبوية، د.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ-1995م]، ج3، ص56.

موقفه من التأويل:

يقوم منهج الشيخ طاهر في تقرير الصفات الإلهية على عرض موقف السلف المثبت للصفات الثابتة بنصوص الوحي من غير تأويلها، وعرض موقف المتكلمين من الخلف الذين يقومون بتأويل الصفات وصرفها عن ظاهرها، وعدّها من المتشابه الذي ينبغي تأويله بإعمال المجاز فيها وعدم حملها على الحقيقة، ثم يقوم بعد ذلك بترجيح مذهب السلف وتقريره والرد على المتكلمين بقياس الصفات بعضها على بعض، وإلزامهم إما بتأويل جميع الصفات وعدم التفريق بينها أو عدم تأويل الجميع، إذ التفريق بينهما لا يعقل فهو من قبيل الوهم، فينبغي ملاحظة التجرد حال إضافة الوصف إلى الخالق، إذ لا تشابه بين صفات الخالق والمخلوق، وقد سلك الشيخ هذا المنهج في عدد من الصفات مثل: الاستواء، والنزول، والرحمة، والغضب، يقول الشيخ بعد بيانه لطريقة السلف ومسلكهم في باب الصفات: "ومن عرف الدخول في هذه الطريقة نجا من غوائل المجاز، ووصل إلى الحقيقة، وسهل عليه فهم كثير مما يعده الخلف متشابها، من آيات الكتاب المنزل، وأحاديث النبي المرسل، وتبين له المقصد الأسنى في الأسماء الحسنى" [1]، والذي يظهر من هذه العبارة أن الشيخ طاهر يرى أن منهج السلف هو الطريق الموصل إلى الحقيقة في باب الصفات، المنجي من مزالق التأويل والمعين على فهم المتشابه من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما من خالف ما سبق تقريره وسلك غير الطريق الذي تم تحريره، فلا شك أنه سيفتح عليه أبوابا من الإشكالات لا حصر لها، ولا سبيل إلى غلقها إلا بنفي المشابهة بين صفات الخالق والمخلوق، وحمل ماورد من صفات على معنى يليق بجلال الله وكماله، يقول الشيخ: "وأما من لحظ فيما نسب إلى الخالق مثل ما لحظه فيما نسب إلى الخلق لم ينج من إشكال، فإنه إن أثبت ذلك للحق على الوجه الذي تصوره في الخلق وسم بالتشبيه والتمثيل، وإن نفى ذلك بالكلية وسم بالتعطيل، وإن ظن أن ظاهره يقتضي ما يتصوره في الخلق، غير أن الدليل ألجأه إلى التأويل رعاية لجانب الحق أوقع في النفوس أن الشرع متشابه في أكثر المواقع، موهم لخلاف الواقع، وفي ذلك فتح لباب من المجاز يؤدي إلى مهامه، يضل فيها القطا، ولا يؤمن من الخطا. وأما من عرف من أول الأمر أن صفات الخالق لا تشابه صفات الخلق، فحمل ما نسب إليه من صفات على ما يليق بكمال ذاته فقد سلك إلى باب الحقيقة أحسن طريقة "[2]. وحسب هذا الكلام فإن المسلك الذي

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص103.

[2] المصدر نفسه، ص103-104.

ينبغي انتهاجه في باب الصفات الإلهية يقوم في أصله وينبني في أساسه على ملاحظة انتفاء المشابهة بين صفات الخالق والمخلوق، وأما من خالف ذلك فإنه يقع في عدد من الإشكالات منها:

1. التمثيل والتشبيه: وذلك في حال إثبات الصفات الإلهية على الوجه الذي يُتصور في الخلق.
2. التعطيل: وذلك في حال نفي الصفات الإلهية بالكلية.
3. إيهام تشابه الشرع: وذلك في حال إثبات الصفات الإلهية مع ظن اقتضاء ظاهرها لما يتصور في الخلق غير أن الدليل ألجأه إلى التأويل رعاية لجانب الحق.

وعلى الرغم من ترجيح الشيخ طاهر مذهب السلف الذي يقضي بإمرار الصفات على ظاهرها من غير تأويل، إلا أن لا يمنع التأويل مطلقا بل هو يجيزه ولكن بشروط منها:

1. الضرورة: حيث قرر الشيخ أنه يسوغ الأخذ بمذهب الخلف في التأويل وذلك عند الخشية من وقوع بعض الناس في مغبة التشبيه إن لم يؤول لهم الكلام.
2. إستحالة المعنى الظاهر.
3. أن يكون التأويل سائغا في اللغة المشهورة.

ومن الملاحظ أن الشيخ طاهر قد وقع في تأويل بعض الصفات، مثال ذلك: تأويله لصفة المجيء التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ ﴾ [الفجر:22]، حيث أول المجي بمجيء الأمر، وعند قوله تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾ [الحشر:2]، نجده يؤول الإتيان الوارد في الآية ويحمله على المجاز؛ فيقول أن المراد هو: إتيان أمر الله لا إتيان الله حقيقة؛ فذاك محال لكون المجيء من خواص الأجسام كما تقرر في علم الكلام [1].

والشيخ طاهر بتأويله لصفة الإتيان والمجيء قد وافق الأشاعرة الذين قالوا بوجوب حملها على غير معنى الزوال والانتقال الذي هو صفة المحدود المتحرك المنتقل المتمكن في مكان بعد مكان [2].

ولقد أدرك الشيخ عظم شأن التأويل وخطورة الإحجام أو الإقدام عليه من غير ضابط، ولهذا نجده يحيل على كتابات العلماء الذين جمعوا بين العقل والنقل على حد وصفه، من أمثال الغزالي

---

[1] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، [د.م، د.ط، د.د، د.ت]، ص110، 141.

[2] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحـ قيق: زاهد الكوثري، [مصر : القاهرة، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث، 1421هـ-2000م]، ص40. و أبو بكر محمد بن فورك، مشكل الحديث، تحقيق: دانيال جيماريه، [سوريا: دمشق، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 2003]، ص98-100. وأبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله الحاشدي، [السعودية: جدة، ط1، مكتبة السوادي، 1413هـ-1993م]، ج2، ص66.

والفخر الرازي[1] وذلك للتخلص من جمود الظاهرية الذين يحملون على الظاهر ما يظهر أنه مؤول، ومن انحلال الباطنية[2] الذين يؤولون ما ينبغي أن يحمل على الظاهر[3].

المطلب الرابع: وسائل المعرفة

شغلت قضية المعرفة الإنسانية تفكير الباحثين منذ عهد بعيد فتناولوها بالبحث والدراسة في عدد من الجوانب، غير أن كلامنا في هذا الموضع سيكون منصبا حول الوسائل الموصلة إليها كما قررها الشيخ طاهر، وهي: الحواس، والعقل، والخبر الصادق، و تعد مقدمة كتابه "الجوهرة في قواعد العقائد" رحلة في رحاب المعرفة، حيث عرض فيها الشيخ لوسائل المعرفة في تسلسل منطقي بدءا من الحس، مرورا بالعقل، ووصولا إلى الوحي واتباع الشرع.

قال الشيخ: "فإذا بحث عن أسباب العلم تبين له أنها ثلاثة: الحواس، والعقل، والخبر الصادق"[4]، وقال: "قد تقرر أن من الأشياء ما يعرف بواسطة العقل، ككون الواحد نصف الاثنين، وككون: كل حادث لابد له من محدث، وأن منها ما يعرف بواسطة الحس، ككون زيد قال كذا، أو فعل كذا، فإن القول يدرك بحاسة السمع، والفعل يدرك بحاسة البصر، والذي يعرف بواسطة الحس قد يعرفه من يحس به بواسطة خبر من أحس به" [5]، فالمعرفة عند الشيخ طاهر حسب هذا الكلام تنحصر وسائلها والطرق الموصلة إليها في ثلاثة أشياء، أولها العقل الذي يدرك العلوم الضرورية كمعرفة ترتب الأسباب على المسببات، وهو ما يعرف بمبدأ السببية الذي مثل به الشيخ، وثانيها هو الحس الذي يدرك به بعض الأقوال والأفعال عن طريق حاستي السمع والبصر، والمعرفة الحسية قد

---

[1] هو محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله، الملقب بفخر الدين، فقيه شافعي، عالم بعلم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، ولد سنة (544هـ)، وتوفي سنة (606هـ)، من مؤلفاته: المطالب العالية، وغيره. أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، [لبنان: بيروت، ط7، دار صادر، 1900م]، ج4، ص248-252.

[2] الباطنية: فرقة ظهرت زمن المأمون، أسسها جماعة منهم: ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن ديسان الملقب بذيذان، ويعود سبب تسميته ا إلى حكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا، ولهم العديد من الأسماء منها: الباطنية والقرامطة والمزدكية والإسماعيلية وغيرها . عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، [لبنان: بيروت، ط2، دار الآفاق الجديدة، 1977م]، ص16. والشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص190.

[3] طاهر الجزائري، تقريب المجاز، ص93.

[4] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص47.

[5] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص107-108.

تكون مباشرة كما قد تكون بواسطة الخبر وهو الطريق الثالث من طرق المعرفة، ويلاحظ أن الشيخ طاهر قد أهمل بعض ما يعده بعضهم طرقا ووسائل للمعرفة كالكشف[1] والرؤيا عند الصوفية مثلا.

وقد جاءت الإشارة في القرآن إلى الجمع بين هذه الوسائل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يوسف:109]، "فبالسير في الأرض تتكون الصور الحسية لآثار السابقين، من خراب الديار، ودروس العمار، بعد أن كانوا أكثر قوة وجمعا، وهذا هو عطاء الحس، ثم تأتي مهمة العقل، وذلكه بالنظر في هذا العطاء الحسي، فيفحصه مرتبا له، ورابطا لأجزائه، بعضها ببعض، يقيس الغائب على الشاهد ويلحق الشيء بنظيره، والفرع بأصله، والملزوم بلازمه، إلى غير ذلك من الأعمال العقلية؛ ثم يخرج بالنتيجة، وهي صلاح الدار الآخرة، وتقديمها على الدار الفانية"[2]

الفرع الأول: الحواس

المعرفة الحسية هي التي تحصل عن طريق الحواس وما تنقله إلينا من لمس وتذوق وشم وسمع وبصر، فإن "الحواس الظاهرة، وهي السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس —لما أن السمع إنما يدرك المسموعات، وهي ما يحدث من تموج الهواء عند تصادم الأجسام، والبصر إنما يدرك الألوان، والشم إنما يدرك الروائح، والذوق إنما يدرك الطعوم، واللمس إنما يدرك الخشونة والنعومة، ونحو ذلك. على أن الحواس لا تدرك إلا جسما، أو ما هو في جسم"[3]، كما أن الحواس خادعة في ما تنقله من صور المحسوسات، ويمثل الشيخ بأقوى الحواس وهو البصر الذي" يرى الظل ساكنا، ثم بعد حين يظهر أنه لم يكن ساكنا، بل متحركا، ولم تظهر حركته ابتداءً، لعدم حصولها دفعة بل بالتدريج، ويرى الكوكب صغيرا بقدر الدينار، ثم يظهر بالبراهين الهندسية أنه أعظم من الأرض في المقدار، ويرى الخاتم المقرب من العين كالحلقة الكبيرة، ويرى القطرة حين نزولها كالخط، ويرى الشعلة إذا أديرت بسرعة كالدائرة، ويرى القمر سائرا إلى الغمام حين يكون الغمام سائرا إليه —إلى غير ذلك من

---

[1] الكشف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا. الجرجاني، التعريفات، ص184

[2] عثمان حسن، مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، [السعودية: الرياض، ط1، دار الوطن للنشر، 1413هـ]، ص67-68.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص41-42.

المسائل التي يحكم فيها الحس بحكم يرفضه العقل" [1]، فتبين بهذا أن إدراك البصر للأشياء كثيرا ما يكون على خلاف ما هي عليه فهو من جهة لا يدرك جميع الأشياء، ومن جهة أخرى فإن إدراكه لبعضها قد يكون ضعيفا، ثم حكمه على ما أدرك قد يكون فيه شطط.

ولما كان هذا حال البصر الذي هو أقوى الحواس فإن الشيخ طاهر يرى أن الحس في حال انفراده لا يوثق بحكمه، بل يجب عرضه على العقل، لينظر فيه نظر تمييز، فإن رده نقض، وإلا أجيز[2].

وعبارة الشيخ طاهر تكاد تنطبق مع عبارة الغزالي في التشكيك في الحواس، وأنه لا يعول على الحس وحده في إفادة العلم اليقيني، فهو يتفق معه على أن الحكم النهائي ليس للحس، يقول الغزالي في معرض ذكره لمحاولة تشكيكه في الحواس: "من أين الثقة بالحواس؟ وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة – بعد ساعة – تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة واحدة بغتة، بل بالتدريج ذرة، ذرة، حتى لم يكن له حالة وقوف وتنظر إلى الكوكب، فتراه صغيراً في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار. هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته ، فقلت: قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً ، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات"[3].

يتلخص مما سبق:

– أن الحواس لا تدرك إلا الأجسام أو ما كان في الأجسام، وحكمها يتعلق بالجزئيات دون الكليات.

– أن حكم الحواس في الجزئيات كثيرا ما يكون على غير حقيقتها أي غلطا كما نص عليه الشيخ، وذلك كإدراك حاسة العين لحجم الخاتم القريب أو الكوكب البعيد أو القطرة النازلة أو الشعلة المدارة، فكلها أحكام خاطئة.

– أن حكم الحواس غير موثوق فيه إذا انفرد، والعقل هو الحاكم على المعرفة الحسية فينبغي عرضها على العقل للحكم فيها.

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص47-48.

[2] المصدر نفسه، ص47، 49 .

[3] أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، [مصر، د.ط، دار الكتب الحديثة، د.ت]، ص112-113.

ولما كان هذا حال الحواس فقد تجاوزها الشيخ إلى العقل وتحدث عن المعرفة العقلية، وأعلى من شأن العقل، فأهمية المعرفة العقلية من هذا الجانب تفوق أهمية المعرفة الحسية.

الفرع الثاني: العقل

بعد أن نقد الشيخ الحس وأبطل الثقة به في الاعتماد عليه في تحصيل المعرفة وإدراك الحقائق إذا انفرد، انتقل إلى العقل وقرر أن دوره هو تمييز المعرفة التي نقلتها له الحواس، يقول الشيخ متحدثا عن إعجاب الإنسان بالعقل "ثم إذا نظر في العقل تراءى له نور من عالم القدس، تسمو به النفس، وهو يسمو على الحس، ثم إذا رأى إشراقه على كل كلي وجزئي —ومرئي وغير مرئي–ازداد إقبالا عليه، وركونا إليه. وقال: هذا ذو الفضل، والحكم الفصل، الذي تعرف به المصالح، ويتعرف به كل عمل صالح، وهو ميزان الموازين، الذي لا أجد لمن أخذ منه بقسط موازين" [1]، وهذه النظرة فيها نوع من المبالغة والثقة الزائدة في العقل وربما أدت إلى الإيمان المطلق بقدراته في مجال المعرفة، فالعقل على الرغم من كونه يسمو على الحس، وحكمه أعلى درجة من حكم الحس، إلا أن له حدا ينتهي عنده لا يمكنه تجاوزه، يقول الشيخ طاهر عن المعجب بالعقل بعد ترك الحواس والانتقال إليه والاعتماد عليه: "ثم إذا أنشط من عقاله، عرف أنه غلا في مقاله، وتجاوز حده، ولم يقف عنده، وأنه نظر بعين الهوى، فهوى فيه فيما هوى. فإذا تأمل مليا، تبين له أنه كان مستغرقا في مدح نفسه، وهو غائب عن حسه. فإذا جرد نفسه عن الهوى، ونظر إلى العقل، تبين له أن للعقل حدا يقف عنده من حيث ما هو عاقل، لا من حيث ما هو قابل، وأن البصيرة كالبصر" [2]، فالعقل من حيث محدودية إدراكه كالحس، فهو غير مستقل بالكلية في الإدراك والوصول إلى المعرفة، وليست مرتبته دون مرتبة الحس في الإدراك، فهو وسط بين هذا وذاك، وإلى هذا يشير الشيخ بقوله: "فإذا تجرد العقل عن الوهم رأى أنه أعجب بنفسه أولا، فرفعها فوق منزلتها، حتى ظن أنه يمكنه أن يعرف كل شيء وازدرى بها ثانيا، فأنزلها دون منزلتها، حتى ظن أنه لا يشعر بشيء، وفي إنزال نفسه دون منزلتها خطر بين، فإنها جوهرة نفيسة من جواهر الملإ الأعلى، لا تعادلها جوهرة من جواهر الملإ الأدنى، وهبها إياه العليم الحكيم، فضلا منه ومنة، ليعرف قدرها ويضعها في منزلتها التي تستحقها، وإلا كان مخلا للحكمة،

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص48-49.
[2] المصدر نفسه، ص49.

غير مجل للنعمة"[1].

ومن إنزال العقل منزلته التي تنبغي له، ومعرفة قدره وعدم الرفع من شأنه فوق ما ينبغي له، ولا الحط من قدره دون ما يستحقه، أن يُعرف أن المعارف التي يُحصلّها والقضايا التي يدركها ليست على درجة واحدة، فمنها ما يحكم عليه بطريق اليقين، ومنها ما يحكم عليه بطريق الظن، وقد يتردد في أشياء، وقد لا تخطر له أخرى حتى ينظر فيها، ويبين الشيخ نوعين من القضايا وهما: القضايا اليقينية والظنية[2].

فأما اليقينية وهي المبادئ الأولى للبرهان فسبع وهي:

1- البديهيات: هي ما يجزم العقل بها بمجرد تصور طرفيها، كقولنا: أن الكل أعظم من جزئه.

2- قضايا قياساتها معها: وهي ما يحكم بها العقل بوسط يتصوره الذهن عند الطرفين، نحو: الأربعة زوج.

3- المشاهدات: هي ما يحكم بها العقل بواسطة الحس الظاهر، كقولنا: الشمس مشرقة، أو الحس الباطن: كحكمنا بأن لنا غضبا ورضى.

4- المجربات: هي ما يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار، كقولنا: البطنة تضعف الفطنة.

5- الحدسيات: هي قضايا مبدأ الحكم بها حدس قوي يزول معه الشك، كقولنا: نور القمر مستفاد من نور الشمس

6- المتواترات: هي ما يحكم بها العقل بواسطة إخبار قوم يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس.

7- الوهميات في المحسوسات: نحو كل جسم في جهة، فإن حكم الوهم في الأمور المحسوسة جائز يصدقه العقل، بخلاف حكم الوهم في المجردات والمعقولات الصرفة، فإن أحكام الوهم فيها لا تقبل.

وأما القضايا الظنية التي يحكم بها العقل مع تجويز نقيضها تجويزا مرجوحا فأربع:

1- المسلمات: هي التي تقبل في الوقت بناءً على أنه قد قام عليها برهان في موضع آخر.

2- المشهورات: هي قضايا اتفق عليها الجمع الغفير من الناس لمصلحة عامة، أو لرقة في النفس، أولحمية، وقد تكون صادقة كقولنا: مواساة الفقراء محمودة، وقد تكون كاذبة كقول بعضهم: لا يجوز ذبح الحيوان للانتفاع به.

3- المقبولات: هي التي تؤخذ ممن حسن الظن فيه، ولم يقم الدليل على عصمته من الخطأ.

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص58.

[2] المصدر نفسه، ص59-65.

4- ما اقترن بقرائن تدل عليه: كالحكم بنزول المطر بسبب وجود السحاب الكثيف الرطب.

ولما كان هذا شأن العقل فهو عاجز عن إدراك حقائق الأشياء كإدراك حقيقة الروح، وإدراك حقيقة الله تعالى، وبهذا يتبين أن العقل والحس سيان في عدم إدراك المعرفة اليقينية وعدم الاستقلال بالمعرفة، يقول الشيخ طاهر: "قد تقرر في علم الكلام أن الحواس قد تغلط في بعض الأحيان، وأن ذلك لا يرفع الاطمئنان إلى ما أدركته في سائر الأحيان، ومثل ذلك العقل" [1]، ومنه يعلم حاجة العقل إلى الشرع، فالعقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، لكنه ليس مصدرا مستقلا بل يحتاج إلى الشرع الذي عبر الشيخ عنه بالخبر الصادق.

الفرع الثالث: الخبر الصادق

والمقصود به هنا هو الوحي، فبعد أن بدأ الشيخ طاهر بالحس وأبان عجزه وقصوره عن الوصول إلى المعرفة إذا انفرد، وتجاوزه إلى العقل وبين عجزه هو الآخر عن الاستقلال في تحصيل المعرفة وإدراك كثير من الحقائق انتقل إلى الخبر الصادق، فلما كان الحال كما بين ظهر احتياج العقل وافتقاره إلى غيره، وفي هذا يقول الشيخ: "قد عرفت أن العقل على علو درجته وشرف منزلته له حد يقف عنده، ولا يتجاوزه إلى ما بعده. فهو قليل الغناء في كثير من المواضع المهمة، كثير العناء في المعضلات الملمة، إن عرف كليات الأشياء، نحو أن يعلم حسن اعتقاد الحق، وقول الصدق، والقيام بالقسط، وقف عند جزئياتها، فلم يعرف ما يجب أن يعتقد في شيءٍ شيءٍ، وما هو عدل في شيءٍ شيءٍ، فإن عرف من ذلك شيئا، احتاج إلى من يعرفه سائرها، أو جلها" [2]، ومن أجل ذلك كان إنزال الوحي، وإرسال الرسل لهداية الناس وتعريفهم أسباب السعادة حاجة ملحة فوق كل حاجة، ومنه يتبين تمام العناية الربانية في رعاية شؤون خلقه وبيان أسباب سعادتهم، فإذا كان البدن لا يستقيم إلا بالأغذية التي وجب أن تكون على قدر مخصوص في وقت مخصوص فكذلك الحياة الإنسانية لا تستقيم، والنفس البشرية لا تسعد إلا بعقل قائد ودين إلهي مسدّد، وهذا ما يؤكده الشيخ طاهر بقوله: "فكما أن الأغذية ونحوها لا تكون سببا لصحّة الجسم إلا إذا استعملت بمقدار مخصوص على وجه مخصوص، كذلك أسباب سعادة النفس، وهذا ليس يتبين إلا بوحي ربّانيّ، فصارت الحاجة إليه فوق كل حاجة، فاقتضت عناية الله سبحانه بعباده أن يرسل إليهم رسولا من

[1] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص164.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص71.

أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة" [1]، فالعقل في حاجته إلى الشرع كالبصر في حاجته إلى النور ليبصر، وكالسراج في حاجته إلى الزيت ليضيء، وكالأساس في حاجته إلى البناء لينفع ويفيد، وهذه كلها أمثلة ضربها الشيخ لبيان تظاهر العقل والشرع وبيان حاجة كل واحد منهما إلى الآخر.

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص72.

المبحث الثاني: منهجه في التأليف

سأتطرق في هذا المبحث إلى أهم ما طبع منهج الشيخ طاهر الجزائري في كتاباته العقدية، بالإضافة إلى استقراء المصادر التي رجع إليها واستقى منها بعض آرائه العقدية، وهذا له فائدة في معرفة العلماء والكتابات التي كان لها تأثير على فكر الشيخ.

المطلب الأول: السمات العامة لمنهجه

بعد التمعن والقراءة المتكررة لكتب الشيخ طاهر العقدية، أو لما تفرق وتناثر من مسائل عقدية في كتبه المتنوعة، تبين لي أن أهم السمات التي تميزت بها كتاباته ما يلي:

1. السهولة والتيسير

تميزت كتابات الشيخ طاهر في العقيدة بالأسلوب السهل البعيد عن التكلف والتعقيد ، فقد اتسم أسلوبه في تقرير مسائل وقضايا العقيدة خاصة بسهولة اللغة، وهذا راجع إلى أن عددا من مؤلفاته ألفها في شبابه، وكان تركيزه منصبا على نفع طلبة المدارس بتذليل العلوم وتقريبها للناشئة لاسيما أيام اشتغاله بالتفتيش على المدارس الابتدائية، حيث اتجهت همته إلى التأليف المدرسي الذي كان منه كتابه في العقيدة: "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية"، ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من التأليف لا يعكس علمه الغزير ولا يتناسب مع سعة اطلاعه، غير أنه متعمد من الشيخ وراجع إلى ما سبق ذكره،كما اهتم الشيخ طاهر باختصار المطولات من كتب المتقدمين ليسهلها على المبتدئين، وكان يتحاشى الكتابة في بعض المسائل العقدية التي يشوبها الغموض ولا يتيسر فهمها لكل الناس، مثال ذلك المباحث المتعلقة بباب القضاء والقدر حيث نجده يقول بعد اختصاره لبعض مسائل هذا الباب: "كان بودي أن لا أكتب في هذا المبحث شيئا لشدة غموضه، غير أني رأيت كثيرا من مسائله قد انتشرت، فكتبت ما عساه يكون كافيا لمن يقنع بالإيجاز، ويكون له به إلى الحقيقة مجاز"[1]، ومن صور التيسير كذلك التي طبعت كتابات الشيخ طاهر في مجال العقيدة الابتعاد عن أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم التي تستدعى تخصصا نوعيا لفهمها والأخذ بإجرائيتها[2].

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص301.

[2] مرزوق العمري، "الشيخ طاهر الجزائري ونظرته إلى تدريس العقيدة"، [مجلة التراث العربي، تصدر عن ا تحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م]، ص57.

2. إهتمامه بالكيف لا الكم

كان تركيزه على المحتوى المعرفي دون الالتفات إلى حجم ومقدار المؤلَّف، وكان يعيب على من يترك الكتابة المختصرة في أحد الموضوعات المهمة رغبة في التطويل والإكثار، يقول: "ومن العادات الرديئة جدا أن الكاتب قد يمكنه أن يكتب في إصلاح عادة لكنه يرى أن الكلام في ذلك يكفي فيه عشرة أسطر فيرى أن الناس يزدرون بذلك وينسبونه لقلة القدرة على الإنشاء فيترك الكتابة فيه" [1]، ولهذا جاءت كتاباته العقدية مختصرة مقتضبة العبارة، بعيدة عن الحشو والتطويل، خذ مثالا على ذلك كتابيه "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية"، و"الجوهرة في قواعد العقائد"حيث أوضح فيهما العديد من المباحث العقدية، من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل ، فجاءت عبارته موجزة غلبت فيها الفكرة على الأسلوب، وحسن المقصد ونبل الهدف في تذليل علم العقيدة وتيسير مباحثه على التوسع والاستطراد في التنضير وذكر الخلاف ومذاهب العلماء، وليس اقتصاد الشيخ في هذا الباب يرجع إلى عجزه في التأليف ولا قصور عن البيان، بل إن الشيخ ممن عُرف بالاقتدار على التأليف وممن أوتي حظا من البيان والتبيان، يقول محمد كرد: " ولذا كان من سرت دعوتهم سراية مقبولة في العصرين الأخيرين هم ممن رزقوا حظا من البيان والتبيان وقدرة على التأليف والوضع ومنهم شيخانا عالما القطرين الشيخ محمد عبده المصري والشيخ طاهر الجزائري الدمشقي" [2]، ويقول أيضا: "كان يسهل عليه التأليف فيما ترتاح إليه نفسه من الموضوعات، وقد يؤلف الكتاب في بضعة أسابيع على شرط أن يوقن أنه سيطبع"[3].

إن المشكلة التي كانت تؤرق الشيخ تكمن في طبع ما يكتب وليست في التأليف نفسه، ولهذا يقول صديقه جمال الدين القاسمي: "وقد كان صفينا العلامة الشيخ طاهر الجزائري، يقول: لا ينبغي أن يكلف المؤلف ما وراء تأليفه، إذ يكفيه إنهاك قواه في ما جمعه، يقول هذا تنشيطا لي حينما يراني أكتب ما أكتب، وتنبيها لمن يستهم في طبع ما نطبع أن لا نحمل عناءً آخر" [4] ويقول كذلك: "ولقد

---

[1] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص33.

[2] محمد كرد، "عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق"، [مجلة مجمع اللغة العربية، كانون الثاني 1924م- جمادى الأولى والثاني ة 1342هـ]، مجلد4، جزء2، ص90.

[3] محمد كرد، "المعاصرون"، [مجلة مجمع اللغة العربية، تشرين أول 1928م- ربيع الثاني وجمادى الأولى 1347هـ]، مجلد8، جزء1، ص582.

[4] محمد بن ناصر العجمي، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، تقديم: أحمد بن حميد، أحمد المبارك، [لبنان: بيروت، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1422هـ-2001م]، ص131.

كان يقول الشيخ طاهر الجزائري لما كان عندنا بدمشق: أما يكفي فلانا أن ينفق من زمانه وقوته لتقوية الحق ومقاومة الجمود حتى يحمل هم النفقة لإظهاره؟ فأين الإنصاف؟"[1].

3. كثرة الاقتباس عن المتقدمين

وهذا في حقيقة الأمر يرجع إلى موقف الشيخ من التأليف حيث "كان يرى أن استعداد العرب للتأليف لما ينضج، وأن الأخلق بهم الاقتباس عمن سبقوهم بمراحل...وأن لا فائدة اليوم من التأليف إلا إذا أتى المؤلف باختراع جديد، وأبدع بأسلوب جديد"[2]، كما كان يرى كذلك "أنه ينبغي أولا للخلف إحياء ما تركه السلف، والسعي وراء تهذيبه، وتقريبه للأذهان، ليسهل تناوله بأقرب أوان، ثم تقريب العلم الحديث عن أمم الحضارة، ثم مزج القديم بالحديث، والتوفيق بينهما، لئلا نضيع ميراث آبائنا، ولا نحرم من مناهل جيراننا" [3]، ولهذا أكثر الشيخ في كتبه من الاقتباس عن العلماء السابقين، سواء أشار إلى ذلك أم أبهم الأصل المقتبس عنه.

4. التصرف في النصوص المنقولة

وهو السمة الغالبة عليه في تعامله مع المصادر التي اعتمد عليها، حيث يعمد إلى النصوص التي ينقلها فيتصرف فيها إما بالزيادة أو النقص أو الحذف، أو استبدال كلمة مكان أخرى أو تغيير العبارة بعبارة أخرى لها نفس المعنى، وهذا حاصل في أغلب كتاباته، وهو مع ذلك كله قد يذكر المصدر الذي نقل عنه وقد يبهمه، وقل مثل ذلك بالنسبة للمؤلِّف فقد يذكره مع الإشارة إلى كتابه الذي نقل عنه، وقد يذكره مع إبهام مؤلَّفه، نضرب مثالا على ذلك بكلام أورده في كتابه الجوهرة، وهو في موافقة النقل للعقل جاء فيه: "وقال بعض العلماء الأعلام: إن صريح المعقول موافق لصحيح المنقول، وإن الأدلة لا تتعارض إذا كانت قطعية، سواء كانت عقلية أو سمعية، أو بعضها عقليا، وبعضها سمعيا، فالأدلة الثابتة متوافقة متناصرة، فالعقل يدل على صحة النقل، فمن عرف أحدهما وصل إلى الآخر"[4]، وهذا الكلام هو لابن تيمية نقله مع إبهام قائله والمصدر معا، وفيما يلي أنقل العبارة الأصلية لابن تيمية للمقارنة وليُعلم وجه التصرف فيها وهي: " وأن صريح المعقول موافق

[1] محمد العجمي، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، ص173.
[2] الحافظ، وأباظة، تاريخ علماء دمشق...، ج1، ص374-375.
[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص28.
[4] المصدر نفسه، ص121.

لصحيح المنقول. وكنا قد بينا " أولا " أنه يمتنع تعارض الأدلة القطعية فلا يجوز أن يتعارض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا؛ ثم بينا بعد ذلك: أنها متوافقة متناصرة متعاضدة. فالعقل يدل على صحة السمع والسمع يبين صحة العقل وأن من سلك أحدهما أفضى به إلى الآخر"[1].

5. إبهام المصادر والمؤلفين

كان الشيخ طاهر كثير الإبهام في كتاباته العقدية، وقد تتبعت كلامه فوجدته أحيانا يبهم المؤلف ويذكر المصدر، وأحيانا يفعل العكس فيبهم المصدر ويذكر المؤلف، وفي كثير من الأحيان يبهم الجميع فيذكر أقوالا مجردة عن أصحابها ومصادرها وهو الغالب، وسأذكر فيما يلي بعض العبارات الدالة على ذلك:

- **إبهام المؤلف وذكر المصدر:** كقوله: "ذهب صاحب الدرة الفاخرة..." [2]، "وقد أورد صاحب التخجيل في مختصره..."[3]، "قال في عقلة المستوفز..."[4].
- **إبهام المصدر وذكر المؤلف:** كقوله: "قال ابن عبد البر..."[5]، " ونقل ابن الكمال عن الإمام القرطبي..."[6]، "قال السيد معين الدين الصفوي في رسالة له..."[7].
- **إبهام المؤلف والمصدر معا:** كقوله: "ويناسب هذا المقام فصل أورده بعض أهل الفضل وملخصه:..."[8]، "قال بعض علماء الكلام:..." [9]، "قال أناس من أهل الأثر:...وقال علماء الأثر"[10].

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص245.
[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص255.
[3] المصدر نفسه، ص313.
[4] المصدر نفسه، ص255.
[5] المصدر نفسه، ص242.
[6] المصدر نفسه، ص211.
[7] المصدر نفسه، ص213.
[8] المصدر نفسه، ص339.
[9] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص115.
[10] المصدر نفسه، ص120.

6. موقفه من الخلاف

يفرق الشيخ طاهر بين نوعين من الاختلاف وهما: اختلاف العبارات واختلاف الاعتبارات، فإن كثيرا مما يبدو أنه اختلاف بين العلماء هو في حقيقته ليس اختلافا لأنه من قبيل اختلاف العبارات لا الاعتبارات، وكثرة الآراء التي تبدو في ظاهرها متعارضة وتعطي انطباعا أن أصحابها ليسوا على وفاق في وجهة النظر في المسألة الواحدة، إذا أمعن الناظر فيها عرف أنها وإن اختلفت في عباراتها فمآلها واحد، ويبين الشيخ خطورة عدم التفريق بين اختلاف العبارات والاعتبارات ويوضح الضرر الناشئ عن ذلك فيقول: "وقد نشأ عن ذلك أغلاط لا تحصى، سرى كثير منها إلى أناس من العلماء الأعلام، فذكروا الاختلاف في مواضع ليس فيها اختلاف، اعتمادا على من سبقهم إلى نقله، ولم يخطر في بالهم أن الذين عولوا عليهم، قد نقلوا الخلاف بناءً على فهمهم، ولم ينتبهوا إلى وهمهم. وكثيرا ما انتبهوا إلى ذلك بعد حين، فنبهوا عليه، وذلك عند وقوفهم على العبارات التي بنى الاختلاف عليها الناقل الأول. وقد حمل هذا الأمر كثيرا منهم إلى فرط الحذر حين النقل"[1].

إن ما تقدم لا يعني ذم الشيخ لاختلاف العبارات ولا دعوة لتوحيد العبارة في المسألة الواحدة، فهذا مما لا يمكن حصوله إذ الاختلاف من طبيعة البشر، وسنة الله في خلقه؛ بل هو تنبيه من الشيخ إلى موضع الداء ومحاولة للفت الانتباه إلى الدواء الكامن في التروي والحذر من التقليد في النقل من غير تثبت ولا رجوع إلى أصل العبارة التي بني عليها الخلاف، وذلك حتى لا ينسب الاختلاف إلى ما ليس فيه اختلاف، ثم إن هذا النوع من الاختلاف الذي هو اختلاف العبارات المفضي إلى اتحاد المآلات له فوائد لا تخفى يبينها الشيخ طاهر، فبعد ذكره لاختلاف العبارات المختلفة في المآل يقول: " وإن كانت تلك الأقوال غير مختلفة في المآل، كان من توارد العبارات المختلفة على الشيء الواحد، وفي ذلك من رسوخ المسألة في النفس ووضوح أمرها مالا يكون في العبارة الواحدة، على أن بعض العبارات ربما كان فيها شيء من الإبهام أو الإيهام، فيزول ذلك بغيرها، وقد يكون بعضها أقرب إلى فهم بعض الناظرين، فكثيرا ما تعرض عبارتان متحدتا المعنى لا ثنين، تكون إحداهما أقرب إلى فهم أحدهما، والأخرى أقرب إلى فهم الآخر. وهذا مشاهد بالعيان، لا يحتاج إلى برهان..."[2].

لم يقيد الشيخ طاهر ما سبق من كلام بعلم من العلوم، فاختلاف عبارات العلماء المتحدة في المآل واقع في علم العقيدة وفي غيرها من العلوم، ويرجع هذا النوع من الاختلاف في كثير من

[1] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص38.
[2] المصدر نفسه، ص43-44.

الأحيان إلى مراعاة العالم حال المتعلم أو السائل، فرب سائل يضره التفصيل وينفعه الإجمال وآخر بالعكس ورب سائل ينفعه حال بين الحالين[1].

ويشير الشيخ طاهر إلى سبب من أسباب الاختلاف وهو الرواية والنقل عن العلماء بالمعنى، حيث أدى هذا الأمر إلى مزالق خطيرة يبينها الشيخ فيقول: "وقد نسب لكثير من العلماء الأعلام أقوال بعيدة عن السداد جدا، اتخذها كثير من خصومهم ذريعة للطعن فيهم، والازدراء بهم، ثم تبين بعد البحث الشديد والتتبع أنهم لم يقولوا بها، وإنما نشأت نسبتها إليهم من أقوال رواها الراوي عنهم بالمعنى، فقصر في التعبير عما قالوه، فكان من ذلك ما كان"[2].

ولما كان هذا حال الرواية بالمعنى، وكانت هذه حقيقة اختلاف العبارات، فإننا نجد الشيخ يحذر من مغبة الوقوع في شَرَك الاعتراض على الأئمة الفضلاء والأعلام النبلاء بمجرد سماع الأخبار التي ينبو السمع عنها من غير تثبت، ويعد كثيرا من ذلك يدل على الجهل والبلاهة، موجب للملام.

ولأن هذا الموقف للشيخ طاهر في هذه المسألة قد يفهم منه سد باب الاعتراض نهائيا على المؤلفين، فإننا نجده يوضح موقفه ويؤكد أن كلامه متجه إلى الذين يعترضون على العلماء ببادئ الرأي، ويبين أن الاعتراض إن كان معقولا؛ لا ينكر بل قد يحمد عليه صاحبه ويشكر[3].

لما كانت هذه نظرة الشيخ طاهر إلى الخلاف بين العلماء وتشديده على ضرورة التحري والتثبت في النقل عنهم، وعدم التسرع في الاعتراض عليهم، فلا عجب أن لا يجد القارئ لكتبه تعرضا لذكر الخلاف، حيث كان منهجه قائما على تقرير المسائل العقدية ومحاولة الاستدلال عليها من الكتاب والسنة، مع الحرص على تجاوز الخلافات الكلامية، والبعد عن توظيف الأحكام من تفسيق، أو تبديع، أو تكفير[4].

7. الأدب مع العلماء

كانت عبارة الشيخ طاهر عند كلامه عن أهل العلم والفضل ونقله عنهم في غاية الأدب والاحترام، فقد كان مجلا لهم، ذاكرا لهم بأحسن ما عرفوا به، فتراه عند نقله عن ابن تيمية يصفه بشيخ الإسلام، وأنه من العلماء الأعلام، وإمام المتكلمين على طريقة السلف، و لا يذكر أبا حامد

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص239.

[2] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص755.

[3] المصدر نفسه، ص44، 755.

[4] مرزوق العمري، "الشيخ طاهر الجزائري ونظرته إلى تدريس العقيدة"، ص58.

الغزالي إلا ويقرن اسمه بالإمام أو حجة الإسلام، ويحيل على كتبه وكتب الفخر الرازي ويمثلهما في اقتناص الشوارد بالنسر والبازي.

كان الشيخ يحسن الظن بمن تقدم من العلماء، ويلتمس لهم الأعذار ويدافع عنهم في بعض ما نسب إليهم، مثال ذلك تبرئة ابن عربي من القول بقدم العالم، حيث قال معقبا على كلام للكوراني [1] أورده في هذا الشأن: "وأطال الكوراني في إيراد النقول تنزيها لهؤلاء السادة أن يقولوا بقول هو من أردى أقوال الفلاسفة في العلم الأعلى" [2]، ولا يتردد في الثناء على بعض علماء المعتزلة كقوله بعد أن نقل كلاما لعلي بن أبي طالب يثني فيه على أحدهم دون ذكر اسمه: "وقد أبان العلامة المحقق عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي [3] في شرح نهج البلاغة أن المعني بذلك عمر" [4].

وحتى في رد الشيخ على من خالفه نجده يلتزم الأدب، فيكتفي بالتعريض به وإبهامه مع بيان وجه الخطأ الذي يراه، ومثال ذلك قوله: "وقد زل كثير من الأفاضل في هذا المقام" [5]، ويشتد أحيانا فيقول: "قال بعض الخاسرين..." [6].

8. إهتمامه بالجوانب اللغوية واستشهاده بالشعر

بما أن اللغة العربية هي لغة الوحي، وعليها المعول في فهم كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد أولاها الشيخ اهتماما بالغا سواء من حيث تعلمها أو التأليف فيها، أو الاحتكام والاستناد إليها في تقرير كثير من المسائل الشرعية في مختلف كتاباته، فمؤلفاته شاهدة برسوخ قدمه وطول باعه وكثرة اطلاعه على مختلف فنونها، ولا أجد أبلغ من عبارة رشيد رضا الذي وصف مكانته في علوم اللغة فقال: "إن هذا الرجل أعلم علماء سوريا في العلوم العربية بل هو أوسع من تعرف اطلاعا على مؤلفات المتقدمين والمتأخرين من أهل هذه اللغة مع تمكنه في علومها..." [7]، وقد وظف

[1] هو إبراهيم بن حسن الشهرزوريّ الكوراني، مجتهد، من فقهاء الشافعية. عالم بالحديث ، ولد سنة (1025هـ-1616م)، توفي سنة (1101هـ -1690م)، من مؤلفاته: إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف، وغيره. الزركلي، الأعلام، ج1، ص35.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص255.

[3] هو عبد الحميد بن أبي الحديد، ولد في المدائن سنة (586هـ -1190م)، عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر واطلاع واسع على التاريخ، توفي سنة (656هـ - 1258م)، من مؤلفاته: شرح نهج البلاغة. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص289.

[4] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص317.

[5] المصدر نفسه، ص183.

[6] المصدر نفسه، ص277.

[7] رشيد رضا، "التقريظ" (إرشاد الألبا إلى طريق تعليم ألف با)، [مجلة المنار، رجب1321هـ]، ج6، ص521.

الشيخ اللغة العربية في كتاباته العقدية واختلف توظيفه لها، فتارة يورد أبياتا شعرية، وتارة يهتم بالإعراب، وتارة أخرى يشير إلى بعض المعاني اللغوية.

أ. الاستشهاد بالشعر:

كثيرا ما يورد الشيخ طاهر أبياتا شعرية يستشهد بها على آرائه، ويذكرها استئناسا بها في أحيان أخرى، ومن أمثلة ذلك:

– عند تفسيره لقيام الأجسام بالأرواح بأنه عبارة عن حياتها وظهور الحركة الاختيارية نجده يورد قول ابن العفيف[1]:

وما الكون إلا صورة أنت روحها وجسم بغير الروح كيف يقوم[2]

– أورد في باب القضاء والقدر أبياتا لابن الفارض في الصبر على القضاء والقدر، وأخرى في نفي العبث عن الله تعالى [3]، وأبياتا لابن الشبل البغدادي [4] في قصيدته الحكمية، وذلك عند كلامه عن قول الفلاسفة في الفلك، وأبياتا لأبي العلاء المعري في حشر الأجساد [5]...إلخ.

ب. الإعراب:

تطرق الشيخ في عدد من المواضع إلى إعراب بعض الآيات والعبارات، ومن أمثلة ذلك:

– إعراب قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد:2]، كما تعرض لإعراب عبارة: "حسبنا الله ونعم الوكيل" ، وعند تفسيره للعدول المقصود في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:1]، نجده يُقرر أن المعنى بحسب تعلق الباء، فإن كانت متعلقة بـ: (كفروا) فالمعنى أن الذين كفروا يعدلون عن الحق أي ينحرفون عنه، وإن كانت متعلقة بـ: (يعدلون) يكون المعنى أن الذين كفروا يعدلون بربهم في العبادة غيره[6].

---

[1] هو محمد بن سليمان بن علي التلمساني، المعروف بالشاب الظريف، ويقال له ابن العفيف، شاعر مترقق، ولد بالقاهرة سنة (661هـ – 1263م)، وتوفي بدمشق سنة (688هـ – 1289م). الزركلي، الأعلام، ج6، ص150.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص209.

[3] المصدر نفسه، ص221، 222.

[4] هو محمد بن الحسين بن عبد الله بن الشبل، البغدادي، شاعر حكيم، من أهل بغداد مولدا ووفاة ، أقرأ علوم الفلسفة والأدب، ونظم الشعر الجيد، وكان ظريفا نديما. توفي سنة (473 هـ–1080م)، له ديوان شعر. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص100.

[5] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص212، 236.

[6] المصدر نفسه، ص228، 311، 283.

ج. ذكر المعاني والتعريفات اللغوية:

إهتم الشيخ بهذا الجانب أكثر من غيره، ومن أمثلته مايلي:

- ذكره للمعاني اللغوية للحياة وإطلاقاتها في القرآن[1].
- ذكره لمعنى الفلك في لغة العرب بأنه مجرى الكواكب، وذكر قول أبي العلاء[2]:

يا أيها الناس كم لله من فلك تجري النجوم به والشمس والقمر[3]

- كما نجده يتناول عددا من المصطلحات العقدية من الناحية اللغوية مع المناقشة والترجيح، وذلك كلفظ الأزلية فهو يذكر أن الياء للمصدرية، وينقل قول بعضهم أن الأزل ليس من كلام العرب، وأن أصلها لم يزل، ويخلص إلى الترجيح بأن أصلها لم أزل ويكون ذلك من جانب الحضرة المقدسة ثم أخذ منه اسم الاختصار، ومثاله كذلك لفظ القدم، حيث ذكر معناه اللغوي واستشهد عليه بقول ابن العفيف، وذكر الفرق بين القدم اللغوي والعرفي، كما بحث زيادة حرف الميم في كلمة "اللهم" وذكر خلاف أهل اللغة في إلحاقها بلفظ الجلالة بين قائل أنها زيدت عوضا عن حرف النداء في الأول، وقائل أنها للتفخيم، وذكر ذلك بشيء من التفصيل ونقل قول أئمة اللغة[4].

المطلب الثاني: موارده في التأليف

إن المنهج الذي سلكه الشيخ طاهر في التأليف، والذي يقوم على كثرة الاقتباس وإبهام كثير من المصادر التي اعتمد عليها، وكذا إبهام كثير من مؤلفيها، يجعل معرفة جميع ما اعتمد عليه من مصادر أمرا في غاية الصعوبة إلا بعد البحث والتقصي، ولا شك في كثرة هذه المصادر والمراجع التي رجع إليها وتنوعها ما بين مطبوع ومخطوط، وذلك لما عرف به من سعة الاطلاع وكثرة التنقيب واقتناص الفوائد والشوارد، وسأحاول فيما يأتي أن أذكر هذه المصادر التي نقل الشيخ عنها وأشار إليها في كتاباته العقدية، إلى جانب ذكر ما استطعت الوقوف عليه من مصادر نقل عنها ولم يصرح بها، وذلك من خلال المقارنة، وسأكتفي بمصادره في المسائل العقدية دون غيرها، وأُصدّرها بمؤلفات اثنين من العلماء وهما: أبو حامد الغزالي، وابن تيمية، لظهور تأثر الشيخ طاهر بهما.

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص208.

[2] هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخيّ المعري: شاعر فيلسوف ، ولد في معرة النعمان سنة (363هـ-973م)، وتوفي بها سنة (449 هـ-1057م)، من مؤلفاته: رسالة الغفران، الفصول والغايات، وغيرها. الزركلي، الأعلام، ج1، ص157.

[3] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص205.

[4] المصدر نفسه، ص232، 252، 259.

مؤلفات أبي حامد الغزالي:

يعتبر الغزالي من أكثر العلماء تأثيرا في الشيخ طاهر، وهو ما يبدو جليا في مؤلفاته وعلى وجه الخصوص كتابه: "شرح خطب ابن نباتة" حيث أكثر الشيخ النقل عنه والإحالة على كتبه في عدد من المواضع، ومما يؤكد تأثره به كذلك تضمينه أسماء كتبه في كلامه، ومن ذلك قوله: "وأول ما يلزمه في هذا الطريق أن يكون عنده " **محك للنظر**" و"**معيار للعلم**" ليزن بالقسط..." [1] وقوله: "قال الحكيم الشاعر مستمدا من "**مشكاة الأنوار**"..."[2]، وقال: "ومن عرف الدخول في هذه الطريقة نجا من غوائل المجاز...وتبين له "**المقصد الأسنى في الأسماء الحسنى**"[3].

وأما مؤلفات الغزالي التي رجع الشيخ طاهر إليها وأفاد منها فهي:

1. **إحياء علوم الدين:** نقل الشيخ عنه في العديد من المواضع منها: اقتباسه كلاما في تعريف العقل مع إبهامه وعدم الإشارة إليه، ونقله كلاما آخر في ذم المتصوفة الذين ينكرون العقل والمعقول[4].
2. **تهافت الفلاسفة:** إقتبس الشيخ منه إبطال الغزالي قول الفلاسفة أن نفوس السماوات مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم، وأن المراد باللوح المحفوظ نفوس السماوات [5]، وقد اقتبس عنه في هذا الموضع مع إبهامه، غير أنه نقل عنه في مواضع أخرى من غير إبهام له[6].
3. **جواهر القرآن:** أورد منه كلاما في ترتب المسببات على الأسباب، وذلك في باب القضاء والقدر[7].
4. **المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى:** أورد منه كلام الغزالي في بيان حكمة الله تعالى في خلق الشر[8].

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص65.
[2] المصدر نفسه، ص74.
[3] المصدر نفسه، ص103.
[4] المصدر نفسه، ص122-125.
[5] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص211.
[6] المصدر نفسه، ص196.
[7] المصدر نفسه، ص129.
[8] المصدر نفسه، ص128.

5. المنقذ من الضلال: نقل الشيخ منه كلاما للغزالي في بيان ضرر الحشوية الذين يضعون من العقل ما رفع الله من شأنه[1].

مؤلفات ابن تيمية:

ترجع صلة الشيخ طاهر بمؤلفات ابن تيمية إلى صباه حيث أولع بها منذ صغره فكان يحرص على اقتنائها والنظر فيها؛ بل والاحتيال بشتى الطرق في نشرها وبث أفكار وآراء مؤلفها، ويرجع سبب هذا الاحتيال إلى النظرة التي كانت قائمة في زمانه حول هذا العالم ، حيث بلغ التعصب ببعض معاصري الشيخ طاهر إلى حد تكفير ابن تيمية، ونبذ ومعاداة كل من يتأثر به أو يحاول نشر شيء من مؤلفاته، ويحدثنا محمد كرد عن ولع وجهد شيخه في نشر تراث ابن تيمية فيقول:"وكانت للشيخ طرق مبتكرة في بث الأفكار التي تخالف معتقد الجمهور، يبثها في العقول بدون جعجعة، ويقرب منالها من المستعدين للأخذ بها، وذلك بتلقينهم أمهات مسائلها أثناء الحديث، على صورة لا ينفرون منها، ولا يخطر لهم أنها من البدع المنكرة. مثال ذلك أنه أولع في صباه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيمية تعصبا أو تقليدا لمشايخهم، فلم ير الشيخ لتحبيب ابن تيمية إليهم إلا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون. فكان يستنسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها إليهم في سوق الوراقين بأثمان معتدلة، لتسقط في أيدي بعضهم فيطالعونها، وبذلك وصل إلى غرضه من نشر آراء شيخ الإسلام التي هي لباب الشريعة"[2].

ويظهر تأثر الشيخ طاهر بابن تيمية جليا من خلال مؤلفاته، فهو لا يذكره إلا بعبارات تنم عن التقدير والاحترام مثل وصفه بشيخ الإسلام، ووصفه بأنه من العلماء الأعلام، وأنه إمام المتكلمين على طريقة السلف، كما أنه كثير النقل عن كتبه.

لقد جسد الشيخ طاهر إعجابه وتأثره بابن تيمية واقعا عمليا تجلى في العديد من المواقف، منها أنه انبرى للدفاع عن إزالة قبره وطمس آثاره حيث "كانت الحكومة عزمت على درس قبر الإمام ابن تيمية لوقوعه في حديقة خارج مدينة دمشق، فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الإمام محفوظا بسعيه وعنايته"[3].

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص117.

[2] محمد كرد، كنوز الأجداد، ص9.

[3] صالح مخلص رضا، "تقريظ المطبوعات"، مجلة المنار، ص640.

ونتيجة لموقف الشيخ طاهر وتلاميذه الذين تأثروا به في إحياء تراث ابن تيمية وغيره من علماء الأمة والذب عنهم، فقد تعرضوا إلى كثير من الأذى، وفي هذا يقول عبد الرحمان الشهبندر تلميذ الشيخ طاهر: " وكانت الحلقة التي سارت أبعد شوط في هذا المضمار في سورية مؤلفة من الأساتذة المرحومين: الشيخ طاهر الجزائري، والسيد سليم البخاري، والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي والسيد علي مسلم وغيرهم، وكان من حظي ومن حظ الأستاذ محمد كرد علي أن نلتحق بهذه الحلقة المباركة، فكان يُطلق علينا للتشهير بنا أسماء مختلفة آخرها أننا (وهابية) وهي كلمة لم تعن في نظرنا يومئذ إلا ما تعنيه اليوم في كثير من الأوساط في أنها طريقة الرجوع إلى السلف والاعتماد على كتب المؤلفين أمثال ابن تيميه وابن القيم ومن حذا حذوهما من الأئمة "[1].

وأما كتب ابن تيمية التي اعتمدها الشيخ طاهر في كتاباته العقدية فهي:

6. **التسعينية:** نقل الشيخ عن هذا الكتاب في عدد من المواضع، وعرف به فقال: " قال إمام المتكلمين على طريقة السلف تقي الدين أحمد بن تيمية في الرسالة الملقبة "بالتسعينية"، وهي رسالة تبلغ مجلدا كبيرا، ألفها في الرد على المتكلمين على طريقة الخلف، في مسألة الكلام..."[2]

7. **فتاوى ابن تيمية:** إعتمد الشيخ عليه في نقل كلام لابن تيمية يؤيد ما قرره في بعض المواضع، كما اقتبس عنه في مواضع أخرى مع إبهامه[3].

8. **درء تعارض العقل والنقل:** أرشد الشيخ بالرجوع إليه لتحقيق مسألة كروية الأرض[4].

9. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** : نقل الشيخ عنه كلام ابن تيمية في صلب المسيح[5].

وهناك مصادر أخرى رجع إليها الشيخ طاهر واعتمد عليها، ويختلف حال الشيخ في ذكرها فهو مرة يذكر عنوان المصدر ومؤلفه، ومرة يذكر المصدر دون مؤلفه، ومرة أخرى يذكر المؤلف دون المصدر، وفي بعض الأحيان تجده يذكر أقوالا دون عزوها إلى أصحابها أو مصادرها، وينبغي التنبيه كذلك إلى أن البعض من هذه المصادر لم ينقل الشيخ عنه، وإنما أحال إليه للتوسع في بعض المسائل

---

[1] عبد الرحمن الشهبندر، "كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر في حفلة التأبين"، [مجلة المنار، المحرم 1354هـ]، مجلد35، جزء3، ص234.

[2] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص47، 65.

[3] طاهر الجزائري ، الجوهرة في قواعد العقائد، ص121.

[4] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص183.

[5] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص160.

مثل: شرح المواقف وفتح الباري، وهذه المصادر متنوعة ما بين كتب في التفسير والحديث واللغة والعقائد، وهي كالتالي:

10. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت:911هـ-1505م): اقتبس الشيخ عنه في كثير من المواضع في كتابه: "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان"، وهو تارة ينص على ذكره، وتارة يبهمه[1].

11. الأسماء الحسنى للبيهقي (ت:485هـ): ذكر الشيخ هذا المرجع في سياق بيان الخلاف حول وصف الله تعالى بالقدم، والرد على من لم يجوز إطلاق هذا الوصف عليه سبحانه بأن البيهقي قد رواه في الأسماء الحسنى[2].

12. الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ت:324هـ-936م): نقل الشيخ عنه جزءا من خطبة الأشعري في بيان عقيدته[3].

13. البردة للبوصيري (ت:696هـ-1296م): نقل الشيخ منها أبياتا في تنزيه الله تعالى عن الأكل والشرب، وأخرى في إبطال القول بصلب المسيح[4].

14. تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لابن خاتمة الأندلسي (ت: بعد770هـ-بعد1369م): ذكره الشيخ في سياق كلامه عن زيادة العمر ونقصانه وسعة الرزق، ونقل عنه أثرا لعمر في هذا الباب[5].

15. التعريفات للجرجاني (ت:816هـ-1413م): اعتمد الشيخ على هذا الكتاب في تعريفه لعدد من المصطلحات العقدية كمصطلح الأزلية، والتجلي[6].

16. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ت:276هـ-889م): ذكره الشيخ في كلامه عن نكير المتكلمين على المحدثين في روايتهم للأحاديث الضعيفة، وأشار إلى ورود قول القدرية في مقدمته[7].

---

1 طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص95.

2 طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص253.

3 المصدر نفسه، ص201.

4 المصدر نفسه، ص312، 313.

5 المصدر نفسه، ص227.

6 المصدر نفسه، ص259، 289.

7 طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص666.

17. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) **لعبدالله بن عمر البيضاوي** (ت:685هـ-1286م): نقل الشيخ عنه تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ ﴾ [ق:29]، وغيرها من الآيات[1].

18. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري لابن عساكر (ت:571هـ-1176م): ذكره الشيخ أثناء كلامه عن أبي الحسن الأشعري[2]

19. تفسير غريب الصحيحين للحميدي: نقل الشيخ عنه تفسير الحميدي لترك السعي على القلاص الوارد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم[3].

20. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبدالله الترجمان الميورقي (ت:832هـ): نقل عنه قصة إسلام مؤلفه[4].

21. التعليقات لابن سينا (ت:428هـ-1037م): اقتبس الشيخ منه فصلا في ماهية الأشياء وحقائقها وصعوبة إدراكها[5].

22. التبيان في أيمان القرآن لابن قيم الجوزية (ت:751هـ-1350م): نقل الشيخ عنه كلاما لابن القيم في أصناف الملائكة وأعمالها[6].

23. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة لصدر الشيرازي (ت:1059هـ-1649م): نقل الشيخ كلامه في سياق حديثه عن الزمان وتعسر معرفة حقيقته[7].

24. حي بن يقضان لابن الطفيل (ت:581هـ-1185م): نقل الشيخ عنه قولا للغزالي في كتابه "ميزان العمل" وأشار إلى ذلك[8].

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص213.
[2] المصدر نفسه، ص202.
[3] المصدر نفسه، ص208، وانظر الحديث وتخريجه، ص 197 من هذه الرسالة.
[4] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص120.
[5] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص363.
[6] المصدر نفسه، ص212.
[7] المصدر نفسه، ص214.
[8] المصدر نفسه، ص238.

25. خير البِشَر بخير البشر لابن ظَفَر (ت:565هـ-1170م): ذكره في سياق كلامه عن بشارات الكتب السابقة بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأشار إلى اشتماله على بعض البشارات بمبعثه صلى الله عليه وسلم[1].

26. الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين للجامي ملا عبد الرحمن (ت:898هـ-1492م) **وحاشية إبراهيم الكوراني عليه:** ذكره الشيخ عند كلامه في مسألة قدم وحدوث العالم، حيث ذكر نسبة صاحب الكتاب القول بقدم العالم إلى الصوفية، وتعقيب الكوراني على هذه النسبة في حاشيته على الكتاب المذكور[2].

27. ديوان ابن الفارض (ت:632 هـ - 1235 م): نقل الشيخ عددا من الأبيات لابن الفارض في مواضيع مختلفة منها: إثبات الحكمة الإلهية ونفي العبث عنه سبحانه، والظاهر أنه اعتمد في نقلها على ديوانه[3].

28. ديوان ابن الشبل البغدادي: نقل الشيخ أبياتا من مطلع القصيدة الحكمية لابن الشبل، وذلك في سياق كلامه عن حركة الفلك وقول الفلاسفة في ذلك، غير أنه لم يحل إلى مصدر الأبيات ولعله اعتمد في نقلها ديوان ابن الشبل[4].

29. ديوان الشاب الظريف لابن العفيف: نقل الشيخ طاهر عددا من الأبيات الشعرية عن هذا الشاعر منها: بيت في دلالة لفظي القديم والحديث، وبيت في قيام الأجسام بالأرواح، لكنه لم يذكر مصدر الأبيات والظاهر أن النقل كان عن ديوانه[5].

30. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ل عبد الرحمن السهيلي (ت:581هـ-1185م): نقل الشيخ قول مؤلفه بخلق الأعمال واختيار الله منها ما شاء، خلال شرحه على خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[6].

---

1 طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص141.

2 طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص255.

3 المصدر نفسه، ص222.

4 المصدر نفسه، ص212.

5 المصدر نفسه، ص209.

6 طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص236.

31. سنن الترمذي: نقل عنه حديث ابن عمر في دعاءه صلى الله عليه وسلم لربه أن يعز الإسلام بأحد العمرين[1].

32. الشفاء لابن سينا: ذكر الشيخ قول مؤلفه في الكسوف[2].

33. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: نقل عنه كلاما في الثناء على عمربن الخطاب رضي الله عنه[3].

34.شرح المواقف: أحال الشيخ عليه رفقة قصد السبيل وفتح الباري للوقوف على مسألة كلام الله تعالى[4].

35. شرح المقاصد للتفتازاني: ذكر الشيخ طاهر في مسألة الوعد والوعيد اختيار السيد معين الدين الصفوي في رسالة له في هذه المسألة أن الخلف في الوعيد غير جائز، وذكر أن هذا اختيار العلامة في شرح المقاصد، ولعله يقصد شرح المقاصد للتفتازاني[5].

36. صحيح البخاري: إعتمد عليه الشيخ في ذكر بعض الأحاديث المتعلقة ببعض المسائل العقدية[6].

37. صحيح مسلم: إعتمد عليه الشيخ هو الآخر في ذكر بعض الأحاديث المتعلقة ببعض المسائل العقدية[7].

38. عقلة المستوفز لابن عربي: نقل الشيخ عنه كلاما في التصريح بحدوث العالم، وأبهم مؤلفه[8].

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص 317. ولفظ الحديث: عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» قال: وكان أحبهما إليه عمر، رواه الترمذي برقم:3681، ، أبواب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج 5، ص617. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عوض، [مصر، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م].

[2] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص195.

[3] المصدر نفسه، ص317.

[4] المصدر نفسه، ص240.

[5] المصدر نفسه، ص213.

[6] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص98.

[7] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص129-130، 166

[8] المصدر نفسه، ص255.

39. الفتوحات المكية لابن عربي: نقل الشيخ عنه في بعض المواضع، من ذلك كلامه في الزمان [1].

40. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت:852هـ-1449م): أحال الشيخ إليه للوقوف على مسألة كلام الله تعالى [2].

41. الفروق للقرافي: نقل الشيخ كلامه في معنى الزيادة في العمر والرزق [3].

42. قصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل لإبراهيم الكوراني : نقل الشيخ عنه كلامه في صفة الرحمة، وأحال عليه للوقوف على مسألة كلام الله تعالى [4].

43. مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية: نقل الشيخ عنه عبارة لابن القيم عقّب فيها على كلام للرازي في علم الكلام [5].

44. شرح الجزائرية (المنهج السديد في شرح كفاية المريد) لمحمد السنوسي (ت:895هـ-1490م): ذكر الشيخ عبارة السنوسي في شرح معنى انطلاق عيسى عليه السلام إلى ربه" [6].

45. المفردات للراغب الأصفهاني : نقل الشيخ عنه في العديد من المواضع، منها: شرحه لصفة البقاء لله، وذكر الفرق بين الخير والشر، وذكره أنواع الهداية، وبيانه لاشتمال القرآن على الحكم العلمية والعملية [7].

46. الملل والنحل لابن حزم (456هـ-1064م): نقل الشيخ عنه كلام بن حزم في الرد على اليهود والنصارى في قضية صلب المسيح [8].

47. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت:606هـ-1210م): نقل الشيخ عنه تفسير صفتي العظمة والكبرياء وغيرها [9].

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص210-211، 215.

[2] المصدر نفسه، ص240.

[3] المصدر نفسه، ص226.

[4] المصدر نفسه، ص240.

[5] المصدر نفسه، ص314.

[6] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص116.

[7] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص202، 214، 224.

[8] طاهر الجزائري، توجيه النظر، ص158.

[9] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص338.

في ختام هذا الفصل نخلص إلى ما يلي:

- أن استدلال الشيخ على المسائل العقدية يرتكز على القرآن بالدرجة الأولى ثم على ما صح من السنة النبوية ويرى أن خبر الآحاد يفيد العلم ويجب الأخذ به إذا احتفت به القرائن، ويعتمد إلى جانب ما تقدم على العقل الذي كثيرا ما يعلي من شأنه وينوه بقيمته، غير أنه لا يرى استقلاله بالمعرفة وإن كان وسيلة من وسائلها رفقة الحس والشرع.
- تنوع المصادر والمراجع التي اعتمد الشيخ عليها في كتاباته العقدية يدل على سعة اطلاعه، ومرونته في التعاطي مع مختلف الأفكار والآراء.
- بعد الوقوف على منهج الشيخ والمصادر التي اعتمدها في كتاباته العقدية، يتبين لنا بشكل واضح أنه كان ينزع إلى الإصلاح والتجديد العقدي، في محاولة منه لإعادة بناء علم العقيدة وبعثه بما يوافق طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه.

الفصـل الثـالـث:

آراؤه العقـديـــة في الإيمــــان بالله والمـلائكــــة

الفصل الثالث: آراؤه العقدية في الإيمان بالله والملائكة

تمهيد:

إن معرفة الله عز وجل هي أصل الأصول وأعظم المعارف على الإطلاق، وعن هذا الأصل العظيم تتفرع بقية الأمور العقدية، وقد نزعت البشرية منذ القديم إلى البحث في الوجود الإلهي، واستمر ذلك إلى يوم الناس هذا، وقد جاءت الملة الإسلامية بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، حيث وردت آيات القرآن في كثير من المواضع منوهة بالإيمان به سبحانه وتعالى، وما يتعلق به من صفات وما ثبت له من أسماء؛ غير أن الناس اختلفوا في الصفات الإلهية وتفرقوا في ذلك تفرقا كبيرا، وكثرت أقوالهم وآراءهم، بين من يرى حملها على الحقيقة وإمرارها على ظاهرها، ومن يرى حملها على المجاز وتأويلها، إلى غير ذلك من الآراء.

والإيمان بالله تعالى كثيرا ما يُتبع في القرآن بذكر الإيمان بالملائكة، كما أن الكفر بهم يُذكر بعد الكفر به سبحانه وتعالى، وذلك لعظم شأنهم عند خالقهم وصلتهم به، ودورهم في الكون وعلاقتهم بعباده، قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ... ﴾ [البقرة: 285]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء:136].

وفيما يأتي من مباحث بيان لآراء الشيخ طاهر في الإيمان بهذين الأصلين.

المبحث الأول: آراؤه العقدية في الإيمان بالله

يشتمل هذا المبحث على مطلبين، أقتصر في الأول منهما على ذكر بعض دلائل وجود الحق سبحانه وتعالى التي أشار إليها الشيخ طاهر في بعض مؤلفاته، وهي أربع أدلة: أولها الفطرة، وثانيها دليل الخلق، وثالثها دليل العناية، وآخرها دليل الحدوث، وأما في المطلب الثاني فأتطرق إلى موضوع الصفات الإلهية وأتناول فيه أهم الصفات التي أثبتها الشيخ لله تعالى، وأحاول استقراء ما جاء مفرقا في كتبه من أسماء حسنى أثبتها لله سبحانه وتعالى.

المطلب الأول : أدلة وجود الله

الفرع الأول: دليل الفطرة

أولا: تعريفها

1. لغة:

الفطرة مأخوذة من الفعل الثلاثي فطر على وزن فعل، والفطرة منه: الحالة، كالجلسة، يقال: جلس جلسة -بكسر الجيم- وفطر فطرة: وهي بمعنى الخلقة.

وفي معجم مقاييس اللغة: "فطر: الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه...والفطرة: الخلقة "[1].

وفي لسان العرب: " فطر الشيء يفطره فطرا فانفطر، وفطره: شقه. وتفطر الشيء: تشقق. و الفطر: الشق... الفطرة الابتداء والاختراع...والفطرة بالكسر الخلقة "[2].

وجاء في القاموس المحيط: "فطر الله الخلق: خلقهم وبرأهم، وفطر الأمر: إبتدأه وأنشأه، والفطرة: الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه"[3].

إذا فالمعاني اللغوية للفطرة تدور حول الابتداء والاختراع والخلقة، وكلها معان متقاربة، بل إن الخلقة تشمل الابتداء والاختراع.

[1] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الفكر، 1399هـ-1979م]، ج4، ص510.

[2] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، [لبنان: بيروت، ط3، دار صادر، 1414هـ]، ج5، ص55-58.

[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص456، 457.

2. اصطلاحا: اختلفت عبارات العلماء في تحديد معنى الفطرة اصطلاحا، فذهب جماعة من السلف إلى أن معناها هو الإسلام، وذهبت طائفة من العلماء إلى غير ذلك فقالوا أن معناها:

- الخلقة التي يخلق عليها المولود من المعرفة بربه، بمعنى أن الإنسان يخلق مفطورا على الاستعداد لمعرفة الإسلام

- أن الله فطر الإنسان على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف:172]، فأما أهل السعادة فقالوا بلى، على معرفة له طوعا من قلوبهم، و أما أهل الشقاء فقالوا: بلى كرها غير طوع.

- البداءة التي ابتدأ الله المولودين عليها، وهو قول الإمام مالك [1] وعبد الله بن المبارك[2] وغيرهما، قال بن المبارك: المراد أن المولود يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة، فمن علم الله أنه يصير مسلما، ولد على الإسلام، ومن علم الله أنه يصير كافرا ولد على الكفر.

- السلامة خلقة وطبعا وبنية ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الإنسان الكفر والإيمان إذا ميز[3].

وبالرجوع إلى الشيخ طاهر، نجد أنه يعرف الفطرة بقوله: "الفطر جمع فطرة وهي الخلقة والجبلة. وفطر الله الخلق فطرا خلقهم" [4]، والملاحظ أن هذا التعريف للشيخ قد تناول المعنى اللغوي للفطرة دون المعنى الاصطلاحي، وهو موافق لما ذكره أهل اللغة.

ثانيا: دلالة الفطرة على وجود الله

إبتدأ الشيخ طاهر مقدمة كتابه "الجوهرة في قواعد العقائد" بكلامه عن أثر الفطرة في معرفة الله تعالى، وهذا ما يفهم من كلامه حيث يقول أن الناس على اختلاف أجناسهم قد فطروا على أن

---

[1] هو أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة و أحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة سنة (93هـ-712م)، توفي بها سنة (179هـ-795م)، من مؤلفاته:الموطأ، ورسالة في الوعظ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص48، 131. والزركلي، الأعلام، ج5، ص257.

[2] هو عبد الله بن المبارك الحنظلي، أبو عبد الرحمان، ولد سنة (118هـ)، جمع بين الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والتجارة والغزو، مات سنة (181هـ). الذهبي، المرجع السابق، ج8، ص378-421.

[3] حافظ الجعبري، الفطرة والعقيدة الإسلامية، [رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة، السعودية، 1399هـ-1979م]، ص28، 63، 68، 82، 101.

[4] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص31، 63.

لكل حادث محدثا، فحدوث حادث ما بلا سبب محال، وأن الأسباب لابد أن تنتهي إلى أول يكون عليه المعول[1]، وقد ذهب عدد من المتكلمين كالغزالي إلى عد هذه المقدمة التي قررها الشيخ طاهر "لابد لكل حادث من محدث" مقدمة ضرورية فطرية، يقول الغزالي:" في فطرة الإنسان وشواهد القرآن مايغني عن إقامة البرهان ؛ ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول : من بداهة العقول أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث فإذاً لا يستغني في حدوثه عن سبب"[2] ولما كانت هذه المقدمة مما ركز في النفس نجد الشيخ طاهر بعد إيرادها يذكر أن المتوقف في إثباتها إما ضعيف الحدس أو مكابر للنفس [3]، فالبشر مفطورون على ربط الحوادث بمحدثها والأسباب بمسببها، وهو ما يلاحظه كل فرد ويحس به في نفسه؛ إذ يستحيل فصل الحادث عن محدثه و السبب عن مسببه، وعليه فإن هذه المقدمة التي ذكرها الشيخ طاهر هي من العلوم الأولية البدهية المركوزة في النفس البشرية، فالفطرة الإنسانية شاهدة بالافتقار إلى مدبر هو منتهى الحاجات وأول إليه منتهى العلل والأسباب، وإنكار ذلك إنما هو راجع إلى ضعف الحدس أو مكابرة النفس.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نقوم بتعريف العلوم الأولية أو البديهية، التي تندرج تحتها قاعدة "كل حادث لابد له من محدث"، فقد جاء في تعريفها أنها المقدمات اليقينية الضرورية، والمبادئ الأولى والبديهيات التي يجعلها الله في النفوس ابتداء بلا واسطة، فالعقل لا يحتاج في معرفتها إلى وسط[4]، ويرى الشيخ طاهر أنها "ما يجزم العقل بها بمجرد تصور طرفيها،كقولنا: الكل أعظم من جزئه، والممكن يحتاج في وجوده إلى مرجح"[5].

ويرى الشيخ أن هذه العلوم أو المبادئ الأولية البديهية لا يمكن التوقف فيها بحال، بل الحكم بها يكون بداهة لأنها مغروزة في نفس الإنسان، كائنة في الفطرة البشرية؛ بل النظر والتوقف فيها يخرجها عن كونها مبادئا أوعلوما أولية بديهية، يقول الشيخ في التفريق بين المشهورات والأوليات: "أن الإنسان لو جرد نفسه عن جميع الهيئات النظرية والعملية، وقدر أنه خلق دفعة، ولم يشاهد أحدا، ولا

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص37.

[2] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص106.

[3] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص37.

[4] سعد آل عبد اللطيف، التعريفات الاعتقادية، [السعودية، د.ط، دار الوطن للنشر، د. ت]، ص84. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص175-176.

[5] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص59.

مارس عملا، ثم عرضت عليه قضية من أحد النوعين، فإن كان لا يحكم بها بداهة، بل يتوقف، وينظر، فهي من المشهورات، وإن كان يحكم بها حالا، ولا يتوقف، فهي من الأوليات"[1].

وهذه القاعدة أو المقدمة التي قررها الشيخ طاهر قد جاء التنبيه عليها في القرآن الكريم؛ حيث خاطب الله تعالى العقل البشري ودعاه إلى إدراك هذه الحقيقة وذلك في خطابه للمشركين، فقال: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ ﴾ [الطور:35]، فالمعنى: "أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول. أم هم خلقوا أنفسهم؟ فهذا أشد امتناعا. فعلم أن لهم خالقا خلقهم، وهو سبحانه ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية، بديهية، مستقرة في النفوس، لايمكن أحدا إنكارها. فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه"[2].

وبعد أن ذكر الشيخ مبدأ السببية أو مقدمة أن كل حادث لابد له من محدث، نجده يضرب مثالا لتأكيدها ويذكر وجها من وجوه دلالة الفطرة على وجود الله تعالى الذي يتمثل في الصبي المفطور على ربط المسببات بأسبابها، يقول: " إن من قوي إدراكه من الصغار، إذا وضعت أمامه قطعة من الحديد فيها سلك دقيق، وجذبت من حيث لا يشعر تعجب جدا، لاعتقاده أن الحركة لا تحصل بغير محرك، فإذا عرف السبب بطل عجبه، فإن جذبت بالمغناطيس صعب إزالة العجب منه لخفاء السبب عنه"[3]، فهذا المثال الذي ذكره الشيخ من أوضح الأدلة على فطرية مبدأ السببية، فإن كان الصبي مفطورا على ربط الحوادث اليومية بمحدثها، فربط الكون بمكونه والمخلوق بخالقه من باب أولى، ونجد مثالا قريبا من هذا يذكره فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [إبراهيم:10]، وذلك عند ذكره لوجوه دلالة الفطرة على وجود الله تعالى، فيذكر لطمة الصبي، وما قاله بعض العقلاء من أنها تدل على وجود الصانع، لأن الصبي يصيح سائلا عمن ضربه، فدل هذا على أنه مفطور على أن كل

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص65.

[2] إبن تيمية، الرد على المنطقيين، [باكستان: لاهور، ط1، إدارة ترجمان السنة، 1396هـ – 1976م]، ص253.

[3] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص37.

حادث لا بد له من محدث، فإذا شهدت الفطرة بهذا فشهادتها بافتقار جميع الحوادث إلى الفاعل أولى[1].

وتوحيد الله ومعرفته كما يرى الشيخ طاهر لا يحصل إلا لمن أجاد الفكرة ، وسلمت فطرته من التغير، وقد أشار إلى دور التربية والتعليم وما للبيئة من أثر في تغيير فطرة الإنسان والتأثير عليها، وأن الفطرة الإنسانية قد يعتريها الفساد والتغير بسبب العوامل الخارجية، حيث يقول أن الأوليات لا يتوقف فيها إلا ناقص الغريزة، كالبله والصبيان، أو من تغيرت فطرته بسبب الآراء المضادة للأوليات التي يتلقاها، كما يقع للجهال، ومن نحا نحوهم من أرباب الضلال في الأوائل، ولذلك يجب على العبد عند إرادة الحكم في القضية، أن لا يكون أثر فيه رأي سبق إليه من قبل، سواء كان بطريق التعلم، أو بمقتضى المزاج، أو غير ذلك، وليحترس من أن يكون ذلك كامنا فيه وهو لا يشعر، لأن الأوليات قد تلتبس بغيرها من القضايا [2]، وهكذا نلاحظ أن الشيخ يركز على ضرورة نقاء وصفاء الفطرة وسلامتها من التغير، ويرتكز على الأوليات ويوليها أهمية قصوى لقوة دلالتها على الخالق.

الفرع الثاني: دلالة المخلوقات على الخالق

إن الأرض بما رحبت والسماء بما وسعت لآية من آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته، وقد وردت آيات القرآن في كثير من المواضع منبهة إلى دلالة هذه المخلوقات على خالقها، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤ ﴾ [البقرة:164]، وقوله تعالى:﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ ﴾ [الذاريات:20-21].

إن آثار صنع الله، وبديع حكمته، وتناسق كونه، وتآلف خلقه، كلها تدل على وجوده، وتبعث على معرفته، وإذا تأملنا كلام الشيخ طاهر الوارد في هذا الباب تبين لنا استدلاله بالأثر على المؤثر، وبالمخلوق على الخالق، ولهذا نجده يستدل على وجود الله بهذا العالم المتقن البديع الباهر

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، [لبنان: بيروت، ط3، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ]، ج19، ص71.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص39، 62، 65.

الذي من شاهده عرف أن له موجدا قديما عليما مريدا قديرا حكيما، ويضرب مثلا على ذلك بالبناء الذي من شاهده عرف أن له بانيا، وبالكتاب الذي من شاهده عرف أن له كاتبا وإن لم يره ولم يسمع خبره، فكذلك الله سبحانه وتعالى؛ فإنه يعرف بآثار صنعه البديع الشاهد له بلسان الحال والمقال، وإن لم يُر بالأبصار، ولم تُدرك حقيقة ذاته بالأفكار، كما نلاحظ تركيز الشيخ على الاستدلال بمخلوقات بعينها هي أعظم المخلوقات على الإطلاق، وقد شملت بدورها عددا من المخلوقات الأخرى التي تجلت فيها عظمة الله تعالى؛ فنجده يستدل بالسموات وما اشتملت عليه من الشمس والقمر والنجوم، والأرض وما اشتملت عليه من المعادن والأشجار، والإنسان المخلوق في أحسن تقويم، الموصوف بأنواع الكمال والفضل، الممتاز بالعقل القويم[1].

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن الشيخ قد سلك طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله تعالى عن طريق إثبات دلالة المخلوق على الخالق؛ فقد دعا سبحانه وتعالى إلى التفكر في السماوات والأرض لكونهما من دلائل توحيده وذم المعرضين عن التفكر فيهما لكون ذلك من صوارف معرفته فقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:101]، وقال:﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ ﴾ [يوسف:.105]، يقول بن كثير[2] في تفسيره عند هذه الآية: " يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات، في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد ، خالق

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص98-100.

[2] هو إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة (701هـ)، وتوفي سنة (774هـ)، لازم المزي وتخرج بابن تيمية، من مؤلفاته: التكميل وطبقات الشافعية وغيرها. تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال الحوت، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م]، ص471-472.

أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات"[1]، ويظهر من خلال هذه العبارة وجه التطابق في الاستدلال بالمخلوق على الخالق بين ابن كثير والشيخ طاهر، حيث ركز كل منهما على الآيات الكونية الرئيسية وهي: السماوات والأرض، والتي اشتملت كل منها على عدد لا يحصى من الآيات والمخلوقات.

وقد دعا القرآن كذلك إلى التفكر في خلق الإنسان فقال: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:21]، وذلك لحسن هيئته، وكمال خلقته، وتناسق بنيته، وتميزه بالعقل الذي خصه الله به دون سائر خلقه، فالإنسان بذاته وصفاته آية من آيات الله تعالى ودليل على وجوده، ولهذا نجد الشيخ طاهر يخصه بالذكر في جملة المخلوقات التي استدل بها على وجوده سبحانه وتعالى، وما ذلك إلا لتميزه بينها وشرف منزلته.

الفرع الثالث: دليل العناية

إن الإنسان إذا أجال خاطره وأعمل فكره في ملاحظة كتاب الله المنظور وما سُطر فيه من الآيات البينات التي أعظمها الأرض والسماوات، رأى من عجائب صنع الله ما تحار فيه العقول، فهذا الكون الفسيح مع عظمه واتساعه؛ فإن أجزاءه متناسقة متآلفة ومتوافقة فيما بينها في دقة متناهية ونظام عجيب، وهذه المخلوقات من جهة أخرى قد سخرها الله عز وجل للإنسان عناية به وتكريما، فلا يخل جزء منها عن نفع وفائدة، وموافقة لحياة الإنسان ومعاشه وإذا كان هذا حالها فلا ريب أن يكون لها صانع مدبر حكيم، وقد جاء القرآن في كثير من الآيات مذكرا بدليل العناية، ملفتا إلى دلالته على وجود الخالق، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:68]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الجاثية:12]، إلى غير ذلك من الآيات.

[1] إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، [السعودية: الرياض، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999م]، ج4، ص418.

يقول ابن رشد [1] في شرحه لهذا الدليل: "...وذلك كما أن الإنسان إذا نظر إلى شيء محسوس، فرآه قد وضع بشكل ما، وقدر ما، ووضع ما، موافق في جميع ذلك للمنفعة الموجودة في ذلك الشيء المحسوس، والغاية المطلوبة،...علم على القطع أن لذلك الشيء صانعا صنعه، ولذلك وافق شكله ووضعه وقدره تلك المنفعة، وأنه ليس يمكن أن تكون موافقة اجتماع تلك الأشياء لوجود المنفعة بالاتفاق" [2]، ويتبين من خلال هذه العبارة أن دليل العناية عند ابن رشد ينبني على أمرين:

- ✓ الأول: أن جميع الموجودات موافقة للمنفعة الحاصلة فيها.
- ✓ الثاني: أن هذه الموافقة غير حاصلة بالاتفاق بل هي ضرورة من قبل فاعل مريد حكيم.

والشيخ طاهر قد استدل بهذا الدليل على وجود الله، فقال عن تسخير الموجودات من أجل الإنسان لأداء وظيفته التي من أجلها خلق، وهي عبادته تعالى وتحقيق الاستخلاف في الأرض، أن العبد إذا تفكر في الموجودات وتأمل في الغاية التي لأجلها خلق، رأى فيها من الحكم ما يبهر عقله، فعلم أن موجدها عليم حكيم، وقال في تناسق أجزاء العالم وتآلفها فيما بينها وترابطها خدمة لبعضها البعض بما لا يدع مجالا للشك في وجود خالق أحاطها بعنايته، أن العالم بهذا التناسق بمنزلة الشيء الواحد لكون أجزائه مترابطة خادمة لبعضها البعض، والواحد لا يصدر إلا عن واحد؛ فإذا تأمل الإنسان ذلك وحد ربه ونزهه عن الضد والند قائلا بلسانه أو جنانه: لا إله إلا الله، ويصل الشيخ إلى بيان الأثر المترتب على إدراك الإنسان للعناية الإلهية بدءا من نفسه -حيث جعل جميع مافيه موافقا بعضه لبعض- فيقول أن ذلك يكون سببا في تقريبه من ربه ومحبته والرغبة في قربه ونيل رضاه، والوقوف على آثار الصنع البديع في كل ما يطاله بصره من أنواع الموجودات، فينتقل بفكره إلى الصانع المبدع جل جلاله [3]. فالشيخ إذا يرى أن العناية الإلهية دليل على إثبات الخالق، وهي طريق لإثبات بعض صفاته كإثبات كونه تعالى عليما حكيما، كما يرى أن العناية الإلهية غير قاصرة على الظواهر الكونية فحسب، بل هي ظاهرة في أعضاء الإنسان نفسه.

---

[1] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، الشهير بالحفيد، ولد سنة (520هـ)، وتوفي سنة (595هـ)، من مؤلفاته: بداية المجتهد، والكليات في الطب وغيرها. ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طب قات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م]، ج1، ص212-213.

[2] محمد بن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: مصطفى حنفي، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، [لبنان: بيروت، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م]، ص162.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص38-39.

الفرع الرابع: دليل حدوث العالم

لقد انبرى المتكلمون منذ القديم لإثبات حدوث العالم وجعلوه دليلا على إثبات الصانع، وسعوا إلى إبطال قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم، فأصلوا القول في الاستدلال على حدوث العالم بدليل الحوادث المشهور الذي لم يخرج عند أغلبهم عن التركيب الآتي:

المقدمة الأولى: العالم حادث.

المقدمة الثانية: كل حادث له محدث.

النتيجة: العالم لابد له من محدث.

تقوم المقدمة الأولى في إثبات حدوث العالم، على تقسيمه إلى جواهر وأعراض، وإثبات حدوث الأعراض، وعدم انفكاك الجواهر عن الأعراض، فتصير بذلك حادثة مثلها.
وأما المقدمة الثانية فتقوم على امتناع التسلسل في الحوادث، و أنه لا بد من رجوع إلى واجب الوجود، يستحيل عليه العدم[1].

وأما الشيخ طاهر الجزائري فهو يرى أن العالم حادث، مخلوق لله عز وجل، وأنه مسبوق بعدم، كائن بعد أن لم يكن، وموجود بفعل واجب الوجود، وبالرجوع إلى كتاباته نجد أنه بحث هذه المسألة في موضعين:

الأول: في كتابه الجوهرة في قواعد العقائد، حيث نلاحظ فيه عدم التزامه بمنهج المتكلمين في عرض دليل الحدوث بمقدماته ونتائجه السابقة على الترتيب الذي سبق، كما نلحظ فيه المسلك اللطيف الذي سلكه الشيخ في تيسير العبارة وبعده عن التعقيدات الكلامية وتخليه عن كثير من المباحث التي أقحمها المتكلمون في إثبات هذا الدليل.

الثاني: في شرحه على خطب بن نباتة [2] وتحديدا عند تعقيبه على عبارة موهمة للخطيب، حيث اعتذر الشيخ له، ثم بين مقصده من تناول مسألة قدم أو حدوث العالم بقوله: " إن مسألة القدم من أدق المسائل التي خاض في بحرها الجهابذة قديما وحديثا وقد زلت فيها قدم كثير من الناس ولما كانت عبارة خطيب الخطباء – ابن نباته- قد توهم منها خلاف ما أراد والخطب في ذلك ليس

---

[1] عبد الرحمان الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص245، 266. وعبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد موسى، وعلي عبد الحميد، [مصر، د.ط، مكتبة الخانجي، 1369هـ-1950م]، ص28-29.

[2] هو عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة، أبو يحيى، الخطيب، صاحب الخطب المشهورة ،كان إماماً في علوم الأدب ، ولد سنة (535هـ)، وتوفي سنة (374هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص156-158.

بسهل اضطررنا أن نذكر شيئا مما يتعلق بهذه المسألة" [1]، وقد تميز بحثه في هذا الموضع عن سابقه بالرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

وسأحاول فيما يلي الجمع بين كلام الشيخ في هذه المسألة للوقوف على رأيه بدقة، ومعرفة مدى موافقته للمتكلمين الذين استخدموا هذا الدليل لإثبات واجب الوجود من عدمه.

أولا: معنى الحدوث

الحدوث هو الكون بعد العدم، وهو مقابل للقدم الذي لم يسبق بعدم، فالحادث ما كان مسبوقا بالعدم، فهو الموجود بعد أن كان معدوما، والعالم بهذا المعنى حادث،كان قبل وجوده معدوما، وهو مفتقر في وجوده إلى موجد قديم يوجده.

وهذا الذي يقرره الشيخ طاهر فيقول: "إتفق أرباب الملل على حدوث العالم بذاته وصفاته، والمراد بالحدوث وجوده بعد أن كان معدوما وقتاما" [2].

ثانيا: أجزاء العالم [3]

المراد بالعالم عند الشيخ طاهر "ما سوى الله تعالى فتدخل فيه الأفلاك والأملاك وغير ذلك مما وصل أو لم يصل إليه الإدراك" [4]، وينقسم العالم عند الشيخ طاهر إلى:

1.الأجسام [5]:

اختلفت عبارات الشيخ طاهر في تعريف الجسم، ومرد هذا الاختلاف في عباراته أن تعريفه للجسم إنما هو من باب التعريف بالرسم لا الحقيقة، وهو ما يؤكده الشيخ بأن الجسم يعرف رسمه ولا تعرف حقيقته، فهو يمتاز ويختص بالتحيز، وقبول الانقسام، والامتداد في الجهات وبالتالي اتصافه بالطول والعرض والعمق، يقول الشيخ: العالم إما أجسام وإما أعراض، فأما الجسم فيتميز عن غيره

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص252.

[2] المصدر نفسه، ص253.

[3] العالم، عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه يعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته. الجرجاني، التعريفات، ص145.

[4] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص253.

[5] الأجسام: جمع جسم هو الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق، وقيل هو المركب المؤلف من الجوهر، وهو ذو شكل ووضع، وله مكان إذا شغله منع غيره من التداخل فيه معه. الجرجاني، المرجع السابق، ص76، وجميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص402.

بالتحيز فهو شيء متحيز بالذات، ممتد في الجهات، له طول، وعرض، وعمق، كما أنه قابل للانقسام[1]. ويظهر جليا أن ما ذكره الشيخ لا يَعْدُ كونه أوصافا تختص بها الأجسام.

2. الجواهر:

تناول الشيخ موضوع الجوهر بشيء من التفصيل مقارنة بكلامه عن الجسم والعرض، وذلك في سياق بيانه لعجز العقل عن إدراكه لحقائق الأشياء، فبعد استغرابه من عدم إدراك العقول حقيقة الجسم يذكر الخلاف الذي وقع في ما يتركب منه الجسم، ويقول أن بعض الناس ذهب إلى أن الجسم مركب من أجزاء لا تتجزأ، ويعرف الجزء الذي لا يتجزأ أو الجوهر الفرد بأنه مالا يقبل القسمة بوجه من الوجوه. إما بطريق القطع أو الكسر أو الوهم أو الفرض المطابق للواقع[2]، وبعد استطراده في ذكر اختلاف الناس في إثبات الجوهر الفرد من عدمه، نجده يستحسن عدم الدخول في مضائق هذه المسائل خشية القول بغير علم مذكرا بالقاعدة الذهبية لأهل النظر:

خذ من زمانك ما صفا ودع الذي فيه الكدر

3. الأعراض:

بعد أن ذكر الشيخ القسم أو الجزء الأول من أجزاء العالم وهو الجسم، ذكر الجزء الثاني منه وهو العرض الذي يرى أنه لا قوام له في نفسه؛ بل يلزم لقيامه وثباته وجود جسم يقوم به [3]، ويُلاحظ أن الشيخ يذكر أهم صفة من الصفات الملازمة للأعرض، وهي عدم انفكاكها عن محل تقوم به، فلا قيام لها بنفسها ولا وجود لها دون الجواهر والأجسام.

4. ما ليس بجسم ولا عرض:

يرى الشيخ طاهر أن من الأشياء ما ليس بجسم ولا عرض، ومن الصعب معرفة حقيقتها، إذ لا يتمكن العقل البشري إلا من معرفة بعض خصائصها، ومن هذه الأشياء التي لا تعرف حقيقتها:

---

[1] طاهر الجزائري ، الجوهرة في قواعد العقائد، ص42، 50، 55.

[2] المصدر نفسه، ص50-51.

[3] المصدر نفسه، ص42.

أ– الزمان[1] والمكان[2]:

يرى الشيخ أن معرفة حقيقة الزمان والمكان ليست في قدرة البشر فهي خارجة عن دائرة الإمكان، ويرجع سبب هذا العجز حسبه إلى محدودية الإدراك العقلي، إذ ليس في وسع العقل أن يعرف الفصول المقومة للشيء، والدالة على حقيقته، وإنما يعرف أنه شيء له خواص وأعراض، وإذا كان الشيخ يرى أن العالم إما أجسام وإما أعراض فإنه لا يجعل الزمان والمكان من أحد هذين القسمين بسبب تجردهما عن أوصاف الأجسام بعدم التحيز فيهما، وإن كانا يقبلان الانقسام، وتجردهما عن وصف الأعراض بعدم ظهور قيامهما بالأجسام"[3].

ب– الروح أو النفس:

أقام الشيخ الدليل على أن الروح ليست عرضا لاستحالة قيام العلم والقدرة والتدبير وهي أعراض بنفس الإنسان، فقيام الأعراض بالعرض محال، واستحالة قيام هذه الأعراض بجسمه وإلا لزم منه تعدد المحال لقيام العرض الواحد وهو محال، كما أن الروح ليست جسما بدليل اختلاف الجسم والنفس في قبول الصور العقلية والحسية[4].

بعد أن تكلم الشيخ طاهر عن الأجسام والأعراض، نلاحظ أنه لم يتعرض لإثبات حدوث الأعراض كما فعل المتكلمون عن طريق دليل الأكوان الأربعة: الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، ولم يتعرض لإثبات عدم انفكاكها عن الأجسام، للوصول إلى نتيجة أن الأجسام حادثة حدوث الأعراض، إلا أن هذا يمكن أن يفهم من قوله السابق في العرض بأنه قد تميز بقيامه بالأجسام، ولولاها لما كان له في نفسه قوام، ولكن هذا الكلام على الرغم من دلالته على عدم انفكاك الأعراض عن الأجسام؛ إلا أنه ليس فيه دلالة على ما قرره المتكلمون من أن ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث، وهو ما لم يثبته الشيخ نفسه.

---

[1] الزمان: هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين: عبارة عن متجدد يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس؛ فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام. الجرجاني، التعريفات، ص114.

[2] المكان: عند الحكماء، هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده. المرجع نفسه، ص227.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص43، 50.

[4] المصدر نفسه، ص43-44.

ويبدو واضحا أن الشيخ طاهر لم يسلك طريقة المتكلمين في إثبات مقدمة أنّ "العالم حادث" عن طريق التركيب بين المقدمات الآنفة، وهي الطريقة المعروفة لديهم، كما أنه لا يستبعد المسلك العقلي في إثبات حدوث العالم، يقول: "إتفق أرباب الملل على حدوث العالم بذاته وصفاته...ووافقهم على ذلك بعض الحكماء وهو الحق وقد شهد بذلك العقل وأيده النقل"[1]، والظاهر أن في قوله "بذاته وصفاته"، مخالفة للفلاسفة الذين سبق له قبل مقالته الأخيرة أن أورد قولهم في قدم العالم، فقال أنه مع قولهم بقدم العالم فإنهم يقولون أن قدم الله تعالى ليس كقدم الموجودات، ولذلك هم يقولون في الموجودات أنها حادثة بالذات قديمة بالزمان[2].

وفيما يتعلق بالمقدمة الثانية وهي أن "كل حادث له محدث" فقد جعلها الشيخ طاهر نقطة البداية التي انطلق منها لإثبات وجود الله تعالى في مقدمة كتابه "الجوهرة في قواعد العقائد"، وقدّمها على ما تعلق بالمقدمة الأولى فقال أن مما فطر عليه الناس على اختلاف الأجناس أمران:أحدهما: أن كل حادث لا بد له من محدث، وأن حدوث حادث ما بلا سبب محال، وثانيهما: أن الأسباب لا بد أن تنتهي إلى أول يكون عليه المعول[3]، فرد الشيخ الأسباب والحوادث إلى مسبّبها ومحدثها الأول وفي هذا إشارة إلى بطلان التسلسل أو امتناع حوادث لا أول لها، ويقول: " لما كان الإنسان لا يخلو عن إدراك حوادث يدركها بالبرهان، كحدوث الحياة فيه، بعد أن لم تكن، أو بالعيان، كانقلاب ما في البيض إلى الحيوان، وغير ذلك مما لا يحصى من الحوادث المتنوعة، فإذا أمعن النظر في ذلك علم أن له وللموجودات موجدا إليه المنتهى"[4]، وهذا القول الأخير يمكننا عده نتيجة لما تقدم وهو أن الإنسان والموجودات التي يجمعها لفظ العالم لها محدِث.

ثالثا: الرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم:

1. قول الفلاسفة:

يوضح الشيخ طاهر موقف الفلاسفة المتمثل في القول بقدم العالم ويبين منشأ غلطهم، وأصل شبهتهم فيقول: "ومنشأ غلط هذه الفرقة قولهم أن العالم ممكن الوجود في الأزل، وقد وجدت علته التامة فيه فيقتضي عدم تأخر وجوده عنها لئلا يلزم تخلف المعلول عن العلة؛ فإن قال قائل إنه وجد

1 طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص253.
2 المصدر نفسه، ص253.
3 طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص37.
4 المصدر نفسه، ص38.

بعد، قالوا إن كان سبب تأخره لغير مرجح لم يعقل لأن الترجيح بغير مرجح محال وإن كان لمرجح قيل كيف حدث هذا المرجح بعد أن لم يكن ولم حدث الآن ولم يحدث قبل والحق سبحانه لا يلحقه التغيير وبنوا على ذلك وجود العالم بدون الاختيار لأن الاختيار يقتضي وجود الإرادة وهي نقص في حق الواجب"[1]، ويمكننا تلخيص قول الفلاسفة حسب ما أورده الشيخ فيما يلي:

- ✓ وجود العلة التامة في الأزل يلزم منه قدم المعلول (العالم) وعدم تأخر وجوده عن علته.
- ✓ تأخر العالم لغير مرجح لا يعقل لاستحالة الترجيح بغير مرجح.
- ✓ تأخر العالم لمرجح يُعترض عليه بكيفية حدوثه، وزمن وجوده.

إن القول بقدم العالم حسبما ذكره الشيخ طاهر ينسب إلى أرسطو[2] ويتبعه في القول به جماعة من الفلاسفة الذين لم يذكرهم بأعيانهم، واكتفى بمجرد الإشارة إليهم، والذي استقر عليه رأي جماهير الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين كما قال الغزالي هو القول بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ، ومساوقاً له، غير متأخر عنه بالزمان ، مساوقة المعلول للعلة ، ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان ، وقد خالف في ذلك بعض الفلاسفة فقال أن العالم محدث غير قديم كأفلاطون[3]، وتوقف بعضهم كجالينوس[4] وذلك لاستعصاء هذه المسألة على العقول، غير أن مخالفة هؤلاء للفلاسفة القائلين بقدم العالم هو كالشاذ في مذهبهم[5].

2. الرد عليهم:

بعد أن بين الشيخ طاهر قول الفلاسفة الذي وصفه بأنه من أردى أقوال الفلاسفة في العلم الأعلى، شرع في الرد عليهم، ورده يتلخص في مايلي:

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص254.

[2] هو أرسطو طاليس، فيلسوف جامع لفروع المعرفة الإنسانية، من تلاميذ أفلاطون، ولد بمدينة أسطاغيرا سنة (384ق.م)، وتوفي سنة (322ق.م)، مؤلفاته متنوعة مابين كتب في المنطق والطبيعيات والميتافيزيقا وغيرها. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، [لبنان: بيروت، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م]، ج1، ص98-99.

[3] أفلاطون هو أحد فلاسفة اليونان، من تلاميذ سقرط، ولد في أثينا سنة (428ق.م)، وتوفي سنة (348ق.م)، المرجع نفسه، ص154.

[4] جالينوس، أكبر أطباء العصر القديم بعد بقراط، وفيلسوف يوناني شارح لآراء أفلاطون وأرسطو وغيرهما، ولد سنة (129م)، وتوفي سنة (199 أو200م)، من مؤلفاته: فن تشريح الرحم، البرهان، وغيرها. المرجع نفسه، ص97، 98.

[5] أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، [مصر: القاهرة، ط8، دار المعارف، د.ت]، ص88.

الوجه الأول: تأخر وجود العالم كان لمرجح وهو الإرادة القديمة المتعلقة في الأزل بوجود العالم في الوقت الذي وجد فيه، واستبعاد الفلاسفة لها وعدها نقصا في حق الخالق مبني على قياس الحق على الخلق وهو باطل.

الوجه الثاني: إستلزام المعلول لعلته التامة لا يوجب المقارنة وإنما يليها، والقول بالمقارنة يستلزم القول بأزلية حدوث الموجودات، وهو مما لا يقول به عاقل، وإنكار الحوادث اليومية غير متيسر لهم، إذ أنه أمر مشهود.

كما أن تأخر وجود العالم عن موجده إنما كان لتوقف وجوده على وجود غيره وسبق ذلك الغير عليه، وهذا هو عين جواب الفلاسفة عن تأخر وجود الحادث اليومي.

وبعد رد الشيخ على الفلاسفة يخلص إلى القول بأنه قد تبين أن عدم وجود الممكن في الأزل لا يقتضي عدم إمكان وجوده فيما بعد[1].

المطلب الثاني: الأسماء والصفات

يرى الشيخ طاهر أن الكلام في الصفات هو فرع عن الكلام في الذات، فلما كان إثبات ذاته تعالى إثبات وجود لا كيفية فكذلك إثبات صفاته، يقول: "والأصل في هذا الباب أن الصفات كالذات، فكما أن ذات الحق سبحانه ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لذوات الخلق، كذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لصفات الخلق" [2]، ولأن العقل وحده قاصر عن إدراك حقيقة ذاته سبحانه فقد عاب الشيخ على المتكلمين الذين خاضوا في كثير من مسائل الذات والصفات، يقول: "هذا وقد تصدى بعض المتكلمين لمباحث في الذات والصفات، ولو سكتوا عنها لكان أقرب إلى ما يقتضيه العقل والنقل، ولو سئل أحدهم عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر"[3]، ولا يعني هذا استبعاد الشيخ للعقل تماما في باب صفات الله تعالى، بل إن العقل يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بصفات الكمال، ذلك أننا "نشاهد في المخلوق صفات كمال، والذي أعطاه هذا الكمال هو الله تعالى، فمعطي الكمال أولى بالكمال، ومن كماله أنه أعطى الكمال،

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص255.
[2] طاهر الجزائري ، الجوهرة في قواعد العقائد، ص100.
[3] المصدر نفسه، ص105.

فهذا أيضا دليل عقلي على ثبوت صفات الكمال لله عز وجل" [1]، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ طاهر بقوله:"... غير أنه كلما رأى شيئا من الكمال في الموجودات علم أن واهبه أكمل، فوصفه بجميع صفات الكمال، على الوجه اللائق وبما له من الجلال"[2].

وفيما يأتي ذكر ما أثبته الشيخ طاهر من صفات الله تعالى:

1- الوجود: إثبات هذه الصفة عند الشيخ والإيمان بها يكون بالاعتقاد بالوجود الذاتي والواجب لله الذي لا يمكن أن يلحقه العدم، فالله تعالى هو الواجب الوجود الموجد لكل موجود، والوجود الواجب كما يرى هو الذي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم، ولهذا كان مشعرا بالبقاء والقدم، وهو ما حذا بكثير من المتكلمين إلى عدم ذكر هاتين الصفتين في جملة الصفات التي يثبتونها، وقد اعتذر الشيخ لهم بدلالة صفة الوجود على المعنى الذي سبق[3].

2- العلم: يرى الشيخ أن الإيمان بعلم الله يشمل الاعتقاد بأنه موصوف بالعلم، وأن علمه ليس بمكتسب، بل يعلم الأشياء في الأزل قبل وجودها، كما إن علمه وسع كل شيء، وقد بين سعة علم الله تعالى وأنه وسع الممكنات وحقائقها وصفاتها وما إلى ذلك، وهو ما يقرره عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [المدثر:31]، حيث يقول أن المعنى نفي الإحاطة بجموع خلق الله على ما هم عليه إلا هو؛ إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة، وعند شرحه لقول ابن نباتة أن الله هو الخالق المعبود الرازق المحمود، المحيط علمه بالحد والمحدود، يوضح الشيخ الفرق بين علم الله تعالى وعلم الخلائق فيقول أن علم الله يتعلق بالحد والمحدود معا من غير أن يسبق العلم بأحدهما العلم بالآخر، بخلاف علم الخلائق فإنه يتعلق أولا بالحد لكونه السبب للعلم بالمحدود ثم يتعلق به[4].

---

[1] محمد العثيمين، شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تعليق: نشأت المصري، [مصر: القاهرة، ط1، دار الآثار، 1423هـ-2002م]، ص116.

[2] طاهر الجزائري ، الجوهرة في قواعد العقائد، ص38.

[3] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص253.

[4] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص43. وطاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص232، ص362.

3- القدرة: الإيمان بقدرة الله تعالى عند الشيخ يكون باعتقادنا بأنه سبحانه موصوف بالقدرة، وأنه على كل شيء قدير[1].

وقد أثبت الله تعالى لنفسه القدرة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[آل عمران:165]، وأسند القدرة لبعض الحوادث ونسبها إليهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ ...﴾ [المائدة:34]، غير أن "بين قدرة الخالق و المخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل مابين ذات الخالق والمخلوق"[2].

4- الإرادة: يرى الشيخ أنه تعالى مريد موصوف بالإرادة، وأن كل شيء متوقف على إرادته فما شاء أن يكون كان و ما لم يشأ أن يكون لم يكن.

وقد عاب الشيخ على الفلاسفة الذين نفوا الاختيار عن الله في إيجاد العالم، ولا يخفى أن نفي الاختيار هو نفي للإرادة، يقول النسفي[3]:"ثم إن صانع العالم جل وعلا أوجده باختياره، إذ من لا اختيار له في فعله فهو مضطر، و المضطر عاجز، ولا اختيار بدون الإرادة، فكان مريدا"[4]، وأنكر الشيخ كذلك على الفلاسفة عدهم الإرادة نقصا في حقه تعالى قائلا: "وأما جعلكم إثبات الإرادة نقصا في حق الحق فهو من قبيل كلام من غاب عنه إدراكه"[5]، ثم بين بعد كلامه هذا في معرض حديثه عن قدم العالم أن استبعادهم لتعلق الإرادة القديمة بإحداث شيء بعد، مبني على قياس الحق على الخلق، وفيه إشارة إلى بطلان قياس الخالق على المخلوق في باب الصفات.

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص44.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، منهج و دراسات لآيات الأسماء والصفات، مطبوع ضمن كتاب القواعد الطيبات في الأسماء والصفات، لأشرف بن عبد المقصود، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة أضواء السلف، 1416هـ-1995م]، ص48.

[3] هو ميمون بن محمد، أبو المعين النسفي، عالم بالأصول والكلام ، ولد سنة (418هـ-1027م)، وتوفي سنة (508هـ)، من مؤلفاته: التمهيد لقواعد التوحيد ، والتبصرة في الكلام . ابن قطلوبغا السودوني، تاج التراجم، تح قيق: محمد خير رمضان يوسف، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1413هـ-1992م]، والزركلي، الأعلام، ج7، ص341.

[4] أبو المعين النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، تحقيق: حبيب الله أحمد، [مصر، ط1، دار الطباعة المحمدية، 1406هـ،1986م] ص206.

[5] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص254.

5- الحياة: يقول الشيخ طاهر: "الحياة تطلق على ست معان:

الأول: القوة النامية الموجودة في النبات و الحيوان ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾ [الحديد:17]

الثاني: القوة الحساسة ومنه قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾ [فصلت:39].

الثالث: القوة العاقلة العاملة ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ﴾ [الأنعام:122].

الرابع: إرتفاع الغم و منه قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

الخامس: الحياة الدائمة التي يحظى بها السعداء ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:24].

والسادس: الحياة التي يوصف بها الباري"[1].

وهذا القسم الأخير هو المقصود في هذا الباب إذ أن المعاني التي سبقت كلها معان لغوية، وبشأن إثبات صفة الحياة لله تعالى واعتقاد اتصافه بها يرى الشيخ أن نعتقد أن الله تعالى حي، وأن حياته سبحانه ليست كحياتنا، والفرق بين حياتنا وحياة الله تعالى أن حياتنا بوسائط كجريان الدم والنفس، وحياة الله سبحانه ليست بواسطة شيء، كما أن حياته تعالى قديمة باقية لا يلحقها العدم والتغير أصلا[2].

6- الكلام: يثبت الشيخ صفة الكلام لله تعالى، فهو يرى أن الكلام صفة من صفاته سبحانه غير مشابه لكلام خلقه، فكلامه سبحانه غير مخلوق بخلاف كلامنا فإنه مخلوق فينا وبواسطة آلة من فم ولسان وشفتين، ومن كلام الله تعالى كتبه المنزلة على رسله، ومنها القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل، فهو منزل من عند الله وهو كلامه لا كلام غيره، ويرى الشيخ أن كلام الله تعالى ينسب إليه حقيقة لا مجازا كنسبة كل كلام إلى قائله حقيقة، وأن قراءة الناس له لا تخرجه

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص208.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح:الصديق، ص42.

عن كونه كلام الله؛ لأن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتديا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، ولهذا يرى أنه لا يجوز إطلاق القول بأنه عبارة عن كلامه[1].

7-8- السمع والبصر: يقرر الشيخ أنه تعالى موصوف بالسمع، وأن سمعه وسع كل شيء، فهو يسمع من غير واسطة بخلاف خلقه الذين لا يسمعون إلا عن طريق واسطة الأذن، كما أنه تعالى موصوف بالبصر، لا يغيب عن بصره شيء مهما دق وصغر فهو يبصر حتى النملة السوداء في الليلة الظلماء؛ غير أن بصره تعالى لا يشبه بصرنا فهو يبصر بغير واسطة وأما بصرنا فلا يكون إلا عن طريق واسطة العين[2]، وقد قال الله تعالى مثبتا لنفسه السمع والبصر: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11]، فأخبر سبحانه في هذه الآية أنه سميع من كل الجهات لكل الأصوات بصير بكل الأشياء من كل الجهات، وهو الفرق بين الله وبين عباده فسمعهم وبصرهم محدث مخلوق عاجز يفنى بفنائهم بخلاف سمعه وبصره جل وعلا[3].

9- الوحدانية: الاعتقاد بوحدانية الله هو أن نعتقد أنه تعالى واحد جل عن مشاكلة الضريب؛ فليس له شريك يشاكله، ولا نظير ولا مماثل يماثله ولا ضد ولا معاند يعانده، فهو تعالى لايشبه خلقه في شيء، بل هو واحد في كل شيء، من ذلك تنزهه عز وجل عن الحاجة إلى الطعام والشراب، ويتعجب الشيخ طاهر من الذين ينزهون الإنسان عن الأكل والشرب إذا حل في الجنان، ويكثرون العجب ممن يقول أن الجنة تشتمل على النعيم الجسماني كما تشتمل على النعيم الروحاني، وفي المقابل هم لا ينزهون رب البرية عن هذه الحاجه[4].

كما أنه جل جلاله منزه عن الولد ومستغن عنه، وهذا ما أثبته الشيخ عند قوله تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر:4]، يقول الشيخ أن هذه الآية أشارت إلى استحالة الولد

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح:الصديق، ص 45. وطاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص34

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص44، 45.

[3] محمد بن منده، كتاب التوحيد، تح قيق: علي الفقيهي، [السعودية: المدينة النبوية، ط1، دار العلوم والحكم، 1423هـ-2002م]، ج3، ص8.

[4] طاهر الجزائري ، شرح خطب بن نباتة، ص244، 312.

بالدليل العقلي، فالولد حسبه لا يخلو من حالتين، إحداهما أن يكون غير مخلوق لله سبحانه وفي هذه الحالة يلزم أن يكون شريكا له، وقد دل البرهان على وحدانية الله واستحالة الشريك، وثانيهما أن يكون مخلوقا له وفي هذه الحال لزم أن يشابه والده، وقد دل الدليل على استحالة مشابهة المخلوق للخالق؛ فبطل أن يكون ولدا له لانتفاء المشابهة، ونهاية ما يتصور فيه أن يكون مصطفى لديه؛ مع أن الولد إنما يطلب لمعاونة الوالد حال وجوده وللقيام مقامه بعد عدمه ففي بقاء الولد نوع بقاء للوالد، فإذا فرض ارتفاع الأسباب الموجبة لاتخاذ الولد كان اتخاذه عبثا [1]، وصدق الله جل وعلا إذ يقول:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: 1-4].

10- القدم: قام الشيخ بتعريف القدم من الناحية اللغوية وأشار إلى دلالته عند المتكلمين، فذكر أن معنى قدم بضم الدال في اللغة خلاف حدث، فبناء قديم وحديث قديم أي زمانه سابق متقدم، واستدل على هذا بقول ابن العفيف:

حديث غرامي في هواك قديم وفرط عذابي في نواك أليم[2]

وأما عند المتكلمين فالقديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، كما يذكر الشيخ أن القدم ينقسم إلى قسمين: قدم لغوي وعرفي وليس بينهما تباين بل عموم وخصوص مطلق، فكل قدم عرفي هو قدم لغوي ولا عكس، والقدم العرفي هو المعنى الذي أراده المتكلمون في حق الله تعالى، كما أن هذا النوع يسمى بالقدم الحقيقي ويطلق في حق الله تعالى دون غيره، وأما ما أُطلق في حق الخلق فيسمى بالقدم الإضافي.

وقد أثبت الشيخ صفة القدم لله تعالى دون التعرض لأدلتها، لكون هذه المسألة في حكم البين بنفسه، فهي من المتفق عليه بين جميع الناس، حتى أن المشركين جازمون بنسبة القدم إليه واستحالة سبق العدم أو لحوقه عليه كما يرى الشيخ، وأما الإيمان بصفة القدم وإثباتها له تعالى فيتضمن الاعتقاد بأنه قديم موجود قبل كل شيء، لم يسبقه عدم ولا أول لوجوده[3].

---

[1] طاهر الجزائري ، شرح خطب بن نباتة، ص313.

[2] أنظر هذا البيت، محمد بن سليمان ابن العفيف، ديوان الشاب الظريف، [لبنان: بيروت، د.ط، المطبعة الأدبية، 1885م]، ص61. والبيت فيه بلفظ: حديث غرامي في هواك قديم...وفرط عذابي في هواك نعيم.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص40. وطاهر الجزائري ، شرح خطب بن نباتة، ص252-253.

11- البقاء: يرى الشيخ أن الله تعالى باق بلا نهاية ولا زوال، وأنه لا يلحقه العدم في وقت من الأوقات، فالبقاء هو الدوام، وقد ورد الباقي في أسمائه الحسنى ولم يرد الدائم.

12- المخالفة للحوادث: يرى الشيخ أن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله مخالفة للحوادث، فلا تشابه بينهما على الإطلاق، فذاته لا تشابه شيئا من المخلوقات بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:11]، ويرى أنه لا يجوز التكلم في ذاته سبحانه لأن العقل قاصر عن إدراك ذاته، فالعقل البشري يعجز عن تحقيق ذات واحدة من العالم فما بالك بذاته عز وجل، وما قيل في الذات يقال في الصفات، فصفاته جل جلاله لا تشبه صفات خلقه في شيء، وكذلك بالنسبة لأفعاله فلا تشابه بينها وبين أفعال الخلق، فأفعاله تعالى بلا واسطة ولا آلة ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:82]، وأنه سبحانه لا يفعل شيئا عبثا أي بغير فائدة لأنه حكيم.

13- القيام بالنفس: يرى الشيخ أن الله عز وجل غير محتاج إلى شيء من مخلوقاته، فهو لا يفتقر إلى المكان أو المحل أو إلى أي شيء آخر، بل كل شيء مفتقر محتاج إليه سبحانه وتعالى[1].

14- الاستواء و النزول: مسألة الاستواء والنزول هذه خاض فيها الناس قديما وحديثا، واختلف فيها السلف والخلف بين مثبت لها من غير تأويل وبين مؤول رافض لحملها على ظاهرها، والشيخ طاهر يعرض وجهة نظر الفريقين ويرجح أحد المذهبين على الآخر.

أ/ أدلة المسألة: ورد في المسألة أدلة كثيرة سواء من الكتاب أومن السنة، لكن الشيخ يكتفي بذكر دليل واحد من القرآن في الاستواء وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:5]، ودليل من السنة في النزول وهو الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له"[2].

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق ص40- 42، 97. وطاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص105.

[2] أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم: 1145، ج1، ص356، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم:758، ج1، ص521. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت].

ب. ذكر الخلاف بين السلف والخلف:

- موقف الخلف:

يذكر الشيخ أن الخلف قد أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الرحمة، فيقول:"قال الخلف إن المراد باستواء الرحمان على العرش استيلاؤه عليه، وملكه له، والمراد بنزول الرب في ثلث الليل الآخر نزول رحمته، لاستحالة الاستواء بالمعنى الظاهر على الله سبحانه. وكذلك النزول، لأنهما من الصفات الجسمانية، وهي مستحيلة عقلا على الحضرة الربانية" [1]، والظاهر أن الشيخ طاهر يقصد بالخلف في هذه المسألة بعضا من الفرق الإسلامية كالمعتزلة التي أولت الاستواء بالاستيلاء، وطائفة من الأشاعرة الذين تأولوا صفتي الاستواء والنزول وقالوا أن حملهما على الحقيقة مؤداه إلى الحكم بحدوث الإله، لأنهما من صفات الأجسام، فأولوا الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبة والعلو، وأولوا النزول بنزول الرحمة أو نزول الملائكة المقربين أو إسباغ الله نعماءه على عباده [2].

- موقف السلف:

لقد أثبت السلف الاستواء ولم يؤولوه كما فعل الخلف، فهم يؤمنون أنه جل وعلا مستو على عرشه كما أخبر، استواء يليق بجلاله لا يماثل استواء المخلوقين، وقد ورد عنهم في تفسيره أربعة معاني وهي: علا، ارتفع، صعد، استقر، والثلاثة الأولى معناها واحد وأما استقر فلها معنى مختلف [3]، ويذكر الشيخ طاهر عن السلف إمرار صفة الاستواء كما وردت من غير تأويل فيقول:"وقال السلف نحن نثبت لله سبحانه ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه عليه الصلاة والسلام من غير تأويل موقنين بأنه سبحانه وتعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى:11]، في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فنثبت له استواء على العرش يليق بجلاله، منزهين له عن مماثلة استواء الإنسان على السرير أو الفلك ونحوهما، حتى لا نكون ممثلين، ولا ننفي ما أثبته لنفسه، حتى لا نكون معطلين" [4].

---

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص99.

[2] أنظر، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد الكريم عثمان، [مصر، د.ط، مكتبة وهبة، 1384هـ-1965م]، ص226، وأبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص24. وعبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص161. وأبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص38.

[3] محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، اعتنى به: سعد الصميل، [السعودية: الدمام، ط6، دار ابن الجوزي، 1421هـ]، ص375.

[4] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص99-100.

يلاحظ أن الشيخ طاهر قد بين موقف السلف من الاستواء دون النزول رغم أن المقام يقتضي ذكره، ولعله استغنى عن ذكره بما تقدم بيانه في أول عبارته السابقة التي توضح موقف السلف عموما من صفات الله تعالى، والنزول داخل فيها، فالسلف يثبتون حقيقة نزول الله تعالى دون تأويل، ويعدون حديث النزول الذي أورده الشيخ طاهر إلى جانب الأحاديث التي تثبت صفة النزول الإلهي من الأحاديث المتواترة[1].

- الترجيح:

بعد عرض الشيخ لموقف السلف والخلف يبين أن ثبوت صفات الحق تعالى هو ثبوت حقيقي من غير أن يكون لها شبه بصفات خلقه، فهو لا يختلف عن ثبوت ذاته تعالى حقيقة من غير مشابهة لذوات الخلق، إذ الصفات عند الشيخ طاهر كالذات لا فرق بينهما، ويُلزم الشيخ المؤولين لصفتي الاستواء والنزول بتأويل صفة العلم والقدرة إن كانوا لا يعقلون استواءً ولا نزولا إلا في الأجسام بناءا على ما يدركونه في الشاهد؛ يقول:" فإن كنت لا تبني إلا على ما تشاهد، فالحال في النوعين واحد، فكيف أولت الاستواء والنزول، ولم تؤول العلم، والقدرة، فإما أن تؤول في النوعين، أو تترك التأويل فيهما، مثبتا لهما على وجه يليق بكمال ذي الجلال، وجلال ذي الكمال"[2].

وبهذا يتبين ترجيح الشيخ لمذهب السلف وعدم تأويله لهاتين الصفتين، فهو يرى أن الاستواء له معنى يليق بجلاله تعالى، فالاستواء معلوم والكيف مجهول، كما أنه ينص على أن استواءه على العرش ليس كاستواء الإنسان على السفينة أو ظهر الدابة أو السرير مثلا[3].

15- الرحمة: يذكر الشيخ طاهر اختلاف السلف والخلف في معنى الرحمة؛ فالخلف يرون أنها في حقه تعالى مجاز يستحيل حملها على الحقيقة، ويجب تأويلها بإرادة الإنعام أو الإنعام نفسه؛ ذلك أن أصل معناها رقة في القلب، تقتضي التفضل والإحسان؛ فهي من الأعراض النفسانية التي تستحيل في حقه سبحانه وتعالى.

وأما السلف فيخالفونهم تماما حيث يحملون صفة الرحمة على الحقيقة دون تأويل، ويرون أن الرحمة التي هي من الأعراض النفسانية هي الرحمة القائمة بنا، ولا يلزم من ذلك أن تكون الرحمة التي

---

[1] عبد القادر الجعيدي، صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، [د.م، د.ط، مكتبة دار البيان الحديثة، د.ت]، ص43.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص100-101.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص46.

وصف بها الحق سبحانه مجازا.

ويوافق الشيخ السلف في حمل صفة الرحمة على الحقيقة وإثباتها من غير تأويل، ويرى أن عد الرحمة من الأعراض النفسانية إنما يكون في الرحمة القائمة بنا لا الرحمة التي وُصف بها الله تعالى، ويرد على الخلف بقياس الصفات على بعضها؛ حيث يقول أن العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات التي أثبتها الخلف هي أعراض نفسانية، ورغم هذا لم يقل أحد منهم أنها في حقه تعالى مجاز، فكذلك الرحمة هي حقيقة واحدة هي العطف، ثم العطف تختلف وجوهه وأنواعه بحسب ما يليق بجلال ذاته من الإنعام وإرادته، كما أن العلم والقدرة والإرادة حقيقة واحدة إذا نسبت إلينا كانت كيفية نفسانية وإذا نسبت إلى الحق كانت كما يليق بجلال ذاته [1].

16- الغضب: يذكر الشيخ أن الخلف قد أولو الغضب بإرادة الانتقام أو الانتقام نفسه، فهم يرون أنه من الأعراض النفسانية المشعرة بالانفعال والتغير من حال إلى حال، فأصل معناه ثوران في الدم يقتضي الانتقام، ويذكر رد السلف عليهم بأن " ثوران الدم أمر يقارن الغضب وليس نفس الغضب، كما أن صفرة الوجه تقارن الوجل وليست نفس الوجل، وسبب ذلك أن النفس إن استشعرت بالقدرة ثار الدم إلى الخارج وإن استشعرت بالعجز غار الدم إلى الداخل فاصفر الوجه، وإنما حدثت هذه الانفعالات في الجسم النامي الحساس لكونه ذا مزاج يوجب له الانفعال والتغير من حال إلى حال"[2]، ولما كان هذا حال الغضب، وجب أن لا يتصور فيه ما يتصور في غضب البشر كما يرى الشيخ، بل يلزم أن نلحظ التجرد عما يلحظ فيه حين إضافته إلى الخلق، فننسبه إلى الله سبحانه على وجه يليق بجلاله[3].

إذا فالشيخ طاهر يخالف الأشاعرة [4] الذين اصطلح عليهم بالخلف في تأويل صفة الغضب، ويوافق السلف في إثبات وصف الغضب له سبحانه، ويقرر ما قرره السلف من أن الغضب في حقه تعالى حقيقة وليس مجازا، فمذهب السلف إثبات صفة الغضب وغيرها من الصفات كالرضا،

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص220. طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص101.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص287، 306، وينسب الشيخ هذا القول لبعض المحققين، وهو ابن تيمية. أنظر، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص119.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص103.

[4] أنظر قولهم في صفتي الرحمة والغضب، أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص38. وأبو بكر بن فورك، تأويل مشكل الحديث، ص113، 219 ،297.

والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى ، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، ويرون أن القول بأن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام هو نفي للصفة[1].

17- المجيء والإتيان: تقدم في كلامنا عن موقف الشيخ طاهر من التأويل أنه يؤول صفة المجيء والإتيان بإتيان أمره سبحانه وتعالى لا إتيانه حقيقة؛ حيث يرى أن إثبات هذه الصفة على الحقيقة محال لكون المجيء من خواص الأجسام، وهو بهذا موافق لما قرره الأشاعرة[2].

18-19- اليد والعين: يرى الشيخ طاهر أنه لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى إلا ما أضافه إلى نفسه أو أضافه إليه نبيه صلى الله عليه وسلم، وبناء على هذه القاعدة أثبت الشيخ لله تعالى اليدين والأعين لورودهما في كتابه عز وجل، حيث وردت اليد في قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [الفتح:10]، واليدين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:75]، وأما الأعين فقد جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور:48]، وقد أمرّهما الشيخ على ظاهرهما من غير تأويل، حيث يقرر أن المراد بهاتين الصفين معنى يليق بجلاله سبحانه وتعالى، إذ أن كل ما يضاف إليه تعالى يكون غير مماثل لما يضاف إلى شيء من مخلوقاته.

وينسب الشيخ ما تقدم من عدم تأويل اليد والعين إلى جمهور السلف، ويذكر أن أكثر الخلف يفسرون اليد بالنعمة أو القدرة، والأعين بالحفظ والرعاية، وذلك لتوهم أكثرهم أنها إن لم تؤول وتصرف عن ظاهرها أوهمت التشبيه[3].

---

[1] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، [السعودية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ]، ص472.

[2] أنظر ص77 من هذه الرسالة.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص46-47. وانظر مذهب الأشاعرة في صفتي اليد والعين، عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، تحقيق: أحمد شمس الدين، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1423هـ-2002م]، ص128-131. وعبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ص155. وإبراهيم البيجوري، حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة، [مصر: القاهرة، ط1، دار السلام، 1422هـ-2002م]، ص159.

بعد إثبات الشيخ طاهر لهذه الصفات، شرع في تبيين الصفات التي لا يمكن أن يتصف بها المولى سبحانه وتعالى، وهي ما يسمى بالصفات المستحيلة، وعدم إمكان اتصاف الله بها فلأنها صفات نقص، وهو سبحانه لا يتصف إلا بصفات الكمال، وهذه الصفات التي ذكرها الشيخ هي: العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج لغيره سبحانه وتعالى، ووجود الشريك، والعجز والكراهية، أي وقوع شيء بغير إرادته، والجهل، وأشباه ذلك، كما أنه تعالى يجوز أن يصدر منه فعل بعض الأشياء كفعل الممكنات أو تركها، مثل أن يجعل الإنسان غنيا أو فقيرا، صحيحا أو سقيما، وأشباه ذلك[1].

هذا فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وأما فيما يخص أسمائه عز وجل فإن الشيخ طاهر لم يتناولها بالبحث على وجه الإفراد والتفصيل؛ إلا ما ندر وتفرق في شرحه على خطب بن نباتة، وفيما يلي أذكر ما وقفت عليه منها مع الاقتصار على شرح الشيخ لها.

1. **الواحد**: الذي لا ثاني له، والواحد يطلق على معنيين أحدهما: مبدأ العدد، وثانيهما: ما لا نظير له و المعنى الأول لا ينافي الثاني.
2. **الصمد**: السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أي يقصد.
3. **الباقي**: من البقاء بمعنى الدوام.
4. **السلام**: من أسمائه تعالى يذكر توقعا لاجتماع معاني الخير فيه.
5. **المقيت**: المقتدر القائم على الأشياء بحفظها وإقاتتها، ولا يخفى عليك أن كل شيء يحتاج إلى قوت وقيل المقيت الرقيب والشاهد.
6. **الديان**: المجازي والمحاسب وهو من دانه يدينه دينا إذا جازاه، ودنته بما دانني به جازيته بمثل ما صنع، والجزاء يكون في الخير والشر ومنه: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير و إن شرا فشرا.
7. **البديع**: الموجد لا عن مثال سابق، العجيب الذي لا يوجد مثله، والبديع بمعنى المبدع ومنه بديع السموات والأرض، وأبدع الشيء اخترعه لا على مثال.
8. **القدوس**: من القدس وهو الطهارة.
9. **التواب**: تاب الله عليه غفر له وأنقذه من المعاصي فهو تواب[2].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص45-46.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص83، 138، 16، 214، 291، 267، 62، 251، 58، 287، 20، 130.

هذه مجمل الأسماء الحسنى التي وقفت عليها من كلام الشيخ طاهر، وفي المقابل نجده يخالف الخطيب في إطلاقه بعض الأسماء على الله سبحانه، مثل: "اللاحظ"، حيث يرى الشيخ أن في هذا الإطلاق نظر،كذلك خالفه الشيخ في إطلاق: "الضياء" عليه سبحانه ولم يجوزه، بالإضافة إلى مخالفته في إطلاق "زين السماوات"؛ حيث قال أن الأولى عدم هذا الإطلاق وإن ساغ قياسا على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾ [الصافات:6].

وإنكار الشيخ لهذا الإطلاق يرجع إلى رأيه في أن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يسمى إلا بما سمى الله به نفسه، حتى وإن أشعر ذلك الاسم بالتعظيم فيتوقف في إطلاقه عليه على ورود الشرع به، كذلك يرى أن الإلحاد في أسمائه تعالى يكون بوصفه سبحانه بما لا يصح وصفه به أو بتأويل أوصافه بما لا يناسب جلاله[1].

[1] طاهر الجزائري ، شرح خطب بن نباتة، ص345، 307، 274، 354.

المبحث الثاني: آراؤه في الإيمان بالملائكة

الملائكة من مخلوقات الله عز وجل المتميزة عن الإنسان وسائر الخلق بجملة من الصفات، وقد خصها الله عز وجل بعدد من الوظائف التي منها الوساطة بينه وبين خلقه، فهم خلق كثير قد استأثر سبحانه وتعالى بعدهم وإحصائهم، والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان عبد إلا به، قال الله تعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ...﴾ [البقرة:285].

فوجود الملائكة إذا ثابت في نصوص الوحي، وأصل من أصول الإيمان لا يتأتى لأحد إنكاره "فمن أنكر وجود الملائكة فهو منكر لكلام الله ورسوله، كافر لا محالة، إذ لا مجال للتأويل، فالنصوص واضحة صريحة قاطعة، والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين"[1].

والإيمان بالملائكة يتضمن مايلي[2]:

- الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله.
- الإيمان بما علمنا اسمه وصفته وعمله منهم باسمه وصفته، ومن لم نعلم اسمه ولا صفته ولا عمله نؤمن به إجمالا.
- إنزالهم منازلهم فلا يوصفون بشيء يؤدي إلى إشراكهم بالله، والاعتقاد بأنهم عباد لله مأمورون ومكلفون كسائر خلق الله تعالى، وأن الموت عليهم جائز ولكن الله قد جعل له أمدا بعيدا لحكمته.

وقد تناول الشيخ طاهر موضوع الملائكة بإيجاز شديد في كتابه: "الجواهر الكلامية"، حيث تعرض لتعريف الملائكة، ورؤية البشر لهم، ووظائفهم، فجاء بذلك مبحث الملائكة من أقصر المباحث في كتابه الآنف.

---

[1] عبدالرحمان الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، [سوريا: دمشق، ط2، دار القلم، 1399هـ،1979م]، ص265.

[2] جلال الدين السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك، تح قيق: محمد زغلول، [لبنان: بيروت، ط 2، دار الكتب العلمية، 1408هـ-1988م]، ص9-10، وسعيد القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، [السعودية: الرياض، ط 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1429هـ-2008م]، ص132.

المطلب الأول: تعريف الملائكة

الفرع الأول: التعريف اللغوي للملائكة

الملائكة في الأصل جمع ملأكة، ثم ترك الهمز فقيل ملك في الوحدان لكثرة الاستعمال، وأصله ملأك، والملأك: الملك، لأنه يبلغ الرسالة عن الله عز وجل، والجمع ملائكة، جمعوه متمما، وزادوا الهاء للتأنيث، وقد تحذف الهاء فيجمع على ملائك كمساجد.

والملائكة: الرسالة. وألكني إلى فلان: أبلغه عني، واستلأك له: ذهب برسالته، والملاءك: الملك، لأنه يبلغ عن الله تعالى، وزنه مفعل، والعين محذوفة ألزمت التخفيف إلا شاذا.

وقيل أصله مألك، بتقديم الهمزة، من الألوك: الرسالة، ثم قدمت الهمزة وجمع، يقال جاء فلان قد استألك مألكته أي حمل رسالته[1].

مما سبق يتضح لنا أن المعاني اللغوية للملائكة كلها تدور حول معنى الرسالة، ومنه يتبين توافق المعنى اللغوي مع حقيقة الملائكة؛ فهم رسل الله وسفراؤه إلى خلقه، قال الله تعالى:

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾ [المرسلات:1]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾ [فاطر:1]، وقد سماهم الله عز وجل رسلا في كثير من المواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ۝٧٧﴾ [هود: 77].

الفرع الثاني: تعريف الملائكة اصطلاحا

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الملائكة، إلا أنها تصب في مضمار واحد، وهو ما يتضح جليا بعد إيراد ما تيسر منها، فقد جاء في تعريفها أنها:

---

[1] إبن منظور، لسان العرب، ج10، ص394. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص952. والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، [الكويت، د.ط، طبع وزارة الإعلام، 1413هـ-1993م]، ج27، ص317. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه: علي الحلبي، [السعودية، ط1، دار ابن الجوزي، 1421هـ]، ص882.

– أجسام نورانية لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة[1].

– "هم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ [النازعات:5]، ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ ﴾ [الذاريات:4]. وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم"[2].

– " عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله، وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرؤون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا" [3].

– "عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبدا" [4].

وأما الشيخ طاهر فيعرف الملائكة بأنهم:

- ✓ "أجسام لطيفة مخلوقة من نور لا يأكلون ولا يشربون وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[5].
- ✓ " أجسام لطيفة نورانية لا تفتر عن طاعة ربها والقيام بأمره" [6].

مما سبق يتضح لنا أن تعريف الشيخ طاهر للملائكة لم يخرج عن تعريف من تقدم، كما أنه مؤسس على أدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فأما قوله:"أجسام لطيفة نورانية"، فمستنده حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

---

[1] الجرجاني، التعريفات، ص229.
[2] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص279.
[3] السيد سابق، العقائد الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط10، دار الفتح للإعلام العربي، 1420هـ-2000م]، ص101.
[4] عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، [الأردن: عمان، ط7، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1415هـ-1995م]، ص7.
[5] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص51.
[6] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص212.

لكم"[1].

وأما قوله:"وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" فمستنده قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 26-27]، و قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:6].

وأما قوله:"لا يأكلون ولا يشربون" فدليله قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود:69-70]، قال ابن كثير: "وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه؛ فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم"[2].

المطلب الثاني: رؤية البشر للملائكة

يفرق الشيخ بين البشر العاديين والأنبياء في إمكانية رؤية الملائكة، فأما البشر غير الأنبياء فيرى أنه لا يمكنهم رؤية الملائكة على صورهم الأصلية، وأما في حال تشكلها في صور أجسام كثيفة كالإنسان فحينئذ يمكن للبشر رؤيتها، وأما رؤية الأنبياء للملائكة فهي خصوصية خصوا بها لتلقي المسائل الدينية والأحكام الشرعية، ولأن بعض الناس قد يستغرب وجود الملائكة لكونها غير مشاهدة للعيان، فقد أزال الشيخ هذا الوهم وقرر أنه " لا يستغرب وجود أجسام بيننا لا نراها بالعين، وفي المعتاد ما يقرب ذلك للذهن ويرفع عنه الغين فإن أمامنا كثيرا من الأجسام الحية وغير الحية لا يدركها

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم: 2996، ج4، ص2294.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن، ج4، ص333.

البصر، ولولا النظارة لظننا أنها ليس لها عين ولا أثر، كما لا يستغرب اختصاص البعض بإبصار أشياء لا تدركها سائر الأبصار فإن في اختلاف الأبصار في قوة الإدراك وضعفه عبرة لأولي الأبصار"[1].

وهذا الذي قرره الشيخ من رؤية الأنبياء للملائكة على صورهم الأصلية يؤيده ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى" [2]، وقد ثبت أن عددا من الصحابة كانوا يرون الملائكة بغير صورهم الأصلية كما جاء في حديث جبريل المشهور وغيره من أنهم رأوا جبريل في هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، كما ثبت كذلك رؤية الصّحابي أسيد بن حضير للملائكة؛ لكن ليس على صورتها الأصلية "بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحي قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النّبي صلّى الله عليه وسلم فقال له: اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحي وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: وتدري ماذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم" [3].

المطلب الثالث: وظائف الملائكة

جاءت نصوص الكتاب والسنة طافحة بذكر الملائكة وما خصوا به من أعمال ووظائف في العالم السفلي والعلوي، وما أوكل إليهم من مهمات، وقد تنوعت هذه الوظائف وتعددت في تدبير شؤون الكون والكائنات، يقول ابن أبي العز [4]:" وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص51.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال، رقم: 6249، ج4، ص140. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، رقم 2474، ج4، ص1896.

[3] أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم: 5018، ج3، ص344. ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم: 796، ج1، ص548.

[4] هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، فقيه حنفي ، ولد سنة (731هـ -1331م)، وتوفي سنة (792هـ- 1390م)، من كتبه: النور اللامع فيما يعمل به في الجامع " أي جامع بني أمية". الزركلي، الأعلام، ج4، ص313.

موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا والناشرات نشرا والفارقات فرقا والملقيات ذكرا ، ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا ، ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا...ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله"[1].

وقد اقتصر الشيخ طاهر على ذكر بعض وظائف الملائكة دون التوسع فيها قائلا:"من الملائكة رسل بين المولى سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورسله، كجبريل عليه السلام، ومنهم حفظة على العباد، ومنهم من يكتب أعمال العباد من خير أو شر، ومنهم موكلون بالجنة و نعيمها، ومنهم موكلون بالنار وعذابها، ومنهم حملة العرش، ومنهم قائمون بمصالح العباد ومنافعهم، إلى غير ذلك مما أمروا به"[2]، ويلاحظ أن الشيخ قد اقتصر على سبعة أصناف من الملائكة وهم:

1. **سفراء الله إلى رسله وأنبيائه:** كأمين الوحي جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء:193-194]، وقال تعالى:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة:97].

[1] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص279.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص52.

2. الموكلون بكتابة الحسنات والسيئات: وهم الملازمون للإنسان ليله ونهاره الذين يكتبون أقواله وأعماله الباطنة والظاهرة[1]، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف:80].

3. الموكلون بحفظ بني آدم: في نومه ويقظته من الإنس والجن والهوام، فلا يأتيه من شرها شيء إلا حذره الملك منه إلا شيء قد أذن فيه الله[2]، يقول الله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:10-11].

4. حملة العرش: يخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:7].

5. خزنة الجنة: ثبت في نصوص الشرع أن الله تعالى وكل بالجنة ملائكة يعمرونها ويغرسونها ويعملون أنهارها ويعدون لأهلها ما أمرهم الله به وهؤلاء هم خزنتها[3]، وقد ذكر الله تعالى في كتابه هؤلاء الخزنة فقال: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

[1] محمد العقيل، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة أضواء السلف، 1422هـ-2002م]، ص167.

[2] مصطفى عاشور، عالم الملائكة أسراره وخفاياه، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة القرآن، د.ت]، ص79.

[3] محمد العقيل، المرجع السابق، ص149-150.

أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر:73].

6.خزنة النار: كما وكل الله عز وجل بالجنة ملائكة، وكل بالنار كذلك ملائكة يوقدونها ويعمرونها ويعذبون أهلها [1]، وقد جاء في وصفهم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:6].

7.القائمون بمصالح العباد ومنافعم: يدخل تحت هذه التسمية المجملة أصناف كثيرة من الملائكة، والظاهر أن الشيخ اكتفى بذكرها عوضا عن التفصيل في أنواع الملائكة، حيث تشمل ملائكة السحاب والقطر والملائكة التي تدعو للمؤمنين وتشفع لهم، والتي تصلي على زائر المريض، وغيرها من الملائكة الأخرى التي تقوم على خدمة الإنسان.

وجدير بالمقام أن نذكر قولا أورده الشيخ طاهر بعد تعريفه السابق للملائكة وهو لابن القيم في دلالة قوله تعالى:﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات:4]، وفيه بيان لما نحن بصدد إيضاحه من وظائف الملائكة، يقول ابن القيم: " إن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي وما لا يشاهد إنما هو على أيدي الملائكة، فالرب تعالى يدبر بهم أمر العالم وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم، فوكل بالشمس والقمر والأفلاك والنجوم طائفة منهم، ووكل بالأجنة والحيوان طائفة، وبحفظ بني آدم طائفة وبإحصاء أعمالهم وكتابتها طائفة، وبالوحي طائفة، وبالجبال طائفة، وبكل شأن من شؤون العالم طائفة، هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة ولطافة الجسم، وحسن الخلقة وكمال الانقياد لأمره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في أقطار العالم"[2].

---

[1] محمد العقيل، معتقد فرق المسلمين، ص151.

[2] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تح قيق: محمد حامد الفقي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار المعرفة، د.ت]، ص 184-185، وانظر، عمر سليمان الأشقر، واحة الإيمان عند بن القيم. الإيمان بالملائكة الأطهار، [الأردن: عمان، ط 1، دار النفائس، 1427هـ-2007م]، ص38.

في ختام هذا الفصل نخلص إلى أن الشيخ طاهر:

- كان متميزا في عرض أدلة وجود الله تعالى، بمراعاته لجانب السهولة واجتناب الدخول في كثير من الجزئيات الكلامية التي ارتبطت بهذه الأدلة كدليل الحدوث.
- يوافق الأشاعرة في إثبات الصفات السلبية وهي خمس صفات: القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية، كما أنه يثبت صفات المعاني التي أثبتها الأشاعرة وهي سبع صفات: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام [1]، وأما الصفات الخبرية كالاستواء والنزول والرحمة والغضب والعين واليد فهو يثبتها ويرجح فيها مذهب السلف، وأما صفة المجيء فنجده يسلك فيها مذهب الأشاعرة بتأويلها، ولهذا يمكننا القول أن الشيخ طاهر كان يتأرجح بين مذهب السلف والخلف في مبحث الصفات.
- لم يكن كلامه عن الأسماء الحسنى كافيا، ولم يتعرض لمعانيها وما يتعلق بها من مسائل باستثناء بعض الإشارات التي جاءت مفرقة في كتاباته.
- كانت عبارته في الإيمان بالملائكة جد مقتضبة، غير أنه أشار إلى أهم المسائل المتعلقة بهذا المبحث وهي تعريف الملائكة وإمكانية رؤية البشر لهم من عدمها وذكر بعض وظائفهم، فهو يرى أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية خصت بالطاعة الدائمة لله، وأن رؤيتها على صورها الحقيقية ممكنة للأنبياء منفية عن غيرهم، وأنها خُصّت بالعديد من الوظائف في العالم العلوي والسفلي.

[1] أنظر مذهب الأشاعرة في هذه الصفات، أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له وعلق عليه: حمودة غرابة، [د.م، د.ط، مطبعة مصر، 1955م] ص24-59. وأبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص23. وأبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م]، ص53-101.

الفصل الرابع:

آراؤه العقدية

في الإيمان

بالكتب والرسل

الفصل الرابع: آراؤه العقدية في الإيمان بالكتب والرسل

تمهيد:

إن قيمة البحث في باب الإيمان بالكتب والرسل تظهر من جهة كونهما ركنين من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان عبد بإنكارهما أو إنكار أحدهما، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هناك تلازما بين الإيمان بالكتب والرسل، فإن هذه الكتب هي الواسطة بين الأنبياء وربهم، المعرّفة لهم بمنهج الدعوة إليه، التي اشتملت على أحكام الاعتقادات والعبادات، وما يصلح حال العباد في الدنيا والآخرة، والرسل هم المبلغون لهذه الكتب الإلهية المنزلة عليهم؛ فالإيمان بالكتب يقتضي الإيمان بمبلغها وهم الرسل، والإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بما جاؤوا به من كتب؛ فلا يعقل انفكاك الإيمان بأحدهما عن الآخر.

وسأتناول في هذا الفصل أهم المسائل التي تطرق إليها الشيخ طاهر في ركني الإيمان بالكتب والرسل، كتعريف الكتب السماوية، وكيف يكون الإيمان بها؟ ومن هو النبي والرسول؟ وهل يوجد فرق بينهما؟ وما هو موقفه من معجزات الأنبياء؟ وما هي صفات الأنبياء؟ وكيف يكون الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟.

المبحث الأول: آراؤه العقدية في الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب السماوية أحد أركان الإيمان الستة التي جاءت بتقريرها نصوص الوحيين، فقد جاء القرآن داعيا إلى الإيمان بها وعدها من جملة ما يجب الإيمان به، قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة:285]، وللإيمان بالكتب علاقة وثيقة بالإيمان بالرسل فهي داخلة فيه، ولا يتم الإيمان بالرسل إلا بالإيمان بالكتب، وقد أثنى الله عز وجل على المؤمنين بها فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [البقرة:4-5]، يقول السعدي[1]: "ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصا التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم"[2] وهذه الآيات التي سبقت قد ورد فيها الإيمان بجنس الكتب المنزلة، سواء منها التي علمناها بأسمائها أو التي لم نعلمها، بينما وردت آيات أخرى بذكر كتب بعينها نزلت على رسل معينين، وهذه الكتب هي:

- **التوراة** التي نزلت على موسى عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ [المائدة:44].

- **الإنجيل** الذي نزل على عيسى عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى

---

[1] هو عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مفسر من أهل نجد، ولد في عنيزة سنة (1307هـ-1890م)، توفي سنة (1376هـ-1956م)، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. الزركلي، الأعلام، ج3، ص340.

[2] عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، اعتنى به: عبد الرحمان اللويحق، [لبنان: بيروت، ط1، مؤسسة الرسالة، 1423هـ، 2002م]، ص41.

وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة:46].

– **الزبور** الذي نزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء:55].

– **الصحف** التي نزلت على إبراهيم و موسى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى:18-19].

والشيخ طاهر قد قرر حقيقة الإيمان بالكتب السماوية، وأثبتها في كتاباته، وبين كيفية الاعتقاد بها فقال:"أعتقد أن لله تعالى كتبا أنزلها على أنبيائه، وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده، وهي كلام الله تعالى حقيقة، بدت منه بلا كيفية قولا، وأنزلها وحيا، من تلك الكتب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن"[1].

ويتضح لنا من خلال عبارة الشيخ هذه أن الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى يتضمن ما يلي:

– الاعتقاد بأنها منزلة من عند الله تعالى لا من غير.

– الاعتقاد بأنها نزلت مبينة لأمره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده.

– الإيمان بأنها كلام الله حقيقة دون تكييف، بدت منه قولا وأنزلها وحيا.

– الإيمان بما علمنا به منها وهي كتب أربع: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

وقد أضاف بعضهم زيادة على ما ذكره الشيخ من كيفية الاعتقاد بكتب الله تعالى ما يأتي:

– تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

– العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن، فلا يصح العمل بأحكامها إلا ما صح منها وأقره القرآن[2].

وللوقوف على تفاصيل الإيمان بهذه الكتب قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب، أخصص كل واحد منها لكتاب من الكتب وأذكر أهم ما يتعلق به من مسائل أوردها الشيخ طاهر.

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص55.

[2] محمد العثيمين، شرح أصول الإيمان، [السعودية: الرياض، ط1، دار الوطن للنشر، 1410هـ]، ص32.

المطلب الأول: الإيمان بالتوراة والزبور

التوراة: "يطلق اسم التوراة أساسا على الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية (تثنية الاشتراع)، وتبدأ بخلق العالم، ثم خلق الإنسان (آدم) و قصته وقصة قابيل وهابيل، ثم قصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبنائه ثم قصة موسى وفرعون والخروج وتنتهي بوفاة موسى في البرية والتيه. وقد يطلق لفظ (التوراة) على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل"[1].

ويرى الشيخ طاهر أن الإيمان بالتوراة يكون باعتقاد أنها كتاب سماوي أنزله الله عز وجل على نبيه موسى عليه السلام، وأنها نزلت مشتملة ومبينة للأحكام الشرعية، والعقائد الصحيحة، كما أنها جاءت مبشرة بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يأتي بشرع جديد.

ويفرق الشيخ بين التوراة القديمة أو الأصلية، والتوراة الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب، حيث يرى أن هذه الأخيرة قد لحقها التحريف، ويستدل على ذلك بالعديد من الأدلة نذكر منها:

- ذكر وفاة موسى عليه السلام في الباب الأخير منها، والحال أنه هو الذي أنزلت عليه[2].
- حذف بحث المعاد: يرى الشيخ أن أمر المعاد، والعلم بما يكون في الآخرة من أسباب استقامة حياة الناس في الدنيا وحسن معاشهم، وأنه يستحيل أن يخلو منه كتاب منزل، وإلا لما كان هناك داع لإرسال الرسل أصلا ولاكتفى الناس بما يهديهم إليه العقل السليم والطبع المستقيم، يقول:" والحاصل أن بيان أمر المعاد وحشر الأجساد ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى أمر لا يجوز أن يخلو عنه كتاب منزل على نبي مرسل، فعدم بيانه في كتب العهد القديم لا سيما التوراة دليل على وقوع التحريف فيها بالحذف، وحيث ثبت حذفهم لأمر المعاد مع أنه الأصل فلا يستغرب حذفهم لأمر العبادة التي تنبني عليه ولا حذفهم لاسم نبينا عليه الصلاة و السلام" [3].
- تمثيل الله تعالى بعباده وتجسيمه وهو سبحانه منزه عن الشكل والصورة بالدليل القطعي، وزعمهم أنهم حين أرادوا الرحيل إلى الشام دخلوا فوجدوا الله تعالى فيها وهو رأي فاسد لأنه سبحانه لا يحويه مكان.

---

[1] محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1410هـ-1990م]، ص111-112.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص55-56.

[3] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص87.

- زعمهم مصارعة يعقوب عليه السلام لربه، وهذه الفرية يصفها الشيخ بأنها خرافة مضحكة بينة البطلان أشد من خرافات كتاب ألف ليلة وليلة؛ بل هي خرافة لو سمعها أصحاب الخرافات لستروا وجوههم حياء منها، فهذا الإدعاء كاف لإثبات تحريف التوراة قطعا، ويبرر الشيخ مقولته هذه بالاضطرار إليها تنزيها للكتب الإلهية والأنبياء الذين أنزلت عليهم عن مطاعن الملحدين وصيانة لشرف الدين.

- زعمهم سماع كلام الله تعالى، وهو مختص بالأنبياء، وضربهم في بعض الحروب بالطبول ليسمعهم الله تعالى.

- نسبتهم الندم إلى الله تعالى في إيجاده الإنسان على الأرض وتأسفه لسلوك الإنسان في طريق الشر، ويرد الشيخ هذا الافتراء بقوله أن الله تعالى عالم بعواقب الأشياء، لا يمكن أن يلحقه الندم على شيء فعله لأن الندم إنما يحصل عن جهل بعاقبة الشيء.

- زعمهم أن إبراهيم عليه السلام رأى ربه فحاول منه أن يأكل خبزا ورام أن يغسل رجله، وهذا افتراء محض على إبراهيم عليه السلام وكيف يجهل إبراهيم أن الله تعالى منزه عن الأكل وما شاكله وعن الأعضاء والجوارح.

- نسبة الزنا إلى الأنبياء مثل داود عليه السلام، ولوطا الذي زعموا أنه واقع ابنتيه، وروبيل بن يعقوب الذي زعموا أنه ضاجع سرية أبيه، ويهوذا الذي زعموا أنه زنى بزوجة ابنه، وهذا أمر لا يصدر من آحاد الناس فكيف يصدر من نبي من الأنبياء العظام.

- نسبة الردة إلى داود عليه السلام، وزعمهم أن هارون صور العجل وعبده وأمر بني إسرائيل بعبادته، وأن موسى استقال واستعفى من النبوة فاشتد غضب الله تعالى عليه.

وبعد أن قدم الشيخ هذه الأدلة قال أن هذه القضايا التي تقدمت ظاهرة الكذب والبهتان على أنبياء الله مخالفة للطباع السليمة والأفكار المستقيمة، وهي دليل قاطع على تحريف التوراة وعبثهم بها زيادة ونقصانا وتبديلا وتصحيفا، وإذا كان هذا حال بني إسرائيل مع أنبيائهم، يفترون عليهم مع كونهم من جنسهم فلا عجب من إنكارهم اسم نبينا وحذفه وهو من غير جنسهم [1].

وهكذا قدم الشيخ طاهر أدلة قطعية لا تدع مجالا للشك في أن التوراة التي ظلت موجودة لقرون عدة ومازالت بين يدي أهل الكتاب إلى يومنا هذا؛ ليست هي الكتاب الإلهي الذي أنزل على موسى، وذلك لكثرة ما طالها من العبث والتحريف من قبل بني إسرائيل.

[1] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص88، 89، 93.

وأما الزبور فهو كتاب من الكتب السماوية، أنزله الله جل وعلا على نبيه داود عليه السلام، والذي يتميز به هذا الكتاب عن غيره من الكتب خلوه من الأحكام الشرعية، فهو عبارة عن أدعية وأذكار، ومواعظ وحكم، إذ أن داود عليه السلام كان مأمورا باتباع الشريعة الموسوية[1].

المطلب الثاني: الإيمان بالإنجيل.

كلمة إنجيل أصلها يوناني، ومعناها (الحلوان)، وهو ماتعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد بها البشرى عينها، أما المسيح فقد استعملها بمعنى (يشرى الخلاص) التي حملها إلى البشر، وربما استعملت بعد ذلك في الدلالة على ملخص تعليم المسيح لأن فيه الخلاص، أو سيرة حياته وموته لأن فيها معنى الخلاص[2].

والإنجيل في اصطلاح النصارى هو: ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع، وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم نفسه بها[3].

يظهر من خلال ما تقدم أن معنى الإنجيل في اصطلاح النصارى مغاير تماما لمعناه عند المسلمين، فواضح أنه أقرب ما يكون عند النصارى إلى كتاب سير أو قصص تروي سيرة المسيح وتسرد أقواله، بينما هو عند المسلمين كتاب إلهي مقدس نزل من عند الله على نبيه عيسى عليه السلام، موضحا حقائق الإيمان، داعيا إلى توحيد الله، ناسخا بعض أحكام التوراة، وهو ما يبينه الشيخ طاهر في كلامه عن كيفية الاعتقاد في الإنجيل، حيث يقول:"أعتقد أن الإنجيل كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على المسيح عيسى عليه السلام وذلك لبيان الحقائق، ودعوة الخلق لتوحيد الخالق، ونسخ بعض أحكام التوراة الفرعية على حسب الاقتفاء والتبشير بظهور خاتم الأنبياء"[4].

والشيخ يقصد بهذا الكلام الإنجيل الأصلي الذي لم يلحقه التحريف، والذي نزل من عند الله وكان متلوا زمن عيسى عليه السلام، وفرق بينه وبين الإنجيل المتداول الآن فإن له "أربع نسخ ألفها

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص56.

[2] أحمد شلبي، المسيحية، [مصر: القاهرة، ط10، مكتبة النهضة المصرية، 1998م]،ص204.

[3] عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية دراسة ونقدا، تقديم: محمد الخميس، أحمد عبد الوهاب، [السعودية: الرياض، ط1، دار التوحيد للنشر، 1428هـ-2007م]، ص362، 363.

[4] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص56.

أربعة، بعضهم لم ير المسيح عليه السلام أصلا وهم: متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، وإنجيل كل هؤلاء مناقض للآخر في كثير من المطالب"[1].

يقول محمد أبو زهرة[2]:"والأناجيل المعتبرة عندهم أربعة: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي إنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها"[3].

وهؤلاء الذين ذكرهم الشيخ هم الذين اعتمدت الكنيسة أناجيلهم لاعتقاد صحتها دون غيرها، وهم:

1. متى: من الاسم العبري "مثتيا" الذي معناه "عطية يهوه"، وسمي أيضا "لاوي الحلفي"، هو أحد الحواريين الاثني عشر، وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح يعمل عشارا (جامعا للضرائب)، مات سنة 79م ببلاد الحبشة التي اتخذها موطن دعوته، وإنجيله هو أحد الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنيسة و أطولها.

ومن الجدير بالإشارة أن عددا من الباحثين يرون أن متى الذي ينسب إليه الإنجيل هو غير متى الحواري، كما أنه كتب نسخته الأصلية بالأرامية وهذه النسخة لا وجود لها، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ تأليفها، وقد ظهر كتاب باللغة اليونانية قيل أنه ترجمة إنجيل متى، ولم يعرف المترجم ولا تاريخ الترجمة[4].

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص57.

[2] هو محمد بن أحمد أبو زهرة، من أكبر علماء الشريعة في عصره، ولد سنة (1316هـ-1898م)، و توفي بالقاهرة سنة (1394هـ-1974م)، من مؤلفاته: محاضرات في النصرانية، وغيره. الزركلي، الأعلام، ج6، ص25، 26.

[3] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، [السعودية: الرياض، ط4، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1404هـ]، ص48-49.

[4] رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، [لبنان: بيروت، د.ط، منشورات الكتب العصرية، 1975م]، ص39. وأحمد شلبي، المسيحية، ص211، 212. وعبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية، ص383، 397.

2. مرقص: اسمه يوحنا ويلقب بمرقص، لم يكن تلميذا من الحواريين، وينتسب إلى أصل يهودي من أسرة في أورشليم بفلسطين، كان له نشاط في نشر المسيحية في أنطاكية، ورحل إلى روما وإفريقيا لنشر ديانته، توفي بمصر سنة62م.

إنجيل مرقص هو الثاني في الترتيب بين الأناجيل وهو أقصرها، وقيل هو أقدم الأناجيل وحصل اختلاف في ذلك ليس هذا موضع بسطه، كتبه تلبية لطلب أهل روما، ويرى بعض الباحثين أن هذا الإنجيل ما هو إلا خلاصة مشاهدات بطرس وخلاصة مواعظه، فقد كان مرقص قريبا منه، وأهم سمة في هذا الإنجيل تركيزه على بشرية المسيح، كما أنه يركز على عمله أكثر من تعليمه، وقد احتوى على عدد من الأقسام نذكر منها: يسوع المسيح في الجليل، يسوع المسيح في أورشليم، رواية آلام وموت المسيح، وغيرها[1].

3. لوقا: إختلف الباحثون في أصله ومكان ولادته، فقيل أنه أنطاكي ولد في أنطاكيا، ومنهم من قال أنه روماني ولد بإيطاليا، واختلفوا كذلك في عمله فمنهم من قال أنه كان طبيبا، ومنهم من قال أنه كان مصورا، غير أن الذي اتفقوا عليه أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، وإنجيله هو الثالث في ترتيب أسفار العهد الجديد، وهو الإنجيل الوحيد من بين الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة الذي لا خلاف في أن كاتبه لم يكن شاهد عيان لما كتب، ولا كان حاضرا وقت الأحداث التي سجل، بل لم يكن قد عاصر المسيح عليه السلام نفسه[2].

يوحنا: هو يوحنا بن زبدي الصياد، واحد من تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه الاثني عشر، بل من خواصهم وأحبهم إليه، فقد كان يعرف من بينهم بالتلميذ الحبيب، ولد في بيت صيدا، وأقام في أورشليم، توفي في مدينة أفسس في نهاية القرن الأول للميلاد.

وإنجيله يختلف عن بقية الأناجيل سواء في اختيار الموضوعات أو في غيرها من الأمور، فهو ليس ترجمة لحياة المسيح عليه السلام بقدر ما فيه من التنصيص والتركيز على ألوهيته، إذ أنه يعد الإنجيل الوحيد الذي يذكر ألوهية المسيح صراحة[3].

---

[1] عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية، ص414، 415. ورؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص42. وأحمد شلبي، المسيحية، ص212.

[2] أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص48، 49.

[3] عبد الرزاق ألارو، المرجع السابق، ص447، 448.

وذِكْر الشيخ لهذه الأناجيل الأربعة، ونصه عليها باسمها، إنما هو لاشتهارها واعتمادها من قبل الكنيسة، وذلك لا يعني عدم وجود غيرها، فالمؤرخون على كثرة تعدادها بل وتناقضها وتضاربها فيما بينها، وهذا إنما يرجع إلى التحريف الذي طالها، إذ لا ريب أن الإنجيل قد تعرض هو الآخر للتحريف كالتوراة، يقول الشيخ طاهر:"وإنجيل كل هؤلاء — الأربعة- مناقض للآخر في كثير من المطالب، وقد كان للنصارى أناجيل كثيرة غير هذه الأربع، لكن بعد رفع سيدنا عيسى إلى السماء بأكثر من مائتي سنة عولوا على إلغائها ما عدا هذه الأربعة، تخلصا من كثرة التناقض وتملصا من وفرة التضاد والتعارض"[1]، ويوضح أبو زهرة تضارب الأناجيل فيما بينها، وينقل لنا إجماع مؤرخي النصرانية على كثرتها، فيقول: " وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها، ولكن التاريخ يروى لنا إنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى، قد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إنجيلها، فعند كل من أصحاب مرقيون، وأصحاب ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، والنصارى ينكرونه، وهناك إنجيل أشتهر باسم التذكرة، وإنجيل سرن تهس، ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة – في اعتقادها – فا ختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك"[2].

والشيخ طاهر يرى أن الشريعة العيسوية محرفة، ولا ريب أن الإنجيل وهو دعامتها الأساسية وعليه قوامها قد طاله التحريف بالضرورة، وينسب هذا التحريف إلى بولس ويبين جانبا من تحريفه لدين النصارى وكيف استطاع بذكائه أن يفسد عليهم أمر دينهم. وأنقل عبارة الشيخ بتمامها لأهميتها في بيان المقصود، يقول:"هذا وأكثر ما نسخوه مما لم يثبت عن عيسى عليه السلام نسخه كان برأي بولس، وكان في أول الأمر حبرا عظيما من أحبار اليهود شديد العداوة للملة المسيحية، فلما رأى فشوها وانتشارها وعرف أنه لا ينجح في مجاهرتها بالعداوة دخل فيها في الظاهر وجعل لدخوله سببا لطيفا واستمال إليه قلوب المسيحيين، ولما تمكن فيهم وعرف عظم منزلته لديهم وأنه صار عندهم بمنزلة حذام، شرع في تأويل عبارات المسيح عليه السلام بما يريد وكان النصارى يعتقدون

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص57.

[2] أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص48-49.

إذ ذاك أن المسيح عبد من عبيد الله أكرمه الله تعالى بالرسالة، فسعى في إزالة ذلك عن أفكارهم وأبان لهم أن فيه احتقارا للمسيح؛ إذ لا يكون بينه وبين سائر الأنبياء حينئذ فرق، وألقى في أذهانهم أنه ابن الله حقيقة (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)، ولما رأى أذهانهم قابلة لكل ما يلقي إليها شرع في إبطال الأحكام الشرعية وزعم أن الإيمان بالمسيح عليه السلام كاف في النجاة، وأباح لهم كل ما يشتهون، ولا يخفى ما في النفوس من الميل إلى الإباحة والإطلاق، فمالوا إليه أشد الميل ولبوا دعوته ورأوا أنهم بواسطته قد تخلصوا من مشاق الأعمال وحازوا على الراحة في الحال والمآل، ولم تكن الشريعة العيسوية حينئذ مضبوطة ومروية بالتواتر ومأخوذة عن الجهابذة النقاد... فحصل على المطلوب بأقرب أسلوب، ومن قابل بين ماورد عن عيسى عليه السلام وبين ما أدخله هو ظهر له ما قلنا ظهورا بينا، وقد نبه كثير من العلماء الأعلام على أحوال هذا الذكي النبيه الذي قل أن يلقى له في الفطانة شبيه"[1].

المطلب الثالث: الإيمان بالقرآن.

يبين الشيخ طاهر كيفية الإيمان بالقرآن فيقول:" أعتقد أن القرآن أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، وآخر الكتب الإلهية نزولا وهو ناسخ لجميع الكتب قبله، وحكمه باق إلى يوم القيامة، لا يمكن أن يلحقه تغيير ولا تبديل، وهو أعظم آية على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكونه أعظم المعجزات"[2].

وقد تقدم إيراد كلام الشيخ عن القرآن في حديثنا عن صفة كلام الله عز وجل، وبالجمع بين هذا الكلام وعبارته السابقة تتضح لنا الصورة العامة لما يجب اعتقاده في القرآن عند الشيخ طاهر وهو أمور:

- أنه نزل من عند الله وأخذه جبريل عنه سماعا فهو كلام الله حقيقة.
- أنه أشرف الكتب السماوية، وقد نزل على أشرف رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم.
- أنه ناسخ لجميع ما تقدم من كتب قبله.
- سلامته من التحريف الذي طال الكتب السماوية قبله.
- أنه أعظم المعجزات الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص98، 99.
[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص57، 58.

الفرع الأول: نزول القرآن

تناول الشيخ طاهر مسألة نزول القرآن في كتابه التبيان بشيء من التفصيل وذكر الخلاف الذي حصل فيها، لكن عند التأمل والتدقيق في الكلام الذي أورده يتضح أن أغلبه منقول عن كتابين، الأول هو "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي [1]، والثاني هو "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، وهو ما اتضح لي جليا بعد مقارنة ما أورده بما جاء في هذين الكتابين، هذا ما يجعل معرفة رأيه الشخصي في غاية الصعوبة إلا بعد التحقيق لا سيما أنه لم يعز النقل إلى أصحابه، إلى جانب التصرف في العبارة الأصلية، كما أنه يوجد في نقله العديد من العبارات التي تشعر بترجيحه الشخصي لرأي على آخر، كقول السيوطي مثلا بعد أن أورد الآراء في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما هو، وذكر عددا من الأقوال لبعض العلماء: "ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني..."، فهذه العبارة هي في الحقيقة ترجيح من السيوطي لأحد الآراء، ولكن عدم تنبيه الشيخ على ذلك يشعر أنه هو صاحب الترجيح، ولهذا رأيت نقل عبارته بتمامها كما أوردها في التبيان لما اشتملت عليه أولا من بيان جيد للمسألة، ثم للمقارنة بينها وبين الأصل والوصول إلى رأي الشيخ وترجيحه في هذه المسألة، يقول:

"قال العلامة الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه.

وقد اختلف في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ماهو على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء: 193.

والثالث: أن جبريل ألقى إليه المعنى وأنه عبر عنه بلغة العرب بهذه الألفاظ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية، ثم إنه نزل كذلك بعد ذلك.

---

[1] هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ولد سنة (849هـ-1445م)، توفي سنة (911هـ-1505م)، له نحو ستمائة مصنف منها: الإتقان في علوم القرآن، تدريب الراوي، وغيرها. الزركلي، الأعلام، ص301-302.

وقال البيهقي[1] في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ القدر:1، يريد والله أعلم إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلا به من علو إلى أسفل.

ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا ، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة، فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا، قال الحق فينتهي به حيث أمر.

وقال الجويني[2]: كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول: افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال ، فإن قال الرسول يقول الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة . وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل ب ه من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا هـ.

ولا يخفى أن القسم الثاني هو القرآن وأن القسم الأول هو السنة وقد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن..."[3]

هذا الكلام الذي سبق هو للسيوطي، وليس فيه شيء خاص من كلام الشيخ طاهر غير التصرف بالتقديم والتأخير والحذف، وما يبدو أنه من قوله كالفقرة الأخيرة بعد وضع رمز الانتهاء لكلام الجويني، أو ما يبدو أنه ترجيح مثل: " ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني..." فقد تقدم أنه من كلام السيوطي.

---

[1] هو أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي، فقيه شافعي، ولد في بيهق سنة (384هـ)، وتوفي سنة (485هـ)، من مؤلفاته: السنن والآثار، الأسماء والصفات، وغيرها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص163- 170.

[2] هو أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله الجويني، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، ولد سنة (419هـ)، وتوفي سنة (478هـ)، من مؤلفاته: الإرشاد في أصول الدين، وغيره. المرجع نفسه، ج18، ص468-477.

[3] طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص32-33، وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م]، ج1، ص157-160.

وبعد أن أورد الشيخ طاهر عبارة السيوطي المتقدمة شرع في نقل عبارة أخرى لابن تيمية مع إبهامه، فقال: "قال بعض المتكلمين على طريقة السلف:قد فسر كثير من الناس النزول في مواضع من القرآن بغير معناه المعروف لاشتباه وقع لهم في تلك المواضع ، فصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير المتكلمين من الخلف، فإن مرهم من يقول المراد بإنزال القرآن إظهاره في مكان عال ثم إنزال الملك به من ذلك المكان، ومرهم من يقول المراد بإنزاله إعلام الملك به وإفهامه إياه ثم إنزاله بما فهمه، ومنهم من يقول غير ذلك.

وقد اقتضى الحال أن نبين حقيقة الأمر فنقول: النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع ، نوع مقيد بأنه من الله سبحانه، ونوع مقيد بأنه من السماء، ونوع غير مقيد لا بهذا ولا بهذا.

أما النوع الأول وهو النزول المقيد بأنه من الله سبحانه فلم يرد إلا في القرآن ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعام:114]، وقال تعالى: ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ ﴾ [الجاثية:1-2]، فالقرآن منزل من الله تعالى وهو كلامه لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه عبارة عن كلامه، وإذا قرأه الناس لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله لأن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتديا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا.

وأما النوع الثاني وهو النزول المقيد بأنه من السماء فكقوله تعالى:﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ [المؤمنون:18]. والسماء اسم جنس لكل ما علا فهو مطلق في العلو وقد بينه في موضع آخر فقال:﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ ﴾ [الواقعة:69]. فعلم أنه منزل من السحاب.

وأما النوع الثالث وهو النزول المطلق فكقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الفتح:4]، إلى غير ذلك"[1]

بعد مقارنة هذا النقل بالأصل المنقول عنه يتبين أن تصرف الشيخ طاهر في كلام بن تيمية أكثر من سابقه، وأبرز سمات التصرف هو حذفه لبعض عبارات بن تيمية كقوله " فصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع"، واستبدلها بقوله:"فصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن

[1] طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص32-33. وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج12، ص246، 249.

بتفسير المتكلمين من الخلف"، ثم إن بن تيمية نص على تسمية طوائف من هؤلاء الذين سماهم أهل بدع ونقل مقالاتهم، وأعقب ذلك بقوله:" وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل "، وهو ما حذفه الشيخ طاهر فذكر بعضا من آرائهم مجردة عن قائليها دون التعقيب أو الحكم عليها، فالقول بأن المراد بإنزال القرآن هو إظهاره في مكان عال ثم إنزال الملك به من ذلك المكان ، هو قول للجهمية[1]، وأما القول بأن المراد بإنزاله هو إعلام الملك به وإفهامه إياه ثم إنزاله بما فهمه، فهو قول للكلابية[2]، وأما بقية النقل الذي أورده الشيخ عن ابن تيمية فقد سلك فيه مسلك الاختصار.

وفي الأخير يمكننا القول أن الشيخ طاهر يرى أن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره، وليس هو عبارة عن كلامه، نزل منه سبحانه ابتداء فإليه ينسب، ولا ينسب إلى من قاله مؤديا مبلغا، فالشيخ إذا موافق لابن تيمية في أن القرآن داخل في القسم الأول من الأقسام الثلاثة الآنف ذكرها. ومما يدل على أن هذا رأي خاص للشيخ طاهر مايلي:

- كون العبارة الدالة على ما قلت ليست من كلام بن تيمية، ويعرف هذا بالمقارنة، وهذه العبارة هي قوله: " فالقرآن منزل من الله تعالى وهو كلامه لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه عبارة عن كلامه، وإذا قرأه الناس لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتديا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا".
- كون الشيخ قال:"وقد اقتضى الحال أن نبين حقيقة الأمر فنقول..."، وهي عبارة استعملها بعد إيراد الخلاف في المسألة، فهي من كلامه لا من كلام غيره، ولا يخفى مالها من الدلالة على ما ذكرت، كما أن هذه العبارة قد جاءت في نفس الفقرة التي ذكرت فيها العبارة السابقة، ناهيك عن كونها مدرجة في كلام بن تيمية.

---

[1] الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ، وتفرد بأشياء كقوله بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط . الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص85. والأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج1، ص219.

[2] الكلابية، أتباع عبدالله بن سعيد القطان، يقول الأشعري: "فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة ويثبتون أن البارئ تعالى لم يزل حيا عالما قادرا سميعا بصيرا عزيزا عظيما جليلا كبيرا كريما مريدا متكلما جوادا. ويثبتون العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والعظمة والجلال والكبرياء والإرادة والكلام صفات لله تعالى". المرجع نفسه، ج1، ص230.

الفرع الثاني: نسخ القرآن للكتب السابقة

النسخ عند الشيخ طاهر هو"بيان مدة انتهاء الحكم العملي الجامع للشروط ،كالقتال في الأشهر الحرم فإن الله تعالى حرمه أولا ثم نسخ ذلك؛ أي أبان أن حكم تحريم القتال فيها قد انتهت مدته وابتدأ حكم حله ونظير ذلك كثير" [1]، وهو: "بيان انتهاء الحكم السابق ولا يدخل في الأخبار ولا في العقائد ولا في الأحكام الحسنة لذاتها كالعدل"[2]

وبعد تعريف الشيخ للنسخ يبين أن المسلمين قد اتفقوا على جوازه ووقوعه، وأما النصارى واليهود فقد منعوه أشد المنع وما ذلك إلا ليتوصلوا إلى إنكار الشريعة المحمدية، وسندهم في هذا المنع أن الحكم الأول إن كان حسنا فكيف ينسخ وإن كان غير حسن فكيف يشرعه الله تعالى؟
وقد رد الشيخ عليهم بمايلي[3]:

- أن الأحكام مقرونة بالمصلحة والحكمة، وأنها تتغير بتغير الزمان، والحكم يكون حسنا في زمانه لاقتضاء الحكمة له، فإن "الطبيب الحاذق يبذل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض على حسب المصلحة التي يراها ولا يحمل أحد فعله على العبث، والله جل شأنه قد علم في الأزل أحوال عباده فأنزل عليهم في كل زمن ما يوافق المصلحة والحكمة تفضلا منه ورحمة".
- أن حكمة الله كما اقتضت تبدل أحوال الناس والزمان فكذلك اقتضت تبدل الشرائع والأحكام، قال الشيخ: "تبدل أحوال الناس من الفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك، وتبدل أحوال الزمان من الربيع والصيف والخريف والشتاء، وكلها فعل الله تعالى؛ فإن أجابوا بأن الحكمة تقتضي تبدل أحوال الناس والأزمنة قلنا نحن أيضا أن الحكمة تقتضي تبدل بعض الشرائع والأحكام".
- أن الأدلة على وقوع النسخ في الشرائع على خلاف ما تزعم اليهود والنصارى منها:

✓ نسخ الشريعة الموسوية حكم تزوج الإخوة بالأخوات من بطن مختلفة، وتحريمه ولعن فاعله بعد أن كان مباحا في شريعة آدم عليه السلام قد اقتضته مصلحة استمرار النسل آنذاك، فيلزم على قول المنكرين للنسخ أن يكون الناس كلهم أبناء حرام.

✓ نسخ الشريعة الموسوية إباحة أكل جميع الحيوانات في شريعة نوح، حيث حرمت حيوانات كثيرة منها الخنزير.

---

[1] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص94.
[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص12.
[3] المصدر نفسه، ص94-96.

- ✓ نسخ الشريعة العيسوية لجواز الطلاق الذي كان مباحا في الشريعة الموسوية، حيث صار غير جائز إلا إذا زنت المرأة.
- ✓ نسخ الشريعة العيسوية لتعدد الزوجات الذي كان مباحا في الشرائع السابقة.

بعد وقوفنا على هذه الأدلة التي عرضها الشيخ، ندرك معنى قوله أن إنكار اليهود والنصارى لوقوع النسخ إنما كان بدافع إنكار الشريعة المحمدية لا غير، إذ لا يسعهم الاعتراض على هذه الأدلة التي قدمها الشيخ، وجميع اعتراضاتهم إنما هي كبيت العنكبوت ليس لها قرار و ثبوت على حد تعبير الشيخ طاهر.

وبالجملة فإن الشريعة المحمدية على وجه العموم ناسخة لما تقدمها من الشرائع، وبالتالي فإن القرآن ناسخ لما تقدمه من كتب سماوية.

الفرع الثالث: إعجاز القرآن

"إعجاز القرآن: مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به ، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به ؛ ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به رسول صدق"[1]، فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، جعله الله تعالى معجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ودليلا على صدق نبوته كما جعل لسائر الأنبياء معجزات، والفرق بينه وبين سائر المعجزات كما يرى الشيخ طاهر أنه أعظمها إعجازا؛ فهو آية عقلية باقية على مر الزمان بخلاف غيره من المعجزات التي انقضت بانقضاء وقتها فلم يبق منها أثر غير الخبر.

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في قوم عرفوا بالفصاحة واشتهروا بالبلاغة، فناسب أن يكون القرآن معجزة لهم لكونهم أرباب فصاحة وبلاغة، كما كانت عصا موسى وانقلابها إلى حية تلقف كل ما تقع عليه معجزة لبني إسرائيل في زمن كثر فيه السحر، وهكذا سائر معجزات الأنبياء تكون بحسب ما يشيع ويكون في زمانهم، وهذا ما يؤكده الشيخ طاهر حيث يرى أن وجه إعجاز القرآن يتمثل في كونه نزل على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة التي بلغ معها حدا خرج به عن

[1] عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، [د.م، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت]، ج2، ص332.

طوق البشر، وقد تحدى به النبي عليه الصلاة والسلام العرب العرباء، الذين كانوا أهل بيان وفصاحة وأرباب لغة وبلاغة، فمكث فيهم ثلاثة وعشرين عاما يتحداهم، فتارة يطلب منهم الإتيان بمثل سورة من القرآن وأن يستعينوا بمن شاءوا من الإنس والجن، وتارة يسمهم بالعجز عن ذلك وعدم قدرتهم على سلوك تلك المسالك وهم ذوو النفوس الأبية وأهل الحمية والعصبية، ولما كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، وكانت نفوسهم قد أشربت حب التعنت واستولى عليها الكبر، لم ينقادوا له ويذعنوا لهذا الكتاب المعجز الذي نزل بلسانهم، وعجزوا عن الإتيان بمثله أو النظم على منواله، اتجهوا إلى معارضته بقوة السنان عوضا عن حجة اللسان، وإذا عجز عرب ذلك العصر عن المجيء بمثل القرآن أو بعض منه فمن سواهم يكون أعجز في هذا الأمر، ولا يعلم على مر التاريخ من استطاع معارضة القرآن والإتيان بما عجز عنه الأوائل، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر بل هو من كلام خالق البشر[1].

وقد ظهرت منذ القديم العديد من المحاولات التي حاول أصحابها محاراة القرآن أو التأليف على نسقه، ولكنها مجرد محاولات باءت بالفشل ومني أصحابها بخيبة الأمل، وانهدمت أمام بلاغة القرآن وتهاوت، وكانت سخافتها كافية لإثبات أنها من صنع البشر لا من كلام خالق البشر، وقد أشار الشيخ إلى محاولات بعض من سماهم بالملحدين العارين من حلل الدين نظم أبيات اقتبسوا فيها بعض آيات من القرآن الكريم ونسبوها لامرئ القيس [2] في محاولة منهم للتشكيك في القرآن، يذكر منها قوله:

يتمنى المرء في الصيف الشتا	وإذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد	قتل الإنسان ما أكفره

وقد تصدى الشيخ لبيان مقصد هؤلاء وتكذيب نسبة الأبيات لامرئ القيس، حيث يذكر مقدم بعضهم إليه ومعه بعض الأبيات المشتملة على وصف اليوم الآخر وأحواله وعظيم شدائده وأهواله، فقام ببيان حقيقة الأمر وأوضح لهذا الغمر كما أسماه أن نسبتها لامرئ القيس بهتان عظيم[3].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص58-59.
[2] هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب، ولد نحو (130ق.هـ-497م)، وتوفي نحو (80ق.هـ-545م). الزركلي، الأعلام، ج2، ص11.
[3] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص213.

وقد ذكر الشيخ إلى جانب ما سبق عددا من الأوجه الأخرى المثبتة لإعجاز القرآن منها:

- إخبار القرآن عن أمور مغيبة ظهرت كما أخبر.
- أنه لا يمله السمع مهما تكرر.
- جمعه لعلوم لم تكن موجودة عند العرب والعجم.
- إنباؤه عن الوقائع الحالية وأحوال الأمم.

وبعد إيراده لهذه الأوجه يختم بقوله:"والحال أن من أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ لاستغنائه عن ذلك بالوحي، وليكون وجه الإعجاز بالقبول أحرى" [1].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص60.

المبحث الثاني: آراؤه في الإيمان بالرسل

خلق الله الخلق وأحاطهم بعنايته، وعمهم بفضله، وأغدق عليهم من نعمه، وسخر لهم ما في البر والبحر، وما ذلك إلا لحكمة جليلة وغاية عظيمة، وهي تعرّف العباد على خالقهم بمخلوقاته أوّلا ومن ثمّ عبادته وتحقيق الاستخلاف في الأرض ثانيا، وهو ممّا لا تستقل العقول بإدراكه على قدرها و منزلتها، إذ صلاح العباد في الحال و المآل لا يكون إلا عن طريق وحي إلهيّ وشريعة ربّانيّة تعرّف الخلق بما لهم وما عليهم ليستقيم لهم أمر دينهم ودنياهم، ومن هنا تظهر ضرورة إرسال الرّسل، وهذا ما يؤكّد عليه الشّيخ طاهر حيث يقول في بيان قصور العقل وأن له حدا ينتهي إليه وضرورة الوحي الرّبّانيّ لتحقيق سعادة النّفس أن العقل على علوّ درجته وشرف منزلته له حد يقف عنده، ولا يتجاوزه إلى ما بعده، إن علم كليات الأشياء نحو أن يعلم حسن اعتقاد الحق، وقول الصدق، والقيام بالقسط، وقف عند جزئيّاتها، وكما أن الأغذية ونحوها لا تكون سببا لصحّة الجسم إلا إذا استعملت بمقدار مخصوص على وجه مخصوص، كذلك أسباب سعادة النفس، وهذا ليس يتبين إلا بوحي ربّانيّ، فصارت الحاجة إليه فوق كل حاجة، واقتضت الحكمة الربانية والعناية الإلهية بالعباد أن يرسل إليهم في كل مدة رسلا من أنفسهم مبشرين ومنذرين يتلون عليهم آياته ويعلّمونهم الكتاب والحكمة، ويرشدون العباد إلى ما فيه صلاح المبدأ والمعاد بقدر مالهم من الاستعداد.

وبهذا تتبين مكانة الرسول في حياة الناس ويتجلى عظم الإيمان بالأنبياء والرسل، وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وأصوله التي لا يصح إيمان عبد إلا به، كما لا تستقيم حياته إلا باتباعهم واقتفاء آثارهم.

وأما عن رأي الشيخ طاهر في كيفية الإيمان بالرسل وما يجب أن نعتقده فيهم، فيمكن من خلال تتبع كلامه أن نجمله في النقاط التالية:[1]

- الإيمان بإرسال الله رسلا مبشّرين ومنذرين ومبيّنين لأمور الدّين والدّنيا.
- الإيمان بتأييد الله لأنبيائه بالمعجزات الظاهرة الباهرة.
- الإيمان بأن أول الرّسل هو آدم عليه السلام، وآخرهم محمّد صلّى الله عليه وسلم.
- الإيمان بأنهم أحسن الخلق وأنّ الله اصطفاهم على العالمين.
- الإيمان باتّصاف الأنبياء بكل وصف يزين، وتنزيههم عن كل وصف يشين.

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص71-72، 89. وطاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص63، 72.

-الإيمان بعدم النّقص في مراتبهم العليّة حال طروء الأعراض البشريّة.

-الإيمان باتّفاقهم في أصول الاعتقاد الذي لا يقبل التعدّد والتحوّل، وأن اختلافهم إنما كان في الفروع لاقتضاء الحكمة الإلهيّة لذلك، بحسب اختلاف الأمم زمانا ومكانا وحالا وطبعا.

ويضاف إلى ما سبق: الإيمان التفصيلي بمن عُلم اسمه من الأنبياء وجاء ذكر أخباره وما يتعلق به في نصوص الوحي على سبيل التفصيل، وعدد الأنبياء كما يرى الشيخ لا يُعلم على وجه اليقين، غير أن المذكور منهم في القرآن خمسة وعشرون وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحي، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم[1].

وقد جاء من أسماء هؤلاء ثمانية عشر في آية واحدة من القرآن وهي قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: 83-86].

وأما بقية الأنبياء فقد جاء ذكرهم في مواضع متفرقة من القرآن وهي كالتالي:

قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 85].

وقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:33].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ ﴾ [هود:61].

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص64.

وقوله تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ [الأعراف:65].

وقوله تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾ [هود:84].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:40].

ولمعرفة آراء الشيخ طاهر في ركن الإيمان بالرسل بشيء من التفصيل قسمت هذا المبحث إلى أربعة مطالب، تناولت فيها تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، وتطرقت إلى المعجزة والفرق بينها وبين السحر والكرامة، كما عرجت على صفات الأنبياء، وختمت هذا المبحث بالكلام عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول:تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

الفرع الأول: تعريف النبي والرسول لغة

أولا: تعريف النبي لغة

النبي والنَّبْوَةُ والنَّبَاوَةُ: مَا ارْتَفَع مِنَ الأَرض ، والنبيُّ، كَغَنِيٍّ: الطَّرِيقُ ، وأنبأه الْخَبَر وبالخبر أخبرهُ ، وتنبأ ادّعى النبوءة ، وتنبأ بالأمر أخبر به قبل وقته ، والنبوءة: سفارة بين الله عز وجل وبين ذوي الْعقول لإزاحة عللها ، وتبدل الهمزة واوا وتدغم فيقال النُّبُوَّة ، والإخبار عن الشيء قبل وقته حزرا وتخمينا، والنبيء: الْمخبر عن الله عز وجل، وتبدل الْهم زة ياء وتدغم فيقال النَّبِي ، والجمع: أنبياء وأنبياء ونبآء[1]

يتضح من خلال ما سبق أن معنى النبي في اللغة يدور حول الإخبار، والارتفاع، و يأتي بمعنى الطريق، ووجه المناسبة ظاهر في كل ذلك، فالنبي هو المخبر عن الله، وهو بمثابة الطريق الدال عليه الموصل إلى رحمته ورضوانه، كما أنه الذي شرف على الخلق وارتفع فهو صاحب المكانة العالية.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ص302. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1،ص1337. وإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط، ج2،ص896.

ثانيا: تعريف الرسول لغة:

الرَّسَل: القَطِيع مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَرْسَال، والرِّسْل والرِّسْلَة: الرِّفْق والتُّؤَدة، وشَعْرٌ رَسْلٌ، أي مُسْتَرْسِلٌ. وبعيرٌ رَسْلٌ، أي سَهْلُ السَيْرِ. وناقةٌ رَسْلَةٌ. وقولهم: افْعَلْ كذا وكذا على رَسْلِكَ بالكسر، أي اتئد فيه، كما يقال: على هِينَتِكَ والتَّرَسُّل كالرِّسْل. والتَّرَسُّلُ فِي الْقِرَاءَةِ والتَّرْسِيل وَاحِدٌ ، وتَرَسَّلَ فِي قِرَاءَتِهِ: اتَّأَد فِيهَا ، والرَّسُول: بِمَعْنَى الرِّسالة، يُؤَنَّثُ ويُذكَّر، فَمَنْ أَنَّث جَمَعَهُ أَرْسُلًا ، وتَرَاسَل القومُ: أَرْسَلَ بعضُهم إِلى بَعْضٍ ، والرَّسُول: مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يُتابِع أَخبار الَّذِي بَعَثَهُ أَخذاً مِنْ قَوْلِهِمْ جَاءَتِ الإِبل رَسَلًا أَي مُتَتَابِعَةً ، والرَّسول: اسْمٌ مِنْ أَرْسَلْتُ وَكَذَلِكَ الرِّسَالة ، وراسَلَهُ مُراسَلَةً فهو مُراسِلٌ ورَسيلٌ، وأَرْسَلْتُ فلاناً في رِسالةٍ، فهو مُرْسَلٌ ورَسولٌ، والجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ ، وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء:16]، ولم يقل: رُسُلُ رَبِّ العالمين، لأن فعولا وفعيلا يستوى فيها المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع[1].

إذا معنى الرسول في اللغة يدور حول الرفق والتؤدة والمتابعة والرسالة، ومنه نعرف سر تسمية الموحى إليه بالرسول، فهو مرسل برسالة من ربه لتبليغها ومتابعتها ومع ذلك هو مطالب بالرفق والتؤدة في دعوته.

الفرع الثاني: تعريف النبي والرسول اصطلاحا والفرق بينهما

بالرجوع إلى أقوال العلماء في تعريف النبي والرسول اصطلاحا نجد أنها اختلفت وتعددت، وهذا يرجع أساسا إلى العلاقة بين اللفظين، فمنهم من رأى أن لا فرق بينهما، ومنهم من قال خلاف ذلك.

والشائع عند العلماء أن الرسول أعم من النبي، فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعليه فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، وقد اعترض على هذا بأمور منها: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل فقال ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج: 52].

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب، ج 11، ص281-284. إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح قيق: أحمد عطار، [لبنان: بيروت، ط4، دار العلم للملايين، 1407-1987م]، ج4، ص1708-1709.

فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ، ومما اعترض به كذلك على هذا القول أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى.

ومن العلماء من رجح أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله[1].

وقد اختار بن تيمية أن:" النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52]، وقوله:﴿ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾؛ فذكر إرسالا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح"[2].

تعريف الشيخ طاهر للنبي والرسول وذكر الفرق بينهما

يعرف الشيخ النبي من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فأما من الناحية اللغوية فيرى أن النبي مأخوذ من النبأ، وهو الخبر وأصله نبيء، وقد قرئ بهما، وينقل عن بعض العلماء قولهم أن النبي مأخوذ من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وفي ذلك إشارة إلى ارتفاعه على سائر الخلق، وأن له مكانة منيفة.

وبعد إيراده لهذين المعنيين يرجح المعنى الأول ويرى أنه أقوى في اللفظ والمعنى، ويختار أن النبي مأخوذ من النبأ وهو بمعنى المنبأ لأن الله أنبأه بما شاء من أمره[3].

وأما الرسول فلم يتطرق الشيخ لتعريفه من الجانب اللغوي إلا ما ذكر من بعض إطلاقاته، حيث نبه إلى أنه قد يطلق على الملك؛ واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي

---

[1] وهذا تعريف الألوسي في تفسيره، نقله عنه واختاره الأشقر. عمر سليمان الأشقر ، الرسل والرسالات، [الكويت، ط4، مكتبة الفلاح، دار النفائس، 1410هـ-1989م]، ص14، 15.

[2] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، النبوات، تح قيق: عبد العزيز الطويان، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة أضواء السلف، 1420هـ-200م]، ج2،ص714.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص76.

قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير:19–21]، كما قد يطلق على رسول الرسول، ويستدل بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ﴾ [يوسف:50].

وأما من الناحية الاصطلاحية فإن الشيخ موافق لمن ذهب إلى أن الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن هو لم يؤمر بدعوة غيره كان نبيا، فهو يقول أن الرسول–وهو بمعنى المرسل–كل نبي أمره الله بتبليغ ما أوحى إليه إلى عباده، وأما النبي فهو إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه؛ فإن أمر بتبليغه سمي رسولا أيضا، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، فقد اجتمعا معا في الإيحاء إليهما، وانفرد الرسول بأمر الإنذار والإعلام.

ويستدل الشيخ طاهر على عدم ترادف الرسول والنبي بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:52]، يقول: أن الله تعالى عطف في هذه الآية أحد الاسمين على الآخر، مع وجود (لا) المؤكدة للنفي، والإرسال المذكور هنا هو اللغوي، فالنبي أعم من الرسول، وهو مذهب أكثر العلماء.

ويوضح الشيخ الفرق بين النبي والرسول أكثر فيقول أن النبي غير المرسل: هو إنسان أوحي إليه بشرع يتعلق به، وهذا الإنسان ممتاز في جنسه، سعيد في نفسه، ومستبصر في أمره، ودعوة غيره ليست واجبة عليه، بخلاف النبي المرسل فإن دعوة غيره واجبة عليه، كما يتميز عن النبي غير المرسل بأن الوحي إليه يكون أكثر، وانكشاف الموحى به لديه أظهر، ويطلع على نوع من الغيب لا يطلع عليه من سواه[1]؛ قال جل جلاله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن26–27].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص64. وطاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص77–78.

المطلب الثاني: المعجزة

الفرع الأول: تعريفها

المعجزة في اللغة:

"عَجَزَ: الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ"[1].

فالمعجزة من الناحية اللغوية إذا مأخوذة من العجز.

المعجزة في الاصطلاح:

إن لفظ المعجزة باستعماله الحالي لم يكن معروفا عند العلماء الأوائل، وإنما كان الشائع عندهم استعمال لفظ: الآية، البرهان، البينة، دلائل النبوة، أعلام النبوة، يقول ابن تيمية أن هذه الألفاظ من حيث الدلالة على المقصود أقوى من لفظ (المعجزات) الذي لم يرد في الكتاب والسنة، بخلاف لفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان) التي جاءت في العديد من الآيات ؛كما قال تعالى في قصة موسى:﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [القصص:32]، والبرهانان في الآية هما: العصا، واليد، وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن[2]، كقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ ﴾ [الأنعام:123-124].

وقد استعمل لفظ المعجزة فيما بعد واختلفت عبارات العلماء في تعريفها، فمنهم من أوجز فقال أنها: "المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة "[3]. ومنهم من زاد على

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص232، 233.

[2] ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، [السعودية، ط2، دار العاصمة، 1419هـ-1999م]، ج 5، ص412-414.

[3] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص3.

ذلك فقال: "المعجزة: أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله "[1]، ومن المعاصرين نجد تعريفا لأبي زهرة بأنها: "الأمر الخارق للعادة الذي يدعي به من جرى على يديه أنه نبي من عند الله تعالى، ويتحداهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين"[2].

بإمعان النظر في هذه التعريفات يتبين أن المعجزة هي دليل على النبوة وحجة للنبي على قومه، ويظهر وجه تسميتها "معجزة" بكونها أمرا خارقا للعادة خارج عن القدرة البشرية؛ فخرق المعجزة للعادة أمر متفق عليه وقدر مشترك بين هذه التعريفات، ولهذا كانت المعجزة دالة على صدق النبي لظهور عدم حصولها إلا بفعل إلهي، كما نلاحظ اشتمال هذه التعريفات على بعض القيود الخاصة بالمعجزة؛ فإلى جانب خرق العادة نجد الإشارة إلى ضرورة اقترانها بدعوى النبوة والتحدي.

وقبل إيراد تعريف الشيخ طاهر للمعجزة يجدر بنا الإشارة إلى أنه يقسم آيات الأنبياء إلى قسمين: آية عقلية وتتمثل في صفات الأنبياء وأخلاقهم، وآية حسية وتتمثل في المعجزات، يقول:" قد جعل سبحانه وتعالى لكل نبي آيتين: إحداهما: عقلية، يدركها أولو البصائر. والثانية: حسية، يدركها أولو الأبصار.

فالآية الأولى: هي مالهم من الصور الوضية، والسير الرضية، والصدق والأمانة، والعفة والصيانة، والقوة في إظهار الحق، وبيان سبيله للخلق، وبعث النفوس والأرواح، على ما يوجب لها السعادة والفلاح، وكفى بمثل هذه الصفات حجة للراغب في سلوك المحجة.

والآية الثانية: هي المعجزات، التي تدركها الحواس، وطالب ذلك أحد رجلين:إما ناقص الإدراك، لا يفرق بين الكلام الرباني وكلام البشر، فيحتاج إلى ما يدرك بالحس. وإما ناقص الإدراك ذو تعنت، يقصد بذلك العناد دون التثبت" [3]، والذي يهمنا في هذا المقام من هاتين الآيتين هو المعجزات.

يعرف الشيخ طاهر المعجزة بأنها "أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة موافقا لدعواه على وجه يعجز المنكرين الإتيان بمثله"[4].

---

[1] الجرجاني، التعريفات، ص219.

[2] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، [د.م، د.ط، دار الفكر العربي، د.ت]، ص8.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص81.

[4] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص65.

ويظهر من خلال هذا التعريف مايلي:

- أن المعجزة خارقة للعادة، والعادة هي ما اعتاده الناس وألفوه، فالمراد هو مجيء هذه المعجزة على وجه خارج عن المألوف.
- أنها تكون على يد مدعي النبوة، فخرج بذلك كرامات الأولياء فإنها لا تعد معجزات؛ وقد تنبه الشيخ فلم يطلق القول، بل قيده بجريان الخارق على يد نبي؛ وإلا لكان تعريفه غير منضبط ولا مانع من دخول غير النبي فيه.
- موافقتها لدعوى النبوة.
- عدم القدرة على معارضتها بمثلها.

وهنا قضية مهمة تطرق لها الشيخ بين يدي هذه المسألة، وهي بيان الحكمة من إظهار المعجزات على يد الأنبياء ووجه دلالتها على صدقهم، فالأنبياء إنما بعثوا في أقوام وأزمان قد تبلدت فيها الأفهام، وضاقت المدارك، واحتجب نور المعرفة بظلمة الشرك، فعم تقليد الآباء والأجداد دون إعمال للفكر وخضوع لسلطان العقل، فاشتد نكيرهم على الأنبياء وتعنتوا في قبول الحق وأبوا إلا الإيمان بالمحسوس الذي تجلى في طلبهم للآيات والبينات الحسية، فكان لهم ما سألوا، ومن هنا تظهر الحكمة في إظهار المعجزات على أيدي الأنبياء للدلالة على صدق دعواهم والتمييز بينهم وبين من يدعي النبوة كاذبا فكل دعوى لم تقترن بدليل فهي غير مسموعة، والمعجزة قائمة مقام قول الله تعالى: (صدق عبدي فيما ادعى).

ويبين الشيخ طاهر وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء وكونها قائمة مقام قول الله تعالى: صدق عبدي؛ فهي تصديق للرسول، تصديق بالفعل تجري مجرى التصديق بالقول.

ولتوضيح هذه المسألة يضرب الشيخ مثالا برسول قام على مرأى من الناس في حضرة الملك، وطلب منه خرق عادته بالقيام ثلاثا، وذلك استدلالا منه على صدقه، فإن أجابه الملك إلى طلبه حصل للناس علم ضروري بصدقه في مقالته، وقام فعل الملك مقام قوله: قد صدق فيما ادعاه؛ فكذلك تأييد الله عز وجل لأنبيائه بخرق العادة حال التجائهم إليه وسؤالهم له وهو ناظر إليهم سامع لهم، كان ذلك تصديقا لهم منه فعلا، وهو كالتصديق بالقول بل أولى، وهو يستلزم صدقهم في دعوى الرسالة؛ لأن تصديق الله تعالى للكاذب أمر ظاهر الاستحالة [1]، وهذا المثال الذي أتى به

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص65-66.

الشيخ طاهر نجده عند أبي حامد الغزالي الذي يقول:" ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى، فمهما كان مقروناً بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله صدقت؛ وذلك مثل القائل بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم؛ فإنه مهما قال لذلك إن كنت صادقاً فقم على سريرك ثلاثاً واقعد على خلاف عادتك، ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت"[1].

الفرع الثاني: الفرق بين المعجزة والسحر والكرامة

أولا: الفرق بين المعجزة والسحر

بعد أن بين الشيخ طاهر معنى المعجزة، تطرق لمعنى السحر وبين الفرق بينه وبين المعجزة، فالسحر وإن كان خارقا للعادة فيما يبدو؛ إلا أنه مبني على أسباب جعلته من المعتاد لمن علمها وتعاطاها، وعلى هذا أمكن معارضته بمثله أو بأقوى منه؛ فخرج بذلك عن كونه خارقا للعادة، وامتنعت معارضته لمعجزات الأنبياء وإلا لاشتبه النبي بالساحر، وهذا هو الفرق بينه وبين المعجزة التي لا تكون إلا خارقة للعادة حقيقة مع عدم إمكان معارضتها؛ فلا يمكن للساحر الإتيان بمثل أفعال الأنبياء من إحياء للموتى، وقلب العصا حية، وغيرها من المعجزات التي اختص بها أنبياء الله، ولذلك آمنت سحرة فرعون بموسى عليه السلام لما صارت عصاه حية حقيقة، وابتلعت عصيهم وحبالهم لمعرفتهم بأن هذا مما لا يأتي به السحر، كما أن هناك فرقا آخر بين المعجزة والسحر من حيث مصدر صدور كل منهما؛ فالمعجزة تصدر ممن حسنت سيرتهم وزكت نفوسهم وهم أنبياء الله، بينما السحر يصدر عمن ذمت سيرتهم وخبثت نفوسهم وهم السحرة[2].

ثانيا: الفرق بين المعجزة والكرامة

يعرف الشيخ طاهر الكرامة بأنها أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي والسيئات، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، فالكرامة غير مقرونة بدعوى النبوة، ودرجة الولاية دون درجة النبوة؛ حيث يرى الشيخ أن الولي لا يبلغ درجة نبي من الأنبياء أصلا، كما أنه مادام عاقلا لا يبلغ إلى مرتبة يسقط عنه الأمر والنهي ويباح له ما شاء، ويحكم الشيخ على من زعم ذلك بالكفر.

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص114.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص66-67. وطاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص93.

وفي تعريف الشيخ للكرامة إشارة إلى أن خرق العادة أمر مشترك الحصول بين النبي والولي، غير أن الفرق يكمن في دعوى النبوة؛ فخرق العادة للنبي يسمى معجزة ويكون مقرونا بدعوى النبوة، وأما خرق العادة للولي فإنه لا يحصل له على سبيل الاستقلال، وإنما في حال إيمانه بالنبي واتباعه لشرعه وانقياده لسنته، وظهور صلاحه وبره؛ فهذه الصفات وغيرها من خصال الخير هي سبب ظهور الكرامة على يده إكراما له من ربه، وإشارة لقبوله عنده وقربه، ولو ادعى الاستقلال بنفسه ولم يتابع رسوله لم تظهر على يده الكرامة وكان وليا للشيطان عدوا للرحمن، كما يشير لذلك قوله تعالى خطابا لنبينا عليه الصلاة والسلام في حق أقوام زعموا أنهم يحبون الله [1]: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: 31-32].

وهذا الذي قرره الشيخ طاهر هو الذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة، ودرج عليه أهل السنة، يقول الشوكاني [2] وهو ممن بحث هذه المسألة وألف فيها : "والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره مقيما لما أوجب الله عليه، تاركا لما نهاه الله عنه مستكثرا من طاعاته، فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينكرها ، ومن كان بعكس هذه الصفات، فليس من أولياء الله سبحانه، وليست ولايته رحمانية بل شيطانية، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس"[3].

وبهذا ينجلي الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ويُعلم عظم درجة الولاية عامة، وشأن الكرامة خاصة وأنها عطية إلهية وهبة رحمانية لا توهب إلا لمن قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص65، 67، 68، 108.

[2] هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه، مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد سنة (1173هـ -1760م)، وتوفي سنة (1250هـ - 1834م)، من مؤلفاته: فتح القدير في التفسير، وغيره. الزركلي، الأعلام، ج6، ص298.

[3] محمد بن علي الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي، أو ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، [مصر: القاهرة، د.ط، دار الكتب الحديثة، د.ت]، ص272.

﴿٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: 62-64].

المطلب الثالث: صفات الأنبياء

يرى الشيخ طاهر أن العناية الربانية والحكمة الإلهية اقتضت أن يرسل لعباده أنبياء منهم، يعتريهم ما يعتري الناس من الأعراض، فهم مشاركون لهم في الصورة البشرية وفي أحوال المطعم والمشرب، وفي غيرها من الأحوال والهيئات، وفي ذات الوقت هم مؤيدون بقوة روحانية يشاكلون بها الملائكة، وذلك ليستطيعوا الأخذ عنهم والاتصال بهم، وهذا ما جعل منهم نوعا ممتازا واقعا بين الإنسان والملك، فالنبي لا بد أن يكون مميزا عن بقية أهل زمانه، قد فاقهم وكمل عليهم، وأن يكون مؤيدا بالمعجزات الظاهرة والآيات البينة التي تثبت نبوته وصدق دعواه [1].

كما يرى الشيخ أن من صفات الأنبياء ماهو واجب، ومنها مايكون مستحيلا في حقهم، ومنها ما يجوز عليهم.

أولا: الصفات الواجبة

فأما الصفات الواجبة فهي أربع صفات: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، وقد قام الشيخ بشرح هذه الصفات[2].

- الصدق في حقهم كون خبرهم مطابقا للواقع ونفس الأمر، فلا يصدر منهم كذب أصلا؛ قال الله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس:52].

- ومعنى الأمانة في حقهم، كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظة من الوقوع فيما لا يرضي الحق الذي اصطفاهم على سائر الخلق؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ ﴾ [الشعراء:162].

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص80-81، 67.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص68-69.

- ومعنى التبليغ كونهم بينوا للناس كل ما أمرهم الله ببيانه أحسن بيان فلم يكتموا من ذلك شيئا؛ قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب:39].

- ومعنى الفطانة كونهم أكمل الخلق في النباهة والفهم؛ قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود:32].

ثانيا: الصفات المستحيلة

الصفات المستحيلة في حق الأنبياء في نظر الشيخ طاهر أربع صفات وهي: الكذب، والعصيان، والكتمان، والغفلة، وإلى جانب هذه الصفات الأربع يرى الشيخ أنه "يستحيل عليهم كل صفة تعد عند الناس من العيوب، وإن لم تكن من الذنوب كدناءة الحرفة أو النسب أو تنافي حكمة البعثة كالصمم والبكم"[1].

وهذه الصفات في مقابل الصفات الأربعة الواجبة، فالكذب لا يجوز على الأنبياء إذ لو كان النبي كاذبا لفضحه ربه، ولم يصدقه الناس في أمر الوحي، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحاقة:44-45].

وأما الكتمان فهو مناف للتبليغ الذي كلف به الأنبياء وأمروا به لإقامة الحجة وإيضاح المحجة، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ...﴾ [المائدة:67].

وأما الغفلة فهي صفة نقص لا يمكن أن يتصف بها نبي من الأنبياء، فهم على قدر عظيم من الذكاء والفطنة والنباهة ورجاحة العقل، وصدق الله جل وعلا إذ يقول: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام:124].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص69.

وفيما يتعلق بالعصيان فإنا نجد أن الشيخ يجيب عن استشكال نسبته إلى آدم في قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ ﴾ [طه:121-122]، فإذا كان الأنبياء منزهون عن المعاصي، وكانت المعاصي في حقهم مستحيلة فكيف أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها؟ ويجيب الشيخ بأن ذلك حصل بطريق النسيان، والناسي غير عاص ولا مؤاخذ، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ۝١١٥ ﴾ [طه:115]، وقد عدت مخالفة آدم عصيانا نظرا لشرف رتبته وعظم منزلته، وأما مؤاخذة الله سبحانه له فذلك ليُعلي درجته وينمي ثوابه، وما قيل عن آدم عليه السلام يقال عن سائر الأنبياء؛ فالذنوب والمعاصي التي تنسب إليهم إنما هي باعتبار مناصبهم وكمال طاعتهم؛ فهي ليست كذنوب غيرهم لأن صدورها منهم لا يخرج عن التأول أو السهو وعدم التعمد؛ فدرجة النبوة لها أحكام خاصة والله تعالى يشدد على النبي بما لا يشدد على غيره، وهذا ما يؤكده الشيخ طاهر في قصة استشفاع يوسف عليه السلام بالساقي لإخراجه من السجن؛ حيث يرى أن سبب طول مكثه في السجن يرجع إلى مؤاخذة الله تعالى له على استشفاعه بالساقي وتعلق أمله بالخلق، وعلى الرغم من أن هذا الفعل الذي صدر من يوسف عليه السلام لا يعد منكرا أصلا؛ غير أن الله تعالى آخذه به نظرا لما تقتضيه درجة النبوة من عدم تعلق الأمل بما سوى الله تعالى، فالحبيب يشدد عليه مالا يشدد على غيره[1].

ثالثا: الصفات الجائزة

لما كان الأنبياء من جنس البشر جاز عليهم ما جاز على سائر البشر من وقوع الأعراض البشرية من غير أن يؤدي ذلك إلى نقص في حقهم، أو الحط من قدرهم ومراتبهم كالأكل، والشرب، والجوع والعطش واعتراء الحر، والبرد، والتعب، والراحة، والمرض، والصحة، ومثل ذلك التجارة والاحتراف بحرفة من الحرف التي ليست دنية.

وفي لحوق الأمراض والآلام بالأنبياء حكم عديدة يمكن تلخيصها حسب ما أورده الشيخ طاهر فيما يلي[2]:

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص71. طاهر الجزائري، منية الأذكياء، ص33.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص71- 72.

- إبتلاء ثباتهم وصبرهم على طاعة الله ليعظم أجرهم.
- جعلهم قدوة للناس يتأسون بهم في حال حلول البلاء و اليأس بهم.
- تعريف الناس قيمة الدنيا وأنها دار بلاء وامتحان لا دار إكرام وإحسان.
- بيان عجزهم عن جلب النفع ورفع الضرر، إذ أن ظهور المعجزات الباهرات على أيدي الأنبياء قد يؤدي إلى اعتقاد الألوهية فيهم.

المطلب الرابع: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الفرع الأول: صفاته

يثبت الشيخ طاهر للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث صفات انفرد بها دون سائر الأنبياء وهي[1]:

- أنه أفضل الأنبياء.
- أنه أرسل إلى الناس كافة.
- أنه خاتم الأنبياء فلا يأتي بعده نبي.

وتفصيل هذه الصفات فيما يلي:

أولا: أنه أفضل الأنبياء: فأصل المفاضلة وارد في كتاب الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة:253]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء:55]، فدلت هذه الآيات على أن الأنبياء ليسوا في درجة واحدة بل هم متفاضلون فيما بينهم، وأفضلهم نبينا محمد؛ قال صلى الله عليه وسلم:" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"[2].

ثانيا: أنه أرسل إلى الناس كافة : والأدلة على شمول رسالته وعموم دعوته كثيرة، منها قول الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص73.

[2] أخرجه مسلم ،كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، رقم: 2278، ج4، ص1782.

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ:28]، وقوله كذلك: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:158].

قال بن كثير:"يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد: يا أيها الناس، وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، إني رسول الله إليكم جميعا : أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة"[1].

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة"[2].

ثالثا: أنه خاتم الأنبياء فلا يأتي بعده نبي، يقول الشيخ طاهر عند سرده لأحداث سيرته صلى الله عليه وسلم: "صار القرآن الكريم ينزل شيئا فشيئا وبقي الأمر كذلك عشرين سنة؛ وفيها تمت أحكام الشريعة المحمدية التي نسخت جميع الشرائع وأمر باتباعها الإنس والجان، وختم بصاحبها أمر النبوة والرسالة فلا يأتي بعده رسول أو نبي"[3].

وقد تطرق الشيخ في معرض إثباته لكون نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء إلى الحكمة من إرسال الأنبياء والرسل، ثم قرر أن جميع هذه الحكم متوفرة في الشريعة المحمدية، وأنها قد بلغت في تبيينها منتهى الكمال، فكانت بذلك شاملة عامة صالحة لكل زمان ومكان، واستحق بذلك أن يكون رسول الإسلام خاتم الأنبياء والرسل، فلا مزيد لمستزيد بعدها ولا حاجة لشريعة تلحقها أو تأتي بعدها.

وهذه الحكم حسب رأي الشيخ هي[4]:

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص489.

[2] أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رقم: 335، ج1، ص126، وكتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، رقم:438، ج1، ص158. وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم: 521، ج1، ص370.

[3] طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ص189-190.

[4] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص73.

– دعوة الخلق إلى عبادة الحق.

– إرشادهم إلى طريق السداد في أمور المعاش والمعاد.

– إعلامهم بالأمور الغائبة عن أبصارهم والأحوال التي لا يصلون إليها بأفكارهم.

– تقرير الأدلة القاطعة وإزالة الشبه الباطلة.

هذا وقد ورد في القرآن و السنة الكثير من الأدلة على كونه صلى الله عليه وسلم النبي الخاتم؛ منها: ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»[1].

الفرع الثاني: معجزاته

بدأت دلائل النبوة وعلاماتها تظهر على النبي صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره، لتعلن عن ظهور خاتم النبيين وسيد المرسلين، إلى أن نبئ عليه السلام، فقام بحقوق النبوة، ونهض بأعبائها، وأكمل الله تعالى به الدين، وأوضح به الملة، وأتم به النعمة، على وجه لا يدفعه عقل، ولا يأباه قلب، ولا تنفر منه نفس، كل ذلك مع كونه أميا لم يقرأ كتابا، ولا حاول علما، وهذا من أعظم البراهين على صدقه فيما ادعاه؛ إذ كيف لرجل أمي أن يأتي بكتاب اشتمل على أنواع من العلوم والمعارف بعبارة فصيحة بليغة أعجزت كل بليغ وأخرست كل فصيح، ناهيك عن سائر المعجزات الأخرى التي ظهرت على يديه ودلت على نبوته، وقد اقتصر الشيخ طاهر على ذكر ثلاث معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وهي[2]:

أولا. القرآن الكريم: هو أعظم آياته وأكبرها وقد سبق ذكر وجه إعجازه وأنه آية باقية دائما وحجة لازمة على مر العصور والدهور، تكفل الله بحفظه وميزه عما سبق من الكتب وتحدى به أرباب الفصاحة والبيان فأخرسهم وأعجزهم، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى اختصاصه بهذه المعجزة

[1] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم: 3534، ج2، ص513. وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رقم: 2287، ج4، ص1791.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص86-87. وطاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص74.

دون سائر الأنبياء فقال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة» [1].

ثانيا. نبع الماء من بين أصابعه: وذلك في حال السفر حين اشتد العطش بأصحابه الكرام ولم يكن إلا ماء قليل فوضع كفه الكريمة فيه فكثر حتى قضى الحاضرون أوطارهم منه وزاد عليهم، وهذا وقع مرارا. ويدل على هذا الذي ذكره الشيخ أحاديث كثيرة منها: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة [2].

ثالثا. تكثير الطعام القليل حتى كفى أناسا كثيرين، وهذا وقع أيضا مرارا، و قد جاء ذكر هذه المعجزة التي نص عليها الشيخ في كثير من الأحاديث، منها ما رواه أنس بن مالك قال: " قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آرسلك أبو طلحة» فقلت: نعم، قال: «بطعام» فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: «قوموا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلمي يا أم سليم، ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول، ثم

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ، رقم: 7274، ج4، ص359، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، رقم: 152، ج1، ص134.

[2] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:3576، ج2، ص522.

قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا "[1]

الفرع الثالث: سيرته

ليس المراد من سيرته صلى الله عليه وسلم هنا تتبع أيامه، وتقصي أخباره، وسرد أحداث حياته، وإنما المقصود هو الإشارة إلى شيء من أخلاقه وصفاته، إذ أن مراد الشيخ طاهر بالسيرة في هذا الموضع هو السيرة الخُلُقيّة، وهو ما يظهر من خلال ما سيأتي.

يقول الشيخ واصفا حسن سيرته صلى الله عليه وسلم أن الإجماع والاتفاق واقع على أن سيرة نبيا محمد صلى الله عليه وسلم أحسن السير على الإطلاق، وقد أقر وشهد بحسنها الكفار.

وقد عدد الشيخ بعض صفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم على سبيل العموم والإجمال فقال أنه عليه الصلاة والسلام كان أشرف الناس نسبا، وأعلاهم حسبا، يصل الرحم، ويغيث المضطر، كثير التحمل والإغفاء والصبر، دأبه العفو، والصلح والرأفة، والرفق، لا ينتقم إلا فيما فيه حق الحق، أو حق الخلق، وقال واصفا حسن بيانه وجمال منطقه أنه كان كثير السكوت لتفكره في أسرار الملكوت، وإذا تكلم أتى بجوامع الكلم، وهي الكلمات القليلة التي تتضمن معان كثيرة من باهر الحكم، وكان أفصح الناس بيانا، يمزح بعض الأحيان ولا يقول في مزحه إلا حقا.

وقال في بيان تواضعه وعظيم هيبته في نفوس أصحابه أنه كان شديد التواضع، وكان مع تواضعه وبشاشته ذا هيبة لم تكن لغيره من البشر؛ حتى لم يكن أحد من أصحابه يؤكد في وجهه الكريم النظر، وكانوا في مجلسه في غاية الأدب كأنما على رؤوسهم الطير، لا يقطع أحد منهم كلام أحد ولا تذكر في مجلسه العيوب.

وقال في نقاء وصفاء سيرته منذ طفولته وبعد نبوته أن المشركين من صباه يلقبونه بالأمين، وبعد أدائه النبوة لم يجد أعداؤه مع شدة عداوتهم له وحرصهم على الطعن فيه مطعنا ولا إلى القدح فيه سبيلا.

وقال في دعوته إلى الله وتعليمه شرائع الإسلام أنه كان يعلم الناس الحكمة والأحكام ويدعوهم إلى دار السلام، وقد كمل من اتبعه في الفضائل العلمية والعملية، ومن لم يتبعه سرى له

[1] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:3578، ج2، ص523.

شيء من ذلك بطريق العرض والتبعية، وختم الشيخ هذه الأوصاف بقوله أنه قد أظهر الله دينه على سائر الأديان وأبقى ذكره الجميل على لسان موافقيه ومخالفيه مدى الزمان، ومن طلع على كتب سيرته المشتملة على أخلاقه العظيمة الباهرة عرف أنه شرف العالمين في الأوصاف الباطنة والظاهرة [1].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص75-76.

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى ما يلي:

- أهم ما ميز مبحث الإيمان بالكتب السماوية هو إبطال الشيخ طاهر صحة التوراة والإنجيل وإقامة البرهان على تحريفها، وكان منهجه في ذلك أن يعمد إلى الكتب السابقة فينقل منها نصوصا فيها انتقاص للذات الإلهية ورسله على وجه الخصوص، ويستدل بها على تحريف تلك الكتب لاستحالة نسبتها إلى الله تعالى، وهو ما يبين سعة اطلاع الشيخ من جهة، واهتمامه بجانب الرد على اليهود والنصارى من جهة أخرى، ولعل هذا الاهتمام يرجع إلى التنوع الديني الذي طبع المجتمع الشامي، ولقوة الإرساليات التنصيرية في عهده كما تقدم في الكلام عن عصره.
- كان تركيز الشيخ على إثبات صحة وإعجاز القرآن ونبوة رسول الإسلام على وجه الخصوص كبيرا، وذلك لأن في إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم إثبات لباقي نبوات الأنبياء الذين بشروا بقدومه.
- كثير من المسائل التي طرحها الشيخ تتماشى مع الواقع الذي كان يعيشه، ومن ذلك قضية كرامات الأولياء التي حرص على بيانها وتعريف الولي الذي تظهر على يديه، ونعرف قيمة هذا الطرح إذا عرفنا أن عصر الشيخ كان يعج بالطرق الصوفية التي كثيرا ما ناصبته العداء، وقد كانت له جهود في سبيل تقويم هذه الطرق تقدم ذكر شيء منها في الكلام عن موقفه من التصوف، ومعالجة قضية الكرامات تصب في هذا المضمار.

الفصل الخامس:

آراؤه العقدية في الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر

الفصل الخامس: آراؤه العقدية في الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر

تمهيد:

لقد جاء ذكر الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر في آخر أركان الإيمان التي ورد ذكرها في حديث جبريل، عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال له: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" [1]، فناسب إيرادهما في هذا الفصل الأخير ترتيبهما في هذا الحديث، وقد سار على ذلك الشيخ طاهر حيث رتب أركان الإيمان في كتابه "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" وفق ورودها في حديث جبريل.

لقد أخفى الله عن عباده موعد قيام الساعة واستأثر بعلمه، وكذلك القضاء والقدر فهو الآخر سر الله في خلقه؛ فمسألة القضاء والقدر تعد من القضايا الشائكة التي ظلت على مر التاريخ محل نزاع بين مختلف الفرق الإسلامية؛ بل إن الخوض فيها ظهر قبل الإسلام، وقد جاء في القرآن الإشارة إلى احتجاج مشركي العرب بالقضاء والقدر على شركهم والرد عليهم؛ حيث يقول الله تعالى:
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ...﴾ [الأنعام: 148].

وفيما يأتي من مباحث بيان لآراء الشيخ طاهر في الإيمان بهذين الأصلين.

[1] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له، رقم:50، ج1، ص33. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام ماهو وبيان خصاله، رقم:8، ج1، ص36، واللفظ لمسلم.

المبحث الأول: آراؤه العقدية في الإيمان باليوم الآخر.

اليوم الآخر هو اليوم الذي تفنى فيه الخلائق جمعاء، ويقوم فيه الناس لرب العالمين للحساب والجزاء، ولليوم الآخر العديد من الأسماء ذكر الشيخ طاهر منها: الطامة، وهي الشدة التي تغلب ما سواها وأصلها من طم السيل الركية إذا دفنها وسواها، وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم ومنه سميت القيامة طامة، والطامة الكبرى لأنها تطم على ماقبلها من الشدائد، والحاقة من حقت يعني ثبتت وظهرت، وتسمى كذلك بيوم التناد لنداء القوم بعضهم بعضا يوم القيامة، والآزفة من أزفت بمعنى قربت فهي القريبة، تقول أزف الرحيل إذا دنا[1].

وكل هذه الأسماء التي ذكرها الشيخ قد وردت في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، منها قوله سبحانه:﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ ﴾ [غافر:32]، وقوله: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ ﴾ [الحاقة:1-3]، وقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ ﴾ [النازعات:34]، وقوله:﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ ﴾ [النجم:57].

والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان ودعائمه التي لا يصح إنكارها، والإيمان به يشمل الإيمان بما يكون بين يدي الساعة من علامات، وما يكون فيها من أهوال وأمور عظام، وما ينتهي إليه الأمر من نعيم أو عذاب ، وقد دل على وجوده ووقوعه العقل والنقل؛ وكما يرى الشيخ طاهر أن إيجاد الله تعالى للإنسان على هذه الأرض، وتمييزه عن الحيوان بقوة العقل وتخصيصه بكثير من النعم التي ليست عند غيره من المخلوقات، كل ذلك يدل أن ثمة دارا أخرى بعد الموت ينبغي للإنسان أن يسعى لتشييدها وإعمارها، وإنكار وجود الحياة الأخروية يفضي إلى نفي الحكمة الإلهية ونسبة العبث لله تعالى، ناهيك عن تفضيل الحيوان على الإنسان، وذلك لما يشوب الإنسان في هذه الحياة الدنيا من الهم والغم والنصب الذي لا يحصل مثله للحيوان [2]، وهذا دليل عقلي استدل به الشيخ طاهر على إثبات اليوم الآخر، وأما إذا رجعنا إلى الدليل النقلي فإننا نجد القرآن العظيم حافلا بالكلام عنه والإشارة إليه، ومن الآيات الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر قوله تعالى:

﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص19، 40، 46، 82، 115، 196، 330، 359.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص40.

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...﴾ [البقرة:177]، وقوله: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء:136].

وقد اتفق أصحاب العقول الراجحة منذ القديم على إثبات اليوم الآخر والقول بالجزاء الأخروي، وإن كانوا قد اختلفوا في كيفيته وفي كثير من تفاصيله، ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الدهريين[1] الذين حكى القرآن مقالتهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤ ﴾ [الجاثية:24]، فأمر المعاد نجده عند قدماء المصريين وفي التراث اليوناني القديم والترات الروماني [2]، وأما الشرائع السماوية فقد اتفقت في أصل إثباته، وإن كان ذكره قليلا في كتبهم نظرا لما أحدثوه من تحريف وتبديل، قال الشوكاني بعد أن ساق جملة من النصوص الواردة في التوراة والإنجيل، والتي جاء فيها إثبات المعاد: "والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع، ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها، ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل: أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل، ولم يسمع عن أحد منهم، أنه أنكر ذلك قط"[3].

والواقع أنه ظهر في الأزمنة المتأخرة من ينكر أمر المعاد بل ويجحد الربوبية والألوهية، وقد عاصر الشيخ طاهر بعضا من هؤلاء وكانت له معهم حوارات ومناقشات، فخبر حالهم وتقصى أخبارهم، ووقف على اضطرابهم في أمر المعاد فرآهم أنكد الناس عيشا، كلما لجئوا إلى شبهة وجدوها مضمحلة.

وقد بين الشيخ طاهر أمر المعاد، فقال مبينا حكمة الخلق ومآل الخلائق أن العباد لم يُخلقوا عبثا بل خلقوا لحكمة جليلة، ولما كان من وظائف الأنبياء إرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم في

---

[1] الدهرية: فرقة تنفي الربوبية، وتجحد الصانع، وتزعم أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع، وهم ينكرون النبوة والبعث والحساب، ويردون كل شيء إلى فعل الأفلاك. عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق، ص225.

[2] يسر مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، [قطر: الدوحة، ط 1، دار الثقافة، 1412هـ-1992م]، ص9. وعبد القادر محمود، رحلة إلى الدر الآخرة، [مصر: القاهرة، ط1، مركز الكتاب للنشر، 1417هـ-1997م]، ص7-8.

[3] محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، [لبنان: بيروت، ط 1، دار الكتب العلمية، 1404هـ-1984م]، ص14.

الدنيا والآخرة وجب عليهم تعريف العباد بمقصد خلقهم وغاية وجودهم، وأنهم مبعوثون بعد الممات مجزيون بأعمالهم.

وللإيمان باليوم الآخر أثر كبير في توجيه سلوك المؤمنين وتهذيب طباعهم، كما أنه سبيل إلى حلول الأمن في المجتمع، فهو عادة ما يدفع المؤمنين إلى الكف عن الظلم والتعدي على حقوق الغير خوفا من العقوبة الأخروية إلى جانب العقوبة الدنيوية، بخلاف المنكرين لليوم الآخر فإنهم لا يخشون غير العقوبة الدنيوية التي تكون من قبل الحاكم الدنيوي؛ فإذا أمكنهم الخلاص منها بوجه من الوجوه برز ما كمن في نفوسهم من العدوان.

ويرى الشيخ طاهر أن معنى الإيمان باليوم الآخر هو: التصديق بمجيئه ووقوع جميع ما ورد في القرآن والحديث في شأنه. وأما عن كيفية الاعتقاد في هذا اليوم وما يتعلق به فيكون بالإيمان أولا بسؤال القبر، ثم بنعيمه أو عذابه، ثم بحشر الأجساد، وأن الخلق كما بدأ يعاد، ثم بالحساب والميزان، ثم بإعطاء الكتاب إما باليمين وإما بالشمال، ثم بالصراط، ثم بدخول المؤمنين الجنة، ودخول الكافرين النار[1].

فالإيمان باليوم الآخر هو إيمان تفصيلي بكل ما سبق ذكره بدءا من سؤال القبر وما يليه من نعيم أو عذاب، وقد ابتدأ الشيخ به لكونه أول منزل من منازل الآخرة، فالعبد إذا انقطع عن الدنيا قامت قيامته، يليه جمع الناس في أرض المحشر للحساب ووزن أعمالهم؛ فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشمال، ثم يعبرون الصراط، لينتهي مستقر المؤمنين في الجنة ومستقر الكافرين في النار.

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه

الفرع الأول: إثبات عذاب القبر ونعيمه

القبر هو البرزخ وهو الحاجز بين الشيئين، فالقبر حاجز بين الدنيا والآخرة، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ، وهو ملحد من لحد للقبر إذا شق في جانبه، يقال ألحد، وهو الرمس والجدث والجمع أرماس وأجداث، والقبر الرجم، والرجم الحجارة، وسمي القبر بذلك لما يجمع عليه من الأحجار، وهو الضريح والجمع ضرائح[2].

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص 235-236. طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء ، ص86-87. طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص80.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص11، 13، 22، 24، 35، 36، 145، 279، 337، 351، 359.

القبر أول منزلة من منازل الآخرة، وأول موقف يقفه العبد بعد موته، إذ " الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار"[1].

وعذاب القبر قد أثبته السلف وأنكره طوائف من فرق المسلمين كالمعتزلة والخوارج [2]، والشيخ طاهر يثبت حياة البرزخ وما يتعلق بها ابتداءا من سؤال الملكين إلى عذاب القبر ونعيمه.

يبدأ الشيخ طاهر أولا في إثبات ما يكون في القبر من سؤال الملكين للعبد إذا وضع في قبره فيقول أن الميت إذا دفن ترجع روحه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطاب ويرد الجواب على الملكين اللذين يسألانه عن ربه ونبيه وعن دينه الذي كان عليه، وعن الفرائض التي كان أمره الله بأدائها.

وعن مصير أهل القبور بعد سؤال الملكين يذكر الشيخ أن ذلك راجع إلى تمكن المقبور من الإجابة عن سؤال الملكين من عدمه، ويوضح أن التوفيق إلى الإجابة مقترن بصلاحه؛ فإن كان صالحا أجاب عن السؤال أحسن جواب؛ فيُفتح له باب من أبواب الجنة ويتقلب في النعيم، وإن كان كافرا أو منافقا عجز عن الجواب؛ فيُفتح له باب من أبواب جهنم ويُعذب حينئذ أشد العذاب [3].

ويطرح الشيخ مسألتين تتعلقان بالقبر ويجيب عنهما:

الأولى: إذا أكل السبع إنسانا وصار في بطنه أو وقع في البحر فأكلته الأسماك، فهل يسأل أو يعذب أو ينعم؟

ويجيب عن هذه المسألة بأنه لا فرق بين من دفن في القبر أو صار في بطن السبع أو قعر البحر؛ فكل واحد من هؤلاء يسأل ثم يعذب أو ينعم[4].

الثانية: إذا كان الميت تعاد روحه، ويسأل ثم يعذب أو ينعم، فلم لا يرى الناس شيئا من ذلك؟

---

[1] محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة : الصادق بن محمد، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة دار المنهاج، 1425هـ]، ج1، ص111، 112.

[2] الخوارج فرقة ظهرت قديما، اختلف فيما بينها وبلغت فرقها عشرين فرقة، اجتمعت على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بالتحكيم، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. البغدادي، الفرق بين الفرق، ج 1، ص55. وانظر إنكار الخوارج المعتزلة عذاب القبر، الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج2، ص318.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص80-81.

[4] يقول ابن أبي العز: "واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر – وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور". ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص396.

ويجيب بأن هذا من باب اختبار الله تعالى لإيمان عباده بالغيب؛ إذ لو رأى الناس ذلك لآمنوا كلهم ولم يصر فرق بين الناس، ولم يتميز الخبيث من الطيب والرديء من الجيد.

وبعد إثبات الشيخ طاهر لسؤال القبر وعذابه ونعيمه وعدم إمكان مشاهدة الناس له، نجده يضرب مثالا لتقريب هذه المسألة إلى الذهن بالنائم الذي يرى في منامه أشياء يُسر بها ويتنعم، أو أشياء يحزن بها ويتألم، والذي يكون قاعدا لجنبه مشاهدا له لا يعلم بحاله ولا يحس بشيء من ذلك، وكذلك الميت لا أحد من الأحياء يعلم بحاله مع كل ما يصيبه [1]، وهذا الذي ذكره الشيخ طاهر موافق لما قاله ابن تيمية؛ حيث يرى هو الآخر أن النائم يتنعم ويتألم في منامه والذي إلى جنبه لا يحس به؛ فإذا كان الحال كذلك فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يسمع قرع نعالهم ، وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك ، ولا يستوي حال النائم والميت؛ فالنعيم والعذاب الذي يصيب الميت أكمل وأبلغ وأتم ، وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك لا غير[2].

الفرع الثاني: الروح

إن الكلام عن الموت الذي يكون بمفارقة الروح للجسد، وما يكون بعده من سؤال القبر ونعيمه وعذابه يجرنا إلى بحث مسألة مهمة تتعلق بهذا الذي قدمنا، وهي مصير الروح المتعلق بالجسد، وبتتبع كلام الشيخ طاهر عن الروح وما يتعلق به، نجد أنه تناول هذا الموضوع في النقاط التالية:

أولا: صعوبة إدراك حقيقة الروح

يرى الشيخ طاهر أن إدراك كنه الروح مما تعجز عنه العقول، ويذكر أن هذا الذي عليه المحققون، وقد نقل اتفاقهم على كون الروح عبارة عن جسم مخالف لهذا الجسم المحسوس به تكون الحركة والإحساس؛ غير أنه يؤكد دفعا للإيهام الذي قد يحصل من هذه العبارة أن هذا القول غير معرف لحقيقة الروح، وأن من ظن ذلك فهو كمن ظن أنه عرف حقيقة الإنسان لمعرفته أنه حيوان ناطق، أو حقيقة الأسد لمعرفته أنه حيوان مفترس؛ فالشيخ يرى استحالة إدراك حقيقة الأشياء فهي أبعد من نجوم السماء، ولذلك نجده يمنع الخوض في حقيقة الروح والبحث في ماهيته ولا يجيز ذلك

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: الصديق، ص81- 82.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج4، ص275.

لقصور العقل عن إدراك حقائق الأشياء، ويرى أن البحث عنه لا يوصل إلى نتيجة بل هو إضاعة وقت، ويلفت إلى الحكمة من إخفاء حقيقة الروح وهي: قطع الأمل عن إدراك حقيقة الخالق الذي ليس له شبيه، فإن كان الإنسان لم يقف على حقيقة الروح التي بين جنبيه فكيف بخالقه [1] ؟

فالروح إذا أمر إلهي استاثر الله تعالى بعلمه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:85]، والوقوف على حقيقته وإدراك كنهه غير مقدور عليه؛ إذ هو ليس في طوق العقل البشري، وهو ما يؤكده الكثير من العلماء منهم النسفي[2] الذي يقول: "وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه ، والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز "[3]، ويظهر بهذا تطابق عبارتي الشيخ طاهر والنسفي في بيان الحكمة من عدم إدراك حقيقة الروح.

ثانيا: إطلاقات الروح والنفس والفرق بينها

يذكر الشيخ طاهر أن الروح في القرآن تطلق على عدة معان، منها:

- جبريل عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:193].
- الوحي؛ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾ [الشورى:52].
- عيسى عليه السلام[4].
- القوة والثبات: قال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ ﴾ [المجادلة:.22]

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص209. وطاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، ص101.

[2] هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، توفي سنة (710 هـ- 1310 م)، له من المصنفات: مدارك التنزيل في تفسير القرآن، وكنز الدقائق في الفقه، وغيرها. الزركلي، الأعلام، 4، ص67.

[3] عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكلم الطيب، 1419 هـ- 1998م]، ج2، ص274.

[4] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ ﴾ [النساء:171].

- القوى التي في البدن.

وأما النفس فتطلق على:

- ذات الشيء، تقول: جاء زيد نفسه.
- الدم؛ ومنه: كل شيء ليست له نفس سائلة لا ينجس الماء إذا سقط فيه.
- الروح وهو الأكثر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ ﴾ [الفجر:27-28].

وفي الفرق بين الروح والنفس يرى الشيخ طاهر أنهما في هذا الوضع الأخير الذي سبق مترادفان؛ غير أن هناك فرقا في الاستعمال في كثير من المواضع منها:

- أن النفس يكثر إطلاقها في مقام المدح أو الذم؛ يقال: نفس تقية ونفس فاجرة، ويندر أن يذكر هنا الروح.
- أن النفس قد يراد بها آثارها من الحس والحركة والتمييز، ومن هنا قالوا للإنسان نفسان نفس تقبض حين النوم وهي المذكورة ههنا ونفس تقبض حين الموت وهي الروح، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢ ﴾ [الزمر:42]، ومعنى توفي الأنفس التي لم تمت رفع الحس والحركة عنها في المنام ليحصل لها السبات والراحة[1].

ثالثا: تعريف الروح

اختلف العلماء في تعريف الروح وافترقوا في ذلك إلى مذاهب متعددة، وقد ذكر الشيخ طاهر عددا من التعريفات في مواضع متفرقة، أجملها في ما يلي:

التعريف الأول: "الروح جسم لطيف نوراني، متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف"[2].

التعريف الثاني: "الروح مجرد ليس بجسم ولا جسماني، متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف"[3].

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص209.

[2] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص45.

التعريف الثالث :"جسم مخالف لهذا الجسم المحسوس به تكون الحركة والإحساس"[1].

التعريف الرابع :"الروح جوهر مجرد عن المادة قائم بنفسه غير متحيز، وهو غير داخل في البدن ولا خارج عنه؛ وإنما يتعلق به تعلق التدبير والتصرف"[2].

هذه أربع تعريفات أوردها الشيخ طاهر، فأما الأول والثاني فنقلهما في مقدمة كتابه الجوهرة في قواعد العقائد، في خضم حديثه عن التأمل والنظر العقلي لإثبات الخالق، وبالتحديد حال وصول العقل إلى التفكر في الروح، حيث يشير إلى سبب الاختلاف في تعريف الروح بأنها جسم أو مجرد وهو ميل المعرِّف إما إلى عالم الأجسام أو ميله عنه، غير أنه على الوجهين يظهر له أن النفس ليست تابعة للمزاج، ولا متقومة بالأخلاط، وأنها مستقلة بنفسها عن البدن، وإن اتصلت به، وأن فساده لا يوجب فسادها، وكما هو واضح فإن الشيخ لم يرجح أحد التعريفين على الآخر.

وأما التعريف الثالث فقد ذكر أنه اتفاق بين المحققين، فمع كونهم يرون أن الروح أمر إلهي تعجز العقول عن إدراك كنهه؛ غير أنهم اتفقوا على أنه جسم مخالف لهذا الجسم المحسوس به تكون الحركة والإحساس[3].

وأما التعريف الرابع فقد نسبه إلى الغزالي وغيره [4]، والظاهر أن هذه التعريفات الأربعة وإن اختلفت ألفاظها فمآلها إلى تعريفين: الأول: أن الروح جسم، والثاني: أنها جوهر مجرد، والروح في كلا التعريفين تتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، إلا أنه اعتُرِض على تعريف الغزالي الأخير باعتراضات كثيرة أوردها الشيخ طاهر مع بعض الإجابات عنها، أذكرها فيما يأتي على سبيل الاختصار.

الاعتراض الأول: أن هذا خوض في أمر الروح وهو منهي عنه.

الجواب: لم يرد نهي في ذلك، وأن قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:85]؛ إنما تشعر بكون الروح سرا من الأسرار التي لا تصاب بعناكب الأفكار، وليس فيها دلالة على أن الروح لا تعرف بوجه من الوجوه،

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص209.

[2] المصدر نفسه، ص210.

[3] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص45. وطاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص209.

[4] نسب الشيخ طاهر هذا التعريف بالإضافة إلى الغزالي إلى: الراغب والحليمي، وجماعة من أهل الكشف، وقال هو مذهب الحكماء الربانيين. المصدر نفسه، ص210.

والقائلون بالتجرد لا يقولون إنهم وقفوا على كنهها وإنما يقولون: إنهم لاح لهم شعاع من سنا وجهها.

الاعتراض الثاني: أنهم لم يأتوا على ما قالوا ببرهان.

الجواب: أن المعترضين أيضا لم يأتوا على نفي قولهم ببرهان، فكان ينبغي أن تترك المسألة في فضاء دائرة الإمكان.

الاعتراض الثالث: أن التجرد صفة عالية المقدار فكيف تثبت لجميع الأرواح حتى أرواح الأشرار.

الجواب: أن إثبات الحسن بوجه لا ينافي إثبات القبح بوجه آخر، فكم من شرير يثبت له حسن الصورة ولا يعد ذلك منافيا لما يثبت من قبح السيرة.

الاعتراض الرابع: أن في هذا القول نوع من التشبيه.

الجواب: أن اتفاق المتباينات في بعض الأوصاف والأسماء لا يقتضي تشابهها، ألا ترى أن الله تعالى يوصف بأنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم وقد أجرى هذه الصفات على المحدثات حقيقة، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا من تشبيه الخلق بالخالق.

الاعتراض الخامس: أن القول بتجرد الأرواح فيه موافقة للفلاسفة.

الجواب: أن موافقة فيلسوف فيما لا يصادم نصا لا يضر، يقول الشيخ:"فإن قالوا بأنا أنكرنا عليهم ذلك لكون الفلاسفة لا يقولون بحشر الأجسام؛ يقال لهم: إن الفلاسفة لم يبنوا إنكار حشر الأجسام على كون الأرواح مجردة بل على أمر آخر، فماذا يضر مجرد إثبات التجرد مع القول بحشر الأجسام وإثبات النعيم والعذاب الروحاني والجسماني" [1]

رابعا: **بقاء الروح**

بعد أن ذكر الشيخ طاهر بعض تعريفات الروح وقرر استقلالها عن البدن وأن فساده لا يوجب فسادها، نجده يتساءل عن سبب تعلقها به رغم استغنائها عنه، ثم عن سبب فراقها له بعد تعلقها به؟ ويجيب عن هذه الأسئلة بأن كمال النفس إنما يكمن في تعلقها بالبدن؛ فهو السبيل لأن تعلم كثيرا مما لم تعلم من قبل، وتعمل أعمالا حسنة تزيدها نبلا على نبل، وأما فراقها للبدن بعد اعتياده فذلك لغاية وهي أن تتجرد مدة عما ألفته من هذا الهيكل المحسوس لكونه من المواد السريعة

[1] أنظر هذا الجواب وما سبقه من اعتراضات وأجوبة: طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص210-211.

الانحلال، ولئلا يعوقها الشغف به عن غاية الكمال؛ فتعلق النفس بالبدن وحاجتها إليه كحاجة الولد إلى السلى والسرة لصيانته، ثم إذا ولد يستغنى عنهما.

وبالجملة فالشيخ طاهر يقرر خلود الروح وأن بقائها واجب لغيرها لا لذاتها لتعلق إرادة الله تعالى بذلك.

خامسا: حدوث الروح

ينقل الشيخ الاتفاق على أن الروح حادثة، ويذكر اعتراضا على ذلك وهو أن الروح من أمر الله فكيف يكون أمر الله محدثا وقد قال في آدم عليه السلام: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر:29]، وقال في عيسى عليه السلام ﴿ ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:171]، ويجيب عن ذلك بأن الإضافة هنا كإضافة الملائكة والرسل إليه لا كإضافة العلم، فهي من باب إضافة المربوب إلى ربه وذلك لا يقتضي القدم [1]، ويبين لنا ابن القيم هذا الإتفاق والإجماع على حدوث الروح فيقول: "أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مُدَبَّرَة ، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل... وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وه م القرون المفضلة على ذلك، من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة..."[2]

المطلب الثاني: أشراط الساعة

قبل الخوض في ثنايا هذا المطلب والوقوف على آراء الشيخ طاهر في أشراط الساعة، يحسن بنا أولا أن نقف على مدلولها.

الأشراط: العلامات، واحدها شَرَطٌ، بِالتَّحْرِيكِ: الْعَلَامَةُ. وبه سميت شرط السلطان، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، وأَشْراطُ الساعةِ: أَعْلامُها، وَهُوَ مِنْهُ. وَفِي التنزيل العزيز

[1] طاهر الجزائري، الجوهرة في قواعد العقائد، ص45-46. طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص211.

[2] محمد بن أبي بكر الزرعي، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، دراسة وتحقيق: بسام العموش، [السعودية: الرياض، ط1، دار بن تيمية، 1406-1986]، ج1، ص501.

﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ ﴾ [محمد:18]، وأَشْرَط فُلَانٌ نفسَه لِكَذَا وَكَذَا: أَعْلَمها لَهُ وأَعَدَّها؛ وأَشْراطُ الشَّيْءِ: أَوائلُه؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمِنْهُ أَشراطُ الساعةِ.

والساعة في الأصل تطلق بمعنيين:

الاول: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال جلست عندك ساعة من النهار: أي وقتا قليلا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة[1].

يتلخص مما سبق أن الأشراط بمعنى: العلامات وأوائل الشيء ، والساعة إنما المقصود بها في هذا الموضع يوم القيامة وهو المعنى الاصطلاحي، وعليه فإن المقصود بأشراط الساعة: العلامات والأمارات التي تكون بين يدي الساعة والتي تسبق يوم القيامة وتدل على قرب حدوثه، والشيخ طاهر لم يخرج عن هذا المعنى حيث يؤكده بقوله:"أشراط الساعة العلامات الدالة على قرب قيامها جدا"[2].

وأشراط الساعة منها أشراط صغرى وأخرى كبرى ، غير أن الشيخ طاهر قد اكتفى بذكر الأشراط الكبرى دون الصغرى، وهذه الأشراط التي ذكرها هي:

أولا: الدجال

مشتق من دجل، ودجل الشيء غطاه، قال بن سيده: المسيح الدجال رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأمة، سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل، وقيل: لأنه يغطي الأرض بجموعه، وقيل لأنه يغطي على الناس بكفره، وقيل لأنه يدعي الربوبية، سمي بذلك لكذبه، وكل هذه المعاني متقاربة.

وقيل الدجال المموه. يقال: دجلت السيف موهته وطليته بماء الذهب. وجمعه: دجالون، ودجاجلة. وقيل: سمي دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه وتزيينه الباطل[3].

---

[1] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص422، 460. وابن منظور، لسان العرب، ج7، ص330.

[2] طاهر الجزائري ، الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية ، شرح وتحقيق: عبد العزيز السيروان، [سوريا: دمشق، ط 2، مكتبة الأنوار، 1412هـ-1991م]، ص90.

[3] ابن منظور، المرجع السابق، ج11، ص236-237.

وأما الشيخ طاهر فقد عرف الدجال بأنه "رجل أعور يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم، ويدعي الألوهية ويظهر بعض العجائب ويتبعه من كان ضعيف الإيمان واليقين" [1]، وهذا الذي قرره الشيخ طاهر قد دلت عليه أحاديث كثيرة؛ منها حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونارا، فأما الذي يراه الناس ماء، فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم، فليقع في الذي يراه نارا، فإنه ماء عذب طيب» [2].

ثانيا: ظهور الدابة

خروج الدابة وظهورها من أشراط الساعة الكبرى، وخروجها يكون بعد إغلاق باب التوبة، أي بعد طلوع الشمس من مغربها، وهي تخالف ماعهده البشر من الدواب إذ تخاطب الناس وتكلمهم، وتميز بين المؤمن والكافر [3]، وهو ما أثبته الشيخ بقوله وهو يعدد أشراط الساعة؛ حيث ذكر أن منها ظهور دابة من الأرض تعلم الناس في وجوههم؛ فالمؤمن تجعل له علامة يعرف بها، وكذلك الكافر تجعل له علامة يعرف بها، كما أن هذه الدابة تكلم الناس بأحوالهم، وهذا الذي قرره الشيخ قد دل عليه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:82].

ثالثا: طلوع الشمس من المغرب

وهذه علامة أخرى من علامات الساعات الكبرى التي أثبتها الشيخ طاهر، وقرر أنه بعد ظهورها ينسد باب التوبة فلا تقبل من أحد [4]، وهو مادل عليه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ

---

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص90.

[2] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3450، ج2، ص491. وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: 2935، ج4، ص2250.

[3] مصطفى الشلبي، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، [السعودية: جده، ط1، مكتبة السوادي للتوزيع، 1413هـ- 1992م]، ص305.

[4] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص91.

رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام:158]. قال البغوي[1]: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، يعني: طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق[2]، وهذا الذي ذكره البغوي والشيخ طاهر من انسداد باب التوبة عند طلوع الشمس من مغربها، هو عينه ما ذهب إليه كثير من المفسرين، منهم ابن كثير الذي يقول عند تفسير الآية السابقة أن الكافر إذا آمن في ذلك اليوم لم يقبل إيمانه، وكذلك المؤمن المذنب الذي أحدث توبة في ذلك اليوم لم تقبل منه، وقد جاء ذكر هذه العلامة في كثير من الأحاديث النبوية؛ منها حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ[3] ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام:158]".

رابعا: <u>خروج يأجوج ومأجوج</u>

هما قبيلتان عرفتا بالفساد في الأرض، حبسهما الله تعالى كفا لشرهما وجعل خروجهما علامة كبرى من علامات الساعة، وقد اختلف في أصل اشتقاقهما حيث قيل أن "يأجوج ومأجوج اسمان مشتقان من أجيج النار وهو ضوئها وحرارتها، وقد أطلق الاسمان على القبيلتين المعنيتين، ليعبرا عن الكثرة والشدة.

---

[1] هو الحسين بن مسعود بن محمد، البغوي الشافعي، عالم في التفسير و الفقه، توفي بمرو الرُّوذ في خراسان سنة (516هـ)، من مصنفاته: شرح السنّة، ومعالم التنزيل، وغيرها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص439-443.

[2] البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، [السعودية: الرياض، ط1، دار طيبة، 1409هـ-1989م]،ج3، ص207. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص376.

[3] أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: 158]، رقم: 4636، ج3، ص229، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم:157، ج1، ص137.

وقيل إن هذا الاشتقاق من الأجاج وهو ما يعبر عن الماء عند شدة ملوحته، كما قيل أنهما اسمان أعجميان غير مشتقين، وقد لا يهمز الاسمان"[1].

وقد ثبت خروجهم في كثير من نصوص القرآن والسنة، فأما القرآن فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ ﴾ [الأنبياء:96]، وأما السنة فأحاديث كثيرة، منها حديث زينب بنت جحش قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها، قالت فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[2].

وقد تكلم الشيخ طاهر عن يأجوج ومأجوج، وعد خروجهم في آخر الزمان من أشراط الساعة، فقال في وصف حالهم وما يكون من أمرهم: أنهم قوم عرفوا بالفساد في الأرض في الزمن الغابر، حبسهم ذو القرنين بعد أن شكا منهم جيرانهم إليه، وكان حبسه لهم عن طريق بناء سد عال من حديد في مضيق بين جبلين كان هو المنفذ لهم، وأفرغ عليه الرصاص المذاب فصار سدا محكما أملس لا يتيسر نقبه ولا الصعود عليه؛ غير أن هذا السد سيفتح بسبب من الأسباب إذا حان أوان خروجهم فينتشرون في الأرض، ويكثر فسادهم في طولها والعرض، فيلجأ إلى مولاهم في رفع شرهم وضررهم فيهلكهم ويقضي بمحو أثرهم[3].

خامسا: نزول عيسى عليه السلام

فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة نزوله؛ بل قد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم تواترا لا خلاف فيه الإخبار بنزوله عليه السلام، وهو ما اتفق عليه الإجماع، فينزل حاكما بالشريعة المحمدية؛ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال، وبعدها يموت فيصلي عليه المسلمون

---

[1] حسن فليفل، حقيقة أغرب من الخيال يأجوج ومأجوج، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة ابن سينا، د.ت]، ص35.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل للعرب من شر قد اقترب» ، رقم:7059، ج4، ص314. وأخرجه مسلم، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم: 2880، ج4، ص2208.

[3] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص91.

ويدفنونه[1]، ومما ورد في شأنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والله، لينزلن ابن مريم حكما عادلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[2] فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، إلى المال فلا يقبله أحد»[3]

وأما عن وقت نزوله فيقول الشيخ طاهر أن ذلك يكون عند اشتداد الفتن وتوالي المحن على المسلمين؛ فعندئذ يتولى أمور هذه الأمة، ويكشف الله تعالى به الضر، فيقتل الدجال، ويخلص الناس من الأهواء والأهوال[4].

المطلب الثالث: مشاهد يوم القيامة

الحشـــــر:

يرى الشيخ طاهر أن الإيمان بحشر الأجساد، وإعادة الخلق كما بدأ يكون باعتقاد "أن الناس بعد موتهم جميعا ينشئهم الله نشأة أخرى تشاكل النشأة الأولى، فيقومون من قبورهم ويحشرون إلى محل واحد يسمى الموقف"[5]، وحقيقة البعث وقيام الناس من قبورهم ثم حشرهم إلى ربهم ثابتة في نصوص الوحي، حيث جاء التذكير بها في كتاب الله تعالى في غير موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:38]، وأما الموقف الذي أشار إليه الشيخ، فهو أرض المحشر التي يحشر عليها العباد يوم القيامة، وهي أرض غير هذه الأرض، قال الله تعالى:

---

[1] عبدالله الغماري، إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان، قدم له: محمد زاهد الكوثري، [مصر، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006م]، ص22. وجلال الدين السيوطي، نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، تحقيق: محمد عطا، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الكتب العلمية، د.ت]، ص22.

[2] قال الشيخ طاهر: "القلوص من الإبل الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء ، والجمع قلص بضمتين وقلائص ، وجمع القلص قلاص، وفي حديث نزول عيسى عليه السلام وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، قال الحميدي في تفسير غريب الصحيحين قيل لعله عنى ارتفاع الجهاد بظهور الإسلام وإيمان أهل الكتاب ، وقال ابن الأثير أراد أنه لا يخرج ساع إلى زكاة لقلة حاجة الناس إلى المال واستغنائهم عنه، أقول: ويمكن تعليل ذلك بأمر آخر لا يخفى على الواقف على مخترعات هذا العصر وهذا الحديث قد خرجه مسلم في صحيحه". طاهر الجزائري، شرح خطب ابن نباتة، ص208.

[3] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، رقم: 3448، ج2، ص490. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم 155، ج1، ص136.

[4] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص91.

[5] المصدر نفسه، ص79.

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [إبراهيم:48]، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم صفة هذه الأرض فقال: " «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ » [1] قال سهل أو غيره: «ليس فيها معلم[2] لأحد»"[3]

الحســـاب:

جاء في القرآن وصف مشهد الحساب والجزاء يوم القيامة في كثير من المواضع؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٩ ﴾ [الزمر:69]، وقوله: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ۝٤٨ ﴾ [الكهف:48].

يبين الشيخ طاهر كيفية الإيمان بالحساب فيقول: "أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يجمع الناس إلى المحشر يحاسب كل واحد ويقرره على ما فعل من خير أو شر، وتشهد على الجاحدين جوارحهم وتظهر للكل فضائحهم، وتقوم عليهم الحجة ولا يبقى لهم في العذر من حجة" [4]، ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:7-8].

الميـزان:

يقرر الشيخ أن الإيمان بالميزان وإعطاء الكتب يكون بأن نعتقد أن الله عز وجل إذا فرغ من حساب خلقه وتقريرهم على أفعالهم، توزن أعمالهم لينكشف لكل واحد مقدار عمله؛ فمن رجح

---

[1] قال ابن الأثير: العفرة: بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفر الأرض، وهو وجهها، ومنه الحديث «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء»، وأما قوله: "كقرصة النقى" يعني الخبز الحوارى. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص261/ ج5، ص112.

[2] المعلم: ما جعل علامة للطرق والحدود، وقيل: المعلم: الأثر، والعلم: المنار والجبل. المصدر نفسه، ج3، ص292.

[3] رواه البخاري ، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ، رقم: 6521، ج4، ص195. وأخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم:2790، ج4، ص2150.

[4] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص79-80.

خيره على شره أعطي كتابه بيمينه وفاز فوزا عظيما، ومن رجح شره على خيره أعطي كتابه بشماله وخسر خسرانا مبينا، وهذا الذي قرره الشيخ هو الثابت في نصوص الوحي، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: 102-103].

الصـراط:

يبين الشيخ طاهر وصف الصراط وحال الناس في المرور عليه، فيقول أنه عبارة عن جسر ممدود على ظهر جهنم ليمر الناس عليه، وتختلف حالهم في تجاوزه بحسب إيمانهم؛ فأما المؤمنون الطائعون فتثبت عليه أقدامهم ويمرون إلى الجنة؛ فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كالجواد ومنهم من يكون بطيء السير عليه، وأما الكافرون والعصاة من المؤمنين فتزل عنه أقدامهم ويقعون في النار[1].

وحقيقة الصراط ثابتة في نصوص الشرع وقد وردت كثير من الأحاديث النبوية في وصفه وبيان حال الناس في المرور عليه يوم القيامة؛ من ذلك ما جاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "... يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم، سلم ، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم"[2].

الشفاعـة:

يثبت الشيخ طاهر الشفاعة يوم القيامة، وأنها تكون للأنبياء والأولياء والعلماء العاملين والشهداء، حيث يشفع هؤلاء في بعض المؤمنين العاصين، وأما شفاعتهم في أحد من الكفار فإنها غير ممكنة؛ فالله عز وجل لا يأذن بها لأن كلمة العذاب قد حقت عليهم؛ ولا أحد من الأنبياء

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص80.

[2] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: 183، ج1، ص167.

يستطيع مخاطبة الله تعالى في أحد من الكفار فضلا عن غيرهم، قال جل شأنه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:255]، وقال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه:109].

الكــوثـــر:

يبين الشيخ صفة الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والذي جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر:1]، بأنه نهر في الجنة، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب من مائه شربة لا يعطش بعدها أبدا [1].

وهذه الأوصاف التي ذكرها الشيخ وردت في العديد من الأحاديث النبوية منها حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا» [2]

الجنة والنار:

بعد الحساب ووزن الأعمال يجازي الله تعالى كل امرئ بما كسب، فإما جنة وإما نار ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:6-8]. يقول الشيخ طاهر:"يصدر الناس أشتاتا، أي ينصرفون من موقف الحساب متفرقين؛ فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار، والذرة النملة الصغيرة والمثقال الزنة والمقدار"[3].

فأما الجنة فيصفها الشيخ بأنها: دار النعيم المقيم، دار ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، دار فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهي تشتمل على النعيمين الروحاني والجسماني لتلذذ الجسم كالأكل والشرب، يدخلها المؤمن الطائع بعد الحساب خالدا أبدا في نعيمها

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص81.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: 6579، ج8، ص119.

[3] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص104-105.

المستطاب، وكذلك يدخلها المؤمن العاصي بعد الحساب إن غفر الله له، فيدخلها من أول الأمر خالدا فيها أبدا، إذ نعيمها دائم لا ينقطع أبدا، والجنة موجودة الآن.

ولم يتعرض الشيخ في كتاباته العقدية لذكر نعيم الجنة وما فيها من خير عميم وفضل عظيم؛ إلا ما ذكر من رؤية الله تعالى بالبصر، وهذه الرؤية هي من أعلى درجات النعيم الذي خُصّ به المؤمنون دون الكفار؛ حيث أثبت رؤية المؤمنين له سبحانه ونفاها عن الكفار، وقال أن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة بالبصر ممكنة عقلا، واقعة في الجنة للمؤمنين نقلا؛ حيث يرونه بالأبصار بغير كيف، ويحجب عنه الكافرون زيادة في الحسرة والندامة، ويستدل الشيخ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:22-23].

كما ذكر الشيخ كذلك من نعيم الجنة: الرحيق المختوم، وهو نوع من الشراب الذي خص به أهل الجنة؛ قال الله تعالى ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ ﴾ [المطففين:25-26]، يقول الشيخ طاهر أن الرحيق هو الخمر الذي لا يغتال العقل ولا يلذع القلب بالحريق، الذي ختمت أوانيه بالمسك بدل الطين.

وأما النار: فيصفها الشيخ بأنها: دار العذاب المقيم ودار البوار، والبوار: الهلاك، ويذكر من أسمائها: لظى، والحطمة لأنها تحطم ما تلقى ، فالنار دار فيها جميع أنواع الآلام التي لا تخطر على الأفهام، يدخلها الكافر أو المنافق بعد الحساب خالدا فيها أبدا لا يفتر عنه الألم والعذاب، كما يدخلها المؤمن العاصي بعد الحساب إن لم يغفر الله له، فيعذب فيها مدة على مقدار ذنبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة خالدا فيها أبدا، وعذابها دائم لا ينقطع وهي موجودة الآن [1].

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان ، ص81-82، 89، 86، وطاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص343، 360، 336.

المبحث الثاني: آراؤه العقدية في الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان، وأحد الأركان الستة التي ورد ذكرها في حديث جبريل، وفيه أن رسول الله لما سئل عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، وقد دل على الإيمان به القرآن والسنة.

فأما القرآن فمنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر:49]، وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب:38]، وقوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:21]، وقوله: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد:8]، وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:11].

وأما السنة فأحاديث كثيرة نذكر منها:

- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"[1]
- حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة: "اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي، أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة، لا يعجل شيئا منها قبل حله، ولا يؤخر منها شيئا قبل حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرا لك"[2].

ولبيان موضوع القضاء والقدر عند الشيخ طاهر قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب تعرضت فيها لأهم المسائل التي أشار إليها الشيخ في هذا الباب كتعريف القضاء والقدر والفرق بينهما، والرضا به والاحتجاج به على المعاصي، وغير ذلك.

[1] أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، رقم:2655، ج4، ص2045.

[2] أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لاتزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، رقم:2663، ج4، ص2051.

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر

الفرع الأول: تعريف القضاء والقدر لغة

أولا: القضاء في اللغة

الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ ، فكلٌّ مَا أُحْكِم عَمَلُهُ أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فَقَدْ قُضِيَ ، والقَضاءُ: الحكم، وأصله قَضايٌ لأنه من قضيت، وقضى أي حَكَمَ، وقد يكون بمعنى الفراغ، تقول: قَضَيْتُ حاجتي. وضربه فقَضى عليه، أي قتَلَه، كأنه فرغ منه. وسَمٌّ قاضٍ، أي قاتلٌ. وقَضى نحبَه قَضاءً، أي مات ، وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء. تقول: قَضَيْتُ دَيْني ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ [الحجر:66]، أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك.

يتلخص لنا مما سبق أن القضاء بمعنى إحكام الأمر وإتمامه والفراغ منه، وهو المعنى الذي ترجع إليه سائر المعاني.

ثانيا: القدر في اللغة

(قَدَرَ) الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ. فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ. وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ. وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ. وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا، وَهُوَ الْقَدَرُ أَيْضًا.

قَدَرَ الرزقَ يَقْدِرُهُ [يَقْدُرُهُ]: قَسَمه. والقَدْرُ والقُدْرَةُ والمِقْدارُ: القُوَّةُ، والقَدْرُ: الغِنى واليَسارُ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ لأَنه كُلَّه قُوَّةٌ، وقَدَر القومُ أَمرهم يَقْدِرُونه قَدْراً: دَبَّروه، وقَدَرَ عَلَيْهِ الشيءَ يَقْدِرُه ويَقْدُره قَدْراً وقَدَراً وقَدَّرَه: ضَيَّقه، وقدرت عليه الثواب قَدْراً فانْقَدَرَ، أي جاء على المِقْدارِ[1].

من خلال ما سبق إيراده من أقوال أهل اللغة، نخلص إلى أن القدر في اللغة يطلق على العديد من المعاني منها: مبلغ الشيء ونهايته، والقضاء، والتقدير، والقوة، والغنى، والتدبير، والتضييق.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص99، 62. ا بن منظور، لسان العرب، ج5، ص77. والجوهري، الصحاح، ج6، ص2464/ ج2، ص787.

الفرع الثاني: تعريف القضاء والقدر اصطلاحا

هناك العديد من التعريفات للقضاء والقدر في الاصطلاح نذكر منها:

- القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدًا بعد واحد ، والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[1].
- "أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"[2].
- "هو تقدير الله –تعالى- الأشياء في القدم، وعلمه-سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته-سبحانه- لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها"[3]

وبالرجوع إلى الشيخ طاهر الجزائري نجده يعرف القضاء والقدر بقوله: "التقدير هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك، والقدر هو تعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين، والقضاء فهو عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية عليها من الأزل إلى الأبد"[4]، ويقول في القضاء كذلك أنه قد يراد به أحد معنيين: الأول أن يراد به أمره ومنه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:23]، والثاني: إمضاؤه الحكم المقدر في الأزل ومنه ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ:14].

---

[1] الجرجاني، التعريفات، ص174، 177.

[2] يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، [لبنان: بيروت، ط2، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ]، ج1، ص154.

[3] عبد الرحمن المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، [د.م، ط2، د.د، 1418هـ-1997م]، ص39.

[4] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص301.

وأما عن العلاقة والفرق بين القضاء والقدر فهو يرى أن القدر هو الحكم بوقوع الشيء وجوبا أو إمكانا، والقضاء هو الفصل في الحكم فيه؛ فكل مقضي مقدر وليس كل مقدر مقضي، والمقدر ما لم يكن مقضيا يرجى أن يدفعه الله[1].

فالشيخ طاهر إذا يرى أن القدر سابق ومتقدم على القضاء، والقضاء عنده أخص من القدر؛ إذ القدر ما قدره الله تعالى في الأزل وأما القضاء فهو الفصل في القدر، أو ما يقضيه الله تعالى في خلقه ويمضيه بما قدره عليهم في الأزل.

يقول الراغب الأصفهاني[2] أن القَضَاءُ من الله تعالى أخصّ من القدر ؛ فالقدر هو التّقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وضربوا مثالا لذلك بأن القدر بمنزلة المعدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما لما أراد الفرار من الطّاعون بالشام: "أتفرّ من القضاء؟ قال: أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله "[3]، تنبيها أنّ القدر ما لم يكن قضاء فمرجوّ أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له ويشهد لذلك قوله:﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:71]، وغيرها من الآيات[4].

المطلب الثاني: معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه

إن البحث في باب القضاء والقدر يكتنفه كثير من الغموض، وكثير من مسائله مما تكل الأذهان عن فهمه لما يشوبها من التعقيد والإبهام، ولهذا شاع قولهم أن القدر سر من أسرار الله، وهذا ما يؤكده الشيخ طاهر؛ حيث يذكر عن بعض الجهابذة كما سماه أنه أصابه اليأس من معرفة خمس مسائل وهي: سر القدر، والروح، والزمان، والمكان، والجوهر الفرد، وإخباره عن أناس تخيلوا معرفتها فوجدهم أرباب وهم خيل لهم حصول الفهم، وبسبب شدة غموض هذا المبحث نجد أن الشيخ كان يفضل الإحجام عن الكتابة فيه، ويخبر أن الدافع له على الكتابة أنه رأى كثيرا من مسائله قد

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص221، 301.

[2] هو الحسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني: أديب، من الحكماء العلماء، توفي سنة (502هـ-1108م)، من كتبه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، المفردات في غريب القرآن، وغيرها. الزركلي، الأعلام، ج2، ص255.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم:5729، ج7، ص21، وأخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم:2219، ج4، ص1740.

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص675-676.

انتشرت، فكتب ما عساه يكون كافيا لمن يقنع بالإيجاز، ويكون له به إلى الحقيقة مجاز على حد تعبيره[1].

وقد تتبعت كتابات الشيخ في هذه المسألة فوجدتها نزرا يسيرا، اكتفى فيها بالكليات دون الغوص في كثير من الجزئيات، واعتمد في عرضها التيسير والبعد عن التعقيد والخلافات الكلامية، وله إشارات في بعض المسائل والجزئيات لا يكاد الباحث يجزم فيها برأي للشيخ نظرا لكونها مجملة غير مفصلة، وفيما يأتي بيان ما تطرق إليه من مسائل هذا الباب.

يوضح الشيخ طريقة الإيمان بالقضاء والقدر، ومجمل ما يجب الإيمان به واعتقاده في هذا الباب فيقول أنه يجب على كل إنسان مكلف أن يعتقد ويجزم بأن جميع أفعال العباد – سواء كانت اختيارية مثل القيام والقعود والأكل والشرب، أو اضطرارية مثل الوقوع – وجميع أقوالهم وحركاتهم سواء كانت خيرا أو شرا، هي واقعة بإرادة الله وتقديره لها في الأزل وعلمه بها قبل وقتها؛ غير أن الخير برضاه والشر ليس برضاه، وأن للعبد إرادة جزئية في أفعاله الاختيارية، وأنه يثاب على الخير ويعاقب على الشر، وأنه ليس له عذر في فعله الشر، وأن الله ليس بظلام للعبيد[2].

وأجد من المناسب لهذا المقام أن أذكر بعض المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر، حيث أتى الشيخ طاهر على ذكرها مجملة دون تفصيل، ومع كونها مجملة فهي تعطينا صورة عامة لعقيدة الشيخ وتقريراته في هذا الباب الذي كثر فيه النزاع والخلاف منذ الصدر الأول، كما أنها تعد بمثابة قواعد عامة في باب القضاء والقدر.

يقول الشيخ : " ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها بأسرها خرج من غلبة الأوهام وأسرها:

الأولى: إن كل كائن فهو بمشيئته تعالى وتقديره وخلقه.

الثانية: أنه قدر كل شيء بحسب ما اقتضته الحكمة واستعداد ذلك الشيء.

الثالثة: أنه يحب الخير ولا يحب الشر، وخلق ما خلق من الشر لما تضمنه من الحكم والأسرار، ولكونه تابعا لخير أوفى منه في المقدار، وإذا قيل أما كان يمكن وجود تلك الحكم والأسرار بدون ذلك، قلنا من أين نعلم أن ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة، وقد تقرر

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص203، 302.

[2] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان ص83، 84.

باتفاق العقلاء أن القدرة لا تتعلق إلا بالممكن، وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزا.

الرابعة: أن الخلق إن أريد به المصدر فهو حسن مطلقا، وإن أريد به غيره فمنه حسن ومنه غير حسن.

الخامسة: أن العبد غير مجبور على فعله، وعلم الله تعالى في الأزل بما يأتي به العبد لا يقتضي كونه مجبورا عليه، فإن العلم بما يفعله المختار لا يوجب الاضطرار، ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيه كان الحق تعالى غير مختار في أفعاله لعلمه بها في الأزل، نعم ليس الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها أهل الاعتزال حتى جعلوه في أفعاله كأنه ذو استقلال، ولا في الدرجة التي تخيلها أهل الجبر حتى جعلوه ذا اضطرار في ذلك الاختيار، حتى قال قائلهم[1] :

ما حيلة العبد والأقدار جارية   عليه في كل حين أيها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالمـــاء

والحق التوسط بين المذهبين، وجعل اختيار العبد بين بين، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة، والقائلون بغيره كالسارين في دجنة.

السادسة: أن الحق سبحانه حكم عدل ولا يظلم أحدا، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأنه لم يخلق شيئا سدى، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

السابعة: أنه سبحانه ذو قدرة باهرة لا يعجزه شيء وهو فاعل مختار وفي جميع أفعاله حكم وأسرار.

الثامنة: أنه سبحانه وتعالى لا يناله نفع ولا ضر وعدم محبته للشر ليس على الصورة التي نتصورها في البشر.

التاسعة: أنه سبحانه أوجد ما أوجد على أبدع صورة وأجمل وجه ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ﴾ [الملك:3].

العاشرة: أنه يجب على العبد الرضا بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي، ألا ترى أن المريض إذا سقي علاجا مرا تراه راضيا بفعل الساقي وإن لم يكن راضيا بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها.

---

[1] القائل هو الحلاج . أنظر : الحلاج، الحلاج الأعمال الكاملة، جمع: قاسم محمد عباس، [لبنان: بيروت، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، د.ت]، ص288.

بقيت مسألة وهي أدق جميع المسائل وهي أن يقال إذا كان بعض الأنواع يلزم وجودها شرا وإن كان قليلا فهلا بقيت في عالمها الأول. وقد أجابوا عن ذلك بأن شأن الألوهية يقتضي وجود كل نوع من الأنواع الممكنة لطلبها الإيجاد بلسان الاستعداد، وترك خير كثير لما يتضمنه من شر قليل شر كبير، ألا ترى أن الغيث يعد نعمة كبرى وإن تضمن خراب بعض المنازل، فإن قيل فهل في العالم شر محض، قلت هذا ينكره كثير من المحققين. نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الأفراد لا لمجموع العالم"[1]

مما سبق نستطيع أن نجمل أهم ما تناوله الشيخ طاهر من مسائل في النقاط التالية:

- أن الشيخ يثبت الخلق والمشيئة والقدرة لله تعالى، فقوله أن كل كائن فهو بمشيئته تعالى وتقديره وخلقه يعم أفعال العباد وغيرها، فهي على قوله مخلوقة لله، وقوله هذا خلاف المعتزلة الذين يرون أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وأما المشيئة التي يثبتها الشيخ فهي مشيئة لا تستلزم محبة ولا رضا، فليس كل ما قدره الله وقضاه هو مما يحبه، وإثباتها لله وكونها متعلقة بأفعال العباد فيه مخالفة كذلك للقدرية المتأخرين[2] الذين ينفون تعلق الإرادة بأفعال العباد فرارا من تعلق القديم بالمحدث، وقد دل على الخلق والمشيئة والقدرة الإلهية كثير من الأدلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص:68]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر:44].

- أنه يثبت الإرادة والاختيار للعبد، وفي ذلك مخالفة للجبرية [3] الذين قاموا بنفيها، والإرادة التي يثبتها الشيخ للعبد هي إرادة جزئية تكون في الأفعال الاختيارية لا الاضطرارية؛ حيث يرى أن

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص301-302.

[2] يقول القدرية المتأخرون أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا، واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص57.

[3] الجبرية، تشمل كل من يقول بالجبر في باب القضاء والقدر، ومنهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان، تدعي هذه الفرقة أن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات. المرجع نفسه، ج1، ص97، 98.

كون الله تعالى هو الخالق لجميع أفعال العباد لا يعني أن العبد مجبور في جميع أفعاله؛ إذ الإرادة الجزئية التي يمتلكها يقدر على صرفها إلى جانب الخير وإلى جانب الشر، له عقل يميز به بينهما؛ فإذا صرف إرادته إلى الخير ظهر ذلك الخير الذي أراده، وأثيب عليه لظهوره على يده، وتعلق إرادته الجزئية به، وإن صرفها إلى جانب الشر ظهر ذلك الشر وعوقب عليه لظهوره على يده، وتعلق إرادته الجزئية به، ويضرب الشيخ لهذه المسألة مثالا يوضح أن العبد غير مجبور على جميع أفعاله، ويقرر أن الفعل الإنساني منه ما هو اضطراري ومنه ما هو اختياري؛ حيث يمثّل بحركة اليد في حالتي الارتعاش والكتابة؛ فإن الإنسان ينسب تحرك يده حال الكتابة إلى اختياره وإرادته، بخلاف تحركها حال الارتعاش فهو ينفي وقوع ذلك باختياره، وهو ما يستفاد منه أن كل إنسان يدرك بأدنى ملاحظة أن أفعاله قسمان: قسم يكون باختياره وإرادته مثل أكله، وشربه، وضربه لزيد ونحو ذلك، وقسم يكون بغير اختياره مثل وقوعه، وعليه فإنه يمكنه أن يعرف أنه ليس مجبورا على جميع أفعاله [1].

مما سبق نلاحظ أن الشيخ طاهر قد اتخذ موقفا وسطا بين المثبتين للقدر المغالين في إثباته، وهم الجبرية الذين نفوا القدرة والإرادة عن العبد، وجعلوه محلا للفعل كشجرة تحركها الرياح لا فاعلا على الحقيقة، بل ذلك منسوب إليه مجازا، وبين النافين له المغالين في نفيه، وهم المعتزلة الذين أرادوا تنزيه الله عز وجل عن الظلم فقاموا بنفي خلقه تعالى لأفعال العباد، وقالوا أن خلقه لأفعال العباد من المعاصي، ثم معاقبتهم عليها ظلم، فنسبوا إلى العبد خلق أفعاله، وقرروا أنها باختياره، والشيخ طاهر في المسألة الخامسة الآنف ذكرها يؤكد توسطه بين هذين الاتجاهين، حيث يثبت الاختيار للعبد، وينفي كونه مجبورا على فعله، مع تأكيده على أن الاختيار الذي يثبته هو غير الاختيار الذي يثبته المعتزلة، وقد تقدم قوله أن الحق في هذه المسألة هو التوسط بين المذهبين، وجعل اختيار العبد بين بين، وأن هذا ما يدل عليه الكتاب والسنة، والقائلون بغيره كالسارين في دجنة.

– في مسألة العلم الإلهي وعلاقته بالقدر، نجد أن الشيخ يثبت علم الله تعالى الأزلي المتعلق بأفعال العباد، ويقرر أن علمه سبحانه تابع للمعلوم، مطابق للواقع، متقدم على الأشياء قبل حصولها، وفي إثباته لعلم الله المتقدم مخالفة للقدرية الأوائل الذين قرروا خلاف ذلك، كما أنه ينفي كون تعلق العلم الإلهي بأفعال العباد يقتضي الجبر والاضطرار، وفي ذلك إبطال لما قرره الجبرية؛ حيث يُلزمهم الشيخ بنفي اختيار الله في أفعاله وذلك لعلمه الأزلي بها، وهذا تبعا لقولهم المتقدم.

[1] طاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح: السيروان، ص83-84.

يقول الشيخ عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ [الحشر:19]، أن هذه الآية استدل بها من يقول بالاستعداد، والمراد بذلك أن إيجاد الله تعالى للأشياء يكون بحسب علمه الأزلي المتعلق بها على ما هي عليه في نفس الأمر، قالوا وبهذا يتضح معنى قوله سبحانه: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ [الأنعام:149]، ويورد الشيخ استشكال الشقي عن مؤاخذته وقد تعلق العلم الأزلي بشقائه، فمثل هذا يقال له أن العلم تابع للمعلوم، فما تعلق العلم إلا بما أنت عليه، وما أفاض عليك في الوجود إلا ما اقتضاه قبولك واستعدادك، ويشرح معنى كون العلم تابعا للمعلوم بأنه ليس متأخرا عنه؛ بل المراد أنه تصور تعلق العلم بتصور المعلوم أولا وأنه على صفة خاصة، ثم يتصور تعلق العلم به، وأما معنى استعداد الشيء لأمر ما، فهو كون ذلك الأمر لازما لذلك الشيء لا ينفك عنه، كالزوجية للأربعة فإنها ملازمة لها في الذهن ولا تكون في الخارج إلا كذلك[1].

وقد دلت نصوص القرآن والسنة على علم الله تعالى الواسع والمحيط بما كان وما سيكون؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ [لقمان:34].

ومن السنة حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له»[2] ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ ﴾ [الليل: 6-5]، إلى قوله ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾ [الليل: 10]».

- يقرر الشيخ أن الله تعالى قدر كل شيء بحسب ما اقتضته الحكمة واستعداد ذلك الشيء، كما أنه في المسألة السادسة يصف الحق سبحانه بالحكم العدل، وينفي الظلم عنه، ويعرف الظلم

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص301-302، 128.

[2] أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم:2637، ج4، ص2040.

المنفي عن الله تعالى بأنه وضع الشيء في غير موضعه، ولا يخفى ما بين المسألتين الثانية والسادسة من الترابط، فنفي الظلم بهذا المعنى إثبات للحكمة المخالفة له في المعنى؛ فالشيخ إذا يرى أن تقدير الله عز وجل للأشياء كائن وفق ما اقتضته الحكمة واستعداد ذلك الشيء، وأن في جميع أفعاله تعالى حكم وأسرار.

والشيخ يلفت النظر إلى مسألة مهمة، وهي أن خلق الله تعالى للشر لا يعني أنه يحبه، وعدم محبته له ليس على الصورة التي نتخيلها أو نتصورها في البشر كما أشار إلى ذلك في المسألة الثامنة، وإنما خلق الشر لما اشتمل عليه من حكم وأسرار.

وهذا الذي قرروه الشيخ من إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى ونفي الظلم عنه هو الذي نطقت به نصوص الوحي، حيث وصف نفسه تعالى بالحكمة وسمى نفسه حكيما في عدد من الآيات منها قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:32]، وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:129].

يذكر الشيخ عن بعض من أسماهم أئمة الجمهور أن جميع ما خلق الله تعالى مشتمل على حكمة، ويدخل في ذلك ما خلقه مما هو شر في حق بعض الناس، كما أن كل خلقه تعالى حسن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:7]، ولهذا لم يضف الشر إليه تعالى في كتابه العزيز، وإنما يرد ذكره على أحد ثلاثة وجوه[1]:

الأول: أن يذكر خلق الله تعالى له ضمن العموم كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد:16].

الثاني: أن يذكر مضافا إلى السبب كقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:2].

الثالث: أن يذكر بدون بيان الفاعل كقوله تعالى في بيان ما قاله مؤمنو الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن:10]

إن الشر على قول الشيخ طاهر يكون تابعا لخير أوفى منه في المقدار، وهو بهذا يكون شرا من وجه، خيرا من وجه آخر، ثم إن إدراك الحكمة الإلهية في خلق أنواع من الشر وتقديره مما يعجز العقل

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص222.

عنه أحيانا؛ إذ كثيرا ما يعجز الإنسان عن معرفة الحكم الإلهية والأسرار الربانية التي أودعها الله تعالى خلقه، وهذا عائد إلى القصور العقلي الذي هو من طبيعة الخلقة البشرية، وقد مر كلام الشيخ في تقرير هذا القصور، وذكر من صوره عجز العقل عن إدراك حقيقة الروح ومعرفة كنهها، ومن باب أولى عدم إدراك ذات الرب جل وعلا.

يبدو تأثر الشيخ طاهر بالغزالي واضحا في هذه المسألة؛ فقد نقل طرفا من كلامه الذي يؤكد ما سبق؛ حيث ينفي الغزالي أن يكون في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير ، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه ، ويضرب مثالا على ذلك باليد المتآكلة التي في قطعها سلامة البدن، فقطعها شر في الظاهر وفي ضمنه الخير، ولو تركت لحصل شر أعظم من قطعها، يقول الغزالي بعد أن ضرب هذا المثال: " فإن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنا لا في ضمن الشر ، فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين... ولا تشكن أصلا في أنه أرحم الراحمين ، وفي أنه سبقت رحمته غضبه ، ولا تسترين في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة"[1].

من خلال هذا النص نعرف مطابقة آراء الشيخ طاهر لما قرره الغزالي في هذا الجانب، ويظهر مدى تأثره به، وحسب ما سبق من كلام الغزالي فإن الحكم بعدم تضمن الشر للخير خطأ عقلي ناتج عن قصور العقل عن إدراك ذلك الخير، كما أن إثبات كون الله خالقا للشر لا يوجب اتصافه به، وفي هذا رد من الأشاعرة على المعتزلة الذين يقولون بأن الفاعل للشيء متصف به[2].

ويستمر الشيخ طاهر في نقله عن الغزالي وتحديدا في إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه تعالى، يقول الغزالي أن كل ما قسم الله تعالى بين عباده عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه ، وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل.

وهذا الكلام كما يقول الشيخ طاهر حمل بعض مخالفي الغزالي - ممن ظن أن في الإمكان أبدع مما كان - على الاعتراض عليه، وقد أجاب عنه بأن للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل، فإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة؛ فكل ما قضاه ويقضيه من خلقه

[1] أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، [قبرص، د.ط، نشر الجفان والجابي، 1407هـ-1987م]، ص64-66، وانظر: طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص128-129.

[2] مرزوق العمري، نظرية الكسب عند الأشاعرة، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 2009]، ص233.

بعلمه وإرادته وقدرته، وهو على غاية الحكمة ونهاية الإتقان ودليل قاطع على كماله في صفاته[1].

إن بحث مثل هذه المسائل في باب القضاء والقدر يجرنا إلى الولوج في جزئيات ومسائل فرعية أخرى قد انجرت عنها، وذلك نظرا للترابط الوثيق بين مختلف مسائل هذا الباب وتداخلها في كثير من الأحيان، فمسألة الحكمة في أفعال الله، وخلق الشر وتقديره، وإثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه، تجرنا إلى الحديث عن مسألة اشتهرت عن المعتزلة وهي وجوب فعل أو رعاية الصلاح والأصلح، فلأنه تعالى حكيم، يجب عليه من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد على قولهم، والذي يهمنا في هذا الموضع هو معرفة رأي الشيخ طاهر وموقفه من هذه المسألة.

من الواضح جدا أن الشيخ طاهر قد خالف المعتزلة ولم يوافقهم فيما ذهبوا إليه، ويظهر ذلك من خلال دفاعه عن الغزالي بعد أن نقل عباراته السابقة؛ حيث يقول أن بعض الناس قد توهم ميل الغزالي في مقاله هذا إلى قول المعتزلة بوجوب رعاية الأصلح[2]، وخطأهم من وجهين:

الوجه الأول: أن الغزالي لم يوجب على الله عز وجل شيئا.

الوجه الثاني: أن المعتزلة ذهبوا إلى وجوب رعاية الأصلح في جانب كل فرد فأبلسوا أي إبلاس حين قيل لهم أي صلاح روعي فيمن جمع له بين الكفر والإفلاس، وأما الغزالي فحكم على مجموع العالم، والحكم على المجموع بشيء لا يقتضي الحكم به على كل جزء من أجزائه إذا نظر إليه وحده[3].

وفي موضع آخر يذكر الشيخ طاهر احتيار المعتزلة في مسألة استدراج الله تعالى للعصاة، بأن يفتح عليهم أبواب النعم حتى إذا ركنوا إليها وأعرضوا عن ذكره وشكره أخذهم الله بذنوبهم وأحل عليهم بأسه وعقابه، وأرجع الشيخ احتيار المعتزلة هذا إلى قولهم بوجوب رعاية الأصلح، كما يذكر أن هذه المسألة كانت السبب في اعتزال أبي الحسن الأشعري[4]عنهم وتبرأه منهم؛ وينقل مناظرة دارت

---

[1] طاهر الجزائري شرح خطب بن نباتة، ص129. والغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص258.

[2] يقول أبو حامد الغزالي: " ندعي أنه لا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده، بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، خلافاً للمعتزلة فإنهم حجروا على الله تعالى في أفعاله وأوجبوا عليه رعاية الأصلح". الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص115.

[3] طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص129.

[4] هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق، الأشعري الإمام الشهير، ولد بالبصرة سنة (260هـ)، وقيل سرق (270هـ)، قرأ على الجبائي من المعتزلة، ثم تركه إلى مذهب أهل السنة، توفي ببغداد سنة (324هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص85-87.

بين الأشعري وأبي علي الجبائي[1] رئيس معتزلة البصرة ونصها كالتالي:

الأشعري: ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا، والآخر عاصيا، والثالث صغيرا ؟

الجبائي: يثاب الأول بالجنة، ويعاقب الثاني بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب.

الأشعري: فإن قال الثالث يارب لم أمتني صغيرا وما أبقيتني إلى أن أكبر فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة؟

الجبائي: يقول الرب إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار.

الأشعري: فإن قال الثاني يارب لمَ لمْ تمتني صغيرا لئلا أعصي فأدخل النار؟

فبهت الجبائي وترك الأشعري على إثرها مذهبه وأخذ بمذهب أهل السنة مؤيدا وناصرا له[2].

وأرى أنه من المناسب أن أورد حديثا قدسيا [3] يكون خاتمة لما تقدم، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[4].

---

[1] هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام، المعروف بالجبائي، أحد أئمة المعتزلة، ولد سنة (235هـ)، وتوفي سنة (303هـ). أنظر ترجمته والمناظرة المذكورة، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص267-269.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص202.

[3] هذا الحديث ذكره الشيخ طاهر بعد كلام الغزالي السابق، وقال:" هذا ولنختم هذا المبحث بالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم في صحيحه لمناسبته لهذا الباب واشتماله على أسرار هي منية أولي الألباب". المصدر نفسه، ص129- 130.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم:2577، ج4، ص1994.

المطلب الثالث: بعض المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر

الفرع الأول: الرضا بالقضاء والقدر

يقرر الشيخ طاهر أن الواجب على العبد الرضا بالقضاء، وأن يفرق بين القضاء والمقضي، ويضرب على ذلك مثالا بالمريض الذي يرضى بفعل الساقي الذي سقاه شرابا مر المذاق، وإن لم يكن راضيا بما نشأ عن هذا الشراب من المرارة ونحوها [1]، ونجد الشيخ عند تقريره لوجوب الرضا بالقضاء يورد استشكالا على ذلك بأنه قد اشتهر أن الرضا بالكفر كفر، ويجيب عن ذلك بالتفصيل في المقتضيات وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع: أوامر ونواهي وهذه الرضا بها واجب، والصحة والرد والذي يرجحه فيها وجوب الرضا بالقسم الثاني منها، والطاعة والعصيان ومنه الكفر، وهذا القسم الثالث هو المقصود في هذا الموضع، وفيه تفصيل سيأتي بيانه في عبارته التالية.

يقول الشيخ: " المقتضيات ثلاثة أنواع:

الأول: الأوامر والنواهي وهذه الرضا بها واجب، ومعنى الرضا بها الاعتقاد بأنها شرعت لحكمة والقيام بمقتضاها.

والثاني: الصحة والرد وما أشبههما، والرضا بالقسم الأول من مقتضيات الطبع، وأما الرضا بالقسم الثاني فقيل إنه مستحب وقيل إنه واجب وهو الظاهر، إذ المراد بالرضا الصبر وعدم الاعتراض على القضاء والقدر، والمراد بالصبر عدم الضجر وهو لا ينافي الدعاء والتشبث بأسباب الشفاء، قال ابن الفارض[2]:

ولم أحك في حبيك حالي تبرما   بها لاضطراب بل لتنفيس كربتي
ويحسن إظهار التجلد للعـدى   ويقبح غير العجز عند الأحبـة[3]

فإن ضم إلى ذلك الشكر فقد فاز بالحسنى ونال المقام الأسنى وورد منهل من قال[4]:

وكل أذى في الحب منك إذا بدا   جعلت له شكري مكان شكيتي
وماحل بي من محنة فهي منحـة   إذا سلمت من حل عقد عزيمتي

---

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص302.

[2] هو عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المصري، ولد بمصر سنة (576- 1181)، شاعر صوفي، توفي سنة (632هـ-1235م)، له ديوان شعر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص368. والزركلي، الأعلام، ج5، ص55.

[3] أنظر هذه الأبيات، ابن الفارض، ديوان ابن الفارض، [لبنان: بيروت، د.ط، دار صادر، د.ت]، ص50.

[4] المرجع نفسه، ص50.

نعم وتباريح الصبابة إذا عــدت   علي من النعماء في الحب عدت

الثالث: الطاعة والعصيان ومنه الكفر، والإشكال المشهور في ثاني هذا القسم، فنقول إن الرضا بالمعصية معصية والرضا بالكفر كفر، وكيف يرضى العبد بما لا يرضى به الرب قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ﴾ [الزمر:7]، وإنما يكون كذلك إذا رضي به من حيث كونه كفرا، ولذا قال المحققون بعدم كفر من دعا على عدوه بالموت على الكفر، وعللوا ذلك بأن رضاه بكفر عدوه ليس لاستحسانه الكفر بل لتضمنه دخول النار والبقاء مع الفجار، بخلاف من رضي لنفسه الكفر فإنه لا يكون إلا لاستحسان الكفر لذاته وذلك كفر ألبتة"[1].

وبعد هذا التفصيل الذي ذكره الشيخ، يورد استشكال بعضهم لدعاء موسى على فرعون وقومه الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةَ وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ ﴾ [يونس:88]، ويجيب الشيخ عن هذا الاستشكال بحمله على التفصيل السابق الذي ورد في القسم الثالث، كما ذكر عليه إجابات أخرى منها أن سبب دعاء موسى عليه السلام على قومه راجع إلى يأسه من إيمانهم، وهو كدعاء نوح عليه السلام على قومه بعد يأسه من إيمانهم ، كما يمكن أن يجاب بأن المراد بالضلال الحيرة في أمرهم وليس فيه أنه دعا عليهم بعدم الإيمان، ويضاف إلى هذه الإجابات أن موسى عليه السلام دعا عليهم بسلب أموالهم التي كانت سببا في ضلالهم وعتوهم ومنعتهم الإيمان، وأن لا يؤمنوا إلا بعد ذلك وظهور مبادئ المهالك حتى يكون إيمانهم إيمان إخلاص موجب للخلاص.

وكما بين الشيخ حكم الرضا بالقضاء في القسم الأول والثاني من هذه المسألة، يبين حكم الرضا بقضاء الله في هذا النوع الأخير؛ حيث يرى أنه واجب، ويوضح أن المراد بالرضا هو اعتقاد أنه لم يقض إلا لحكمة اقتضت ذلك وأن عقاب المقضي عليهم بذلك عدل[2] ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧ ﴾ [البقرة:57].

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص121.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص221- 222.

بناءا على ما تقدم يتضح لنا أن الشيخ طاهر يفرق أولا بين القضاء والمقضي، ويرى ثانيا وجوب الرضا بالقضاء جملة، مع اختلاف معنى الرضا في كل حالة ونوع مما ذكر، واستثنى من ذلك الرضا بالمعاصي والرضا بالكفر من حيث كونه كفرا؛ فليس داخلا في عموم ما ذكر؛ إذ الرضا بالمعصية معصية والرضا بالكفر كفر، وهذا الذي قرره الشيخ هو نفسه الذي قرره عدد كبير من العلماء؛ فهذا ابن أبي العز مثلا يطرح إشكالية إنكار الكفر وبغضه مع كونه بقضاء الله وقدره ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله؟!.

ويجيب عن ذلك بالتفريق بين القضاء والمقضي، فـقضاء الله هو: فعل قائم بذات الله تعالى، والمقضي هو: المفعول المنفصل عنه ؛ فأما القضاء فيرضى به من جهة تعلقه بالله تعالى ونسبته إليه، وقد يسخط من جهة تعلقه بالعبد ولا يرضى به كقتل النفس؛ فإنه يرضى به من حيث قدره الله وقضاه، ويسخط ولا يرضى به من حيث صدر من القاتل وعصى الله تعالى بفعله، وأما المقضي فمنه ما يرضى به، ومنه ما يسخط ويمقت[1].

والحاصل أن الرضا بالقضاء والقدر ليس على درجة واحدة؛ فمنه ما يرضى به ومنه ما يذم ويسخط.

الفرع الثاني: زيادة العمر وسعة الرزق

جاءت العديد من النصوص في القرآن والسنة دالة في ظاهرها على وقوع التغيير والتبديل في القدر، وعلى وجه الخصوص الزيادة والنقصان في الرزق والعمر [2]، وفي نفس الأمر وردت العديد من النصوص الأخرى التي تدل على ثبات القدر وعدم تغيره، مما يوحي أن هناك تعارضا ظاهريا بينها، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:34]، وقوله: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:11]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر:11]،

[1] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ج1، ص235-236.

[2] أشار الشيخ طاهر إلى الفرق بين العمر والأجل فقال أن: " العمر هو مدة عمارة الجسم بالروح، وأما الأجل فهو آخر مدة العمر". طاهر الجزائري، المصدر السابق، ص227.

ومن السنة ما رواه أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[1].

ويصور لنا الشيخ طاهر جانبا من الإشكال المطروح في هذه المسألة فيقول: "قد استفاض في الألسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق، وقد وردت آثار شتى تدل على أن بعض الأعمال الحسنة كصلة الرحم سبب لبسط الرزق وطول العمر، وقد أورد على ذلك أن العمر والرزق مقدران في الأزل فكيف يتصور الزيادة فيهما"[2].

وقد أورد الشيخ جوابا لهذا الإشكال بما ذهب إليه بعضهم من أن المقصود بالزيادة هو زيادة البركة لا الزيادة الحقيقية، وأعقبه بكلام للقرافي [3] في إبطاله وملخصه: أن القول بأن القدر مانع من الزيادة في الرزق والعمر يلزم منه منع البركة في العمر والرزق كذلك لأنها من جملة المقدرات، وإلا لزم عنه مفسدة خروج البركة عن القدر؛ فحيث لا مانع لا قدر وهذا رديء جدا ، كما أن هذا القول يقل الرغبة في صلة الرحم لملاحظة زيد الفرق بين الزيادة الحقيقة ومجرد البركة، فيختل المعنى الذي قصده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المبالغة في الحث على صلة الرحم والترغيب فيها ، والحق أن الله تعالى قدر له ستين سنة مرتبة على الأسباب العادية من الغذاء والتنفس في الهواء ، ورتب له عشرين سنة أخرى مرتبة على هذه الأسباب وصلة الرحم ، وبذلك يبقي الحديث على ظاهره من غير تأويل يخل به على ما تقدم ، وما قيل عن الزيادة في العمر يقال عن الرزق والدعاء حرفا بحرف؛ فلله سبحانه ما رتب مقدورا إلا على سبب عادي ولو شاء لما ربطه به[4].

يقول الشيخ طاهر أنه بهذا الجواب الذي تقدم ينحل الإشكال المتوهم في قوله تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم: 2067، ج2، ص79. وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: 2557، ج4، ص1982.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص226.

[3] هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، من علماء المالكية، توفي بمصر سنة (684هـ-1285م)، له من المصنفات: أنوار البروق في أنواء الفروق، الذخيرة، وغيرها. ابن مخلوف المالكي، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ص270. والزركلي، الأعلام، ج1، ص94-95.

[4] أحمد بن إدريس القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، [د.م، د.ط، دار عالم الكتب، د.ت]، ج1، ص147-148. وطاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص226.

ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:188]، فإن بعضهم أشكل عليه الاستكثار من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب، والذي في الغيب هو الذي قدره الله من الخير، ويذكر الشيخ جوابا على هذا الإشكال ملخصه: أن تقدير الله عز وجل للخير والشر في الدنيا مترتب على أسباب من أعظمها العلم، وما كان مقدرا على تقدير العلم يمنع أنه مقدر على تقدير الجهل، وبهذا يتضح ترتيب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب [1].

والشيخ طاهر يوافق القرافي ويؤيده فيما ذهب إليه من كون الزيادة على الحقيقية لا المجاز، وفيما سيأتي من كلامه تأييد واضح وتقرير صريح لما سبق بيانه، فليس المراد بالزيادة البركة كما ذهب إليه بعضهم؛ إذ الزيادة تنبني على أسباب، والله عز وجل قدر السبب والمسبب؛ فمتى حصل الأول كان الثاني والعكس، يقول: "وبما ذكرنا لك يظهر لك معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر:11]، وإن الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح، مثل أن يكون فيه إن أطاع عمرو فعمره ستون وإلا فأربعون"[2].

والذي يظهر من كلام الشيخ هذا أن للزيادة والنقصان أسبابا لا تتعدى ما هو كائن في اللوح المحفوظ، فهذا التغيير والتبديل الحاصل بالزيادة والنقصان لا يخالف ما كتب في اللوح المحفوظ.

قال ابن تيمية: "والأجل أجلان " أجل مطلق " يعلمه الله " وأجل مقيد " وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يبسط له في رزقه، و ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: " إن وصل رحمه زدته كذا وكذا " والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر "[3].

[1] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص226-227.
[2] المصدر نفسه، ص227.
[3] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج8، ص517.

الفرع الثالث: الاحتجاج بالقدر على المعاصي

إن مسألة الاحتجاج بالقدر مسألة في غاية الخطورة، وذلك لما ينجر عنها من ترك للعمل، وجرأة على المعاصي، فترى المحتجين بالقضاء والقدر تاركين للعمل بحجة عدم مشيئة الله له، كما يحتجون به على ما يوقعونه في الناس من ظلم وفساد، أو ما يقع من ظلم وإفساد، فتجدهم خاضعين للظلمة مشايعين لهم مما يجعل الباطل يستشري في ديار الإسلام [1].

إن الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعاصي باطل غير مقبول شرعا ولا عقلا، وقد حكى القرآن عن المشركين احتجاجهم به وزعمهم أن الله تعالى ارتضى كفرهم لمشيئته له، فتشبثوا بمشيئة الله وتمسكوا بقدره تعالى واحتجوا به على كفرهم وشركهم به سبحانه؛ فأبطل الله تعالى زعمهم هذا بقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾ [الأنعام:148-149]، وقال الله ذاكرا صورة أخرى من صور احتجاجهم بالقدر: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧ ﴾ [يس:47].

ولو صح الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمنكرات لكان تشريع الحدود، والقصاص، والعقاب على الذنوب والمعاصي عبثا من الخالق سبحانه – تنزه عن ذلك – ولعمت البلوى، وانتشرت الفوضى، وفسدت حياة الناس، وهو ما يشير إليه ابن تيمية بقوله: " وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج

[1] عمر سليمان الأشقر، القضاء والقدر، [الأردن: عمان، ط13، دار النفائس، 1425هـ-2005م]، ص87.

بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه ، بل يتناقض وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول "[1].

وقد شرع الله عز وجل ما فيه الخير والصلاح للخلق وأمر به ورتب عليه الثواب، وأوجد الشر وما اشتمل عليه من معاص لحكمة يعلمها وإن خفيت عن عباده، ونهى عنه ورتب على فعله العقاب والعذاب، وكل ذلك إنما هو بقضائه وقدره سبحانه وتعالى، وهو ما يقرره الشيخ طاهر فلا يقبل الاعتذار بالقدر، وذلك تبعا لما قرره سابقا من إثبات الإرادة الجزئية للعبد واختياره وقدرته على الفعل، إلى جانب تميزه بقوة العقل المميزة بين الخير والشر، فلا حجة لأحد في ترك الأمر والنهي والتملص من أحكام الشريعة، ولا سبيل له في التخلص من العقوبات الدنيوية والأخروية احتجاجا واعتذارا بالقدر، يقول الشيخ أن الرضا بالأوامر والنواهي واجب، ومعنى الرضا بها الاعتقاد بأنها شرعت لحكمة والقيام بمقتضاها، وأفعال العبد الاختيارية إذا كانت خيرا يترتب عليها الثواب، وإن كانت شرا يترتب عليها العقاب، وأما أفعاله الاضطرارية فلا يترتب عليها شيء من ذلك، وإذا ضرب إنسان غيره ظلما وعدوانا أو فعل نحو ذلك من أنواع الشر والمعاصي ثم اعتذر بكون ذلك مقدرا عليه، فلا يقبل منه الاعتذار بالقدر لا عند الله سبحانه وتعالى ولا عند الخلق، لوجود الإرادة الجزئية له، والقدرة والاختيار والعقل[2].

وهكذا قطع الشيخ طاهر تعلق المعتذرين بالقدر المحتجين به على ما يأتون ويذرون، وأوجب الامتثال للأوامر والانتهاء عن النواهي، ولم يغيب دور العقل كعادته في توجيه الفعل الإنساني.

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج8، ص179.

[2] طاهر الجزائري، شرح خطب بن نباتة، ص221. وطاهر الجزائري، الجواهر الكلامية، تح:السيروان، ص84.

في ختام هذا الفصل نخلص إلى ما يلي:

- أن الشيخ طاهر أثبت كل ما ورد في القرآن والسنة في شأن اليوم الآخر، ابتدءا من القبر وما يتعلق به من سؤال ونعيم وعذاب، وما يسبق اليوم الآخر من علامات وأشراط، وانتهاءا بإثبات مشاهد اليوم الآخر التي آخرها جنة أو نار.
- اتخذ الشيخ في مبحث القضاء والقدر موقفا وسطا بين الجبرية والمعتزلة في إثبات اختيار العبد، وأودع هذا المبحث زبدة أفكاره وعصارة قراءاته، وتناول بعض المسائل وكشف عن خباياها بعبارة موجزة دقيقة تنم عن تضلعه في مباحث هذا الباب مع شدة غموضه كما يقول.
- إن التصور الخاطئ لقضية الإيمان بالقضاء والقدر يعود على الأمة بالضعف والوهن ويوقعها في شرك التبعية، ويأسرها في دائرة الخلاف والصراع الداخلي، وبالتالي فهو يعيقها عن التقدم والنهوض الحضاري، وقد أدرك الشيخ طاهر هذا الخطر المحدق بالأمة وهو الذي كان حريصا على نهضتها، ولهذا نجده يُرجع سبب كتابته في مبحث القضاء والقدر إلى انتشار كثير من مسائله ورغبته في إبراز وجه الحق فيها، وما طرحه من مسائل في هذا الباب كمسألة الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي فهو يرجع إلى ما ذكرت.

خاتمـــة

خـاتمــــة

بعد حمد الله تعالى على توفيقه ومنّه عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع، أود أن أوجز أهم النتائج المستخلصة منه، مع ذكر أهم التوصيات والاقتراحات التي أراها جديرة بالعناية والبحث.

أ- النتائــج:

فيما يتعلق بعصر الشيخ طاهر وشخصيته ومنهجه في عرض العقيدة توصلت إلى ما يلي:

- فساد الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الشيخ طاهر، وانهيار الدولة العثمانية واقتسام الدول الأوروبية لبلاد الشام فيما بينها، كل ذلك كان له أثر في فكر الشيخ ورؤيته الإصلاحية في مجال العقيدة.
- أن الشيخ طاهر سخر حياته كلها للعلم طلبا وبذلا، حيث أقبل على طلبه منذ سن مبكرة جدا، ساعده في ذلك البيئة العلمية التي نشأ فيها بدءا من أسرته، حيث تلقى أولى معارفه على يد والده الذي كان من العلماء، كما سعى لبث العلم بجميع الوسائل التي أتيحت له.
- كان للشيخ طاهر إسهامات تشكر في مجال العقيدة؛ حيث ألف كتابين وهما: "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" و "الجوهرة في قواعد العقائد"، بالإضافة إلى أنه أودع بقية مؤلفاته شذرات من آرائه العقدية التي حاولت التأليف بينها ونظمها في عقد هذه الرسالة.
- الشيخ طاهر مثال حي لعالم العقيدة العملي الذي أسقط علمه على أرض الواقع، ولم يكتف بالكتابات العقدية المجردة؛ بل أسس المدارس ووضع المقررات الدراسية وجمع فيها بين علم العقيدة وغيره من العلوم المادية، وباشر التدريس في هذه المدارس، وتولى مهمة التفتيش عليها، فهو قدوة للعلماء عموما ولعلماء العقيدة خصوصا بأن يهتموا بالجانب العملي ولا يكتفوا بمجرد التنظير، وأن يكونوا على قدر من العلوم المادية، وهو قدوة للمعلمين والأساتذة الذين ظل علمهم حبيس قاعات التدريس ولم يقدموا شيئا يذكر للنهوض بقطاع التعليم الذي يعاني اليوم من مختلف المشاكل والآفات، كما أنه قدوة كذلك لمفتشي التربية والتعليم بأن يتمثلوا سيرته ويسلكوا نهجه في توطين أنفسهم وتسخيرها لترقية واقع التعليم، وابتكار الوسائل الناجعة والملائمة لهذا العصر كما فعل الشيخ طاهر.

- كان تركيز الشيخ على الناشئة وفئة الشباب كبيرا، وما المدارس التي افتتحها والمصادر العقدية التي قامت عليها هذه الدراسة إلا جزء من جهوده التي كانت تستهدف هذه الشريحة من المجتمع، وذلك لإدراك الشيخ طاهر أثر العقيدة في تربية وإصلاح هذه الفئة أولا، ولإدراكه أهمية هذا الطرف في معادلة بناء الأمة وتشييد حضارتها، ولهذا وجب تركيز الجهود على غرس وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الشباب في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى.
- سعى الشيخ لإيقاظ الأمة من رقدتها وانتشالها من سقطتها بإعادة بناء الشخصية المسلمة وذلك بتجديد علم العقيدة، وإعادة بعثه بما يتلائم ومقتضيات العصر، ورجع في تقرير المسائل العقدية إلى ما كانت عليه من نقاء وصفاء في العهد الأول مراعيا في ذلك درجة الوعي الثقافي الذي انحط بانحطاط زمانه، فجمع بذلك بين الأصالة والمعاصرة.
- سلك الشيخ مسلكا تربويا واعتمد منهجا مدرسيا في عرض آرائه العقدية؛ حيث تميز بالوسطية وارتكز استدلاله على القرآن والسنة مع الابتعاد عن مسالك الفلاسفة والمتكلمين، في محاولة منه لرأب الصدع ولم شمل الأمة جراء ما اكتوت به من نار الفرقة الناجمة عن الخلاف العقدي الذي مزقها شيعا وأحزابا، وعرقل سيرها الحضاري، وهو منهج ينبغي أن يسلكه الأئمة والخطباء وكل غيور على الأمة مبتغ للإصلاح.
- اتسم منهج الشيخ في عرض آرائه العقدية بالسهولة والتركيز على المضمون المعرفي دون الالتفات إلى الكثرة، كما اتسم بكثرة الاقتباس عن المتقدمين مع مراعاة الأدب في ذكر أصحاب الفرق والمذاهب، إلى جانب تصرفه في العبارات التي ينقلها وإبهام المصادر التي يعتمدها في كثير من الأحيان، كما أنه كان كثير الاعتناء باللغة العربية.

وفيما يتعلق بالآراء العقدية للشيخ طاهر توصلت إلى ما يلي:

- استدل على وجود الله تعالى بدليل الفطرة ودليل العناية ودلالة المخلوقات على الخالق، ودليل الحدوث، وأما في الصفات الإلهية فهو يتأرجح بين مذهب الأشاعرة والسلف، حيث يثبت صفات المعاني السبعة إلى جانب الصفات السلبية الخمسة التي أثبتها الأشاعرة، ومن جهة أخرى يسلك مذهب السلف في إثبات أغلب الصفات الخبرية كالاستواء والنزول وغيرها، كما يرى أن أسماء الله تعالى توقيفية.

- يرى أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية خصت بالطاعة الدائمة لله، وأن رؤيتها على صورها الحقيقية ممكنة للأنبياء منفية عن غيرهم، وأنها خُصّت بالعديد من الوظائف في العالم العلوي والسفلي.
- يرى وجوب الإيمان بالكتب السماوية؛ غير أنه يقيم البرهان على تحريف التوراة والإنجيل، ويستدل على ذلك باقتباس عدد من النصوص المسيئة للذات الإلهية والمتطاولة على الأنبياء عليهم السلام من هذه الكتب نفسها، حيث يعتبرها أدلة قطعية على ثبوت التحريف، وأما القرآن فيرى أنه أشرف كتاب وأعظم آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ناسخ لجميع ما تقدمه من كتب، وأنه كلام الله حقيقة، ولا يصح القول بأنه عبارة عن كلام الله، وأوجه إعجازه تتمثل في بلاغته وإخباره عن الغيب وأمية النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها.
- يرى أن الأنبياء اتفقوا في أصول الاعتقاد، وأن اختلافهم إنما هو في الفروع، ويقسم صفات الأنبياء إلى ثلاثة أقسام: صفات واجبة وجائزة ومستحيلة؛ حيث يرى أنهم معصومون عن الكذب والعصيان والكتمان والغفلة، متصفون بعكس هذه الصفات، وأنه يجوز عليهم سائر الأعراض البشرية كالمرض وغيره، كما يثبت المعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء.
- يثبت ويؤمن بجميع المسائل المتعلقة باليوم الآخر ومقدماته من سؤال القبر ونعيمه وعذابه، وأشراط الساعة، وأحداث اليوم الآخر من الحشر والحساب والميزان والصراط والشفاعة والجنة والنار ويرى أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ويثبت النعيم والعذاب الروحاني والجسماني وأنه دائم لا ينقطع أبدا، كما أنه يثبت رؤية الله عز وجل يوم القيامة للمؤمنين.
- في باب القضاء والقدر يرى أن الله يفعل لحكمة، وأن أفعاله معللة بحكم ومصالح العباد، وأن للعباد أفعالا اختيارية يثابون ويعاقبون عليها، وأن لهم إرادة جزئية في أفعالهم والله خالقها، وأن الله قدر الأشياء على حسب علمه الأزلي وكل ما يقع في الكون هو بمشيئة الله تعالى وإرادته.

ب. الإقتراحات والتوصيات

- حث الطلبة على الاهتمام بالتراث العقدي المغربي عموما والجزائري خصوصا، والالتفات إلى العلماء الجزائريين المغمورين.
- للشيخ طاهر الجزائري تصانيف قيمة تناولت موضوع الأديان؛ فأقترح أن تقدم رسائل علمية متخصصة في هذا الموضوع.

- اهتمام الشيخ طاهر بالجوانب اللغوية في العديد من مؤلفاته، على سبيل المثال: "شرح خطب بن نباتة " الذي اشتمل على الشيء الكثير من ذلك، ولهذا أقترح إنجاز دراسة علمية عن جهوده اللغوية بشكل عام أو من خلال كتابه السابق ذكره.
- تحقيق وطبع مخطوطات الشيخ طاهر التي لا تزال حبيسة الرفوف والأدراج، وأخص منها ما يتصل بالعقيدة وهو مخطوط: "أسنى المقاصد في علم العقائد".
- من خلال قراءتي لكتب الشيخ طاهر تبين لي أن بعض كتبه يعوزها التحقيق وطبعاتها جد قديمة؛ فهي في حكم المخطوط مثل كتاب: منية الأذكياء في قصص الأنبياء الذي يحتاج إلى دراسة وتحقيق نظرا للحالة التي هو عليها.

وفي الختام أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرحم الشيخ طاهر الجزائري ويجزيه عن هذه الأمة خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهــارس

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيـــــة	السـورة	رقم الآية	الصفحة
13	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	آل عمران	165	121
14	﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾	النساء	80	64
15	﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	النساء	136	104، 184
16	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ...﴾	النساء	171	192
17	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ...﴾	المائدة	34	121
18	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾	المائدة	44	143
19	﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ...﴾	المائدة	46	144
20	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ...﴾	المائدة	67	172
21	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ...﴾	الأنعام	1	92
22	﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ...﴾	الأنعام	38	62، 197
23	﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ ...ۚ﴾	الأنعام	83-86	161
24	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ...﴾	الأنعام	114	154
25	﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ..﴾	الأنعام	122	122
26	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ...﴾	الأنعام	123-124	166، 172

الرقم	الآيـــــة	السـورة	رقم الآية	الصفحة
27	﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ...﴾	الأنعام	148-149	182، 210، 220
28	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾	الأنعام	158	175، 195
29	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ...﴾	الأعراف	34	217
30	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ...﴾	الأعراف	53	75
31	﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ ...﴾	الأعراف	65	162
32	﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ...﴾	الأعراف	158	175
33	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ..﴾	الأعراف	172	106
34	﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا...﴾	الأعراف	188	219
35	﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ...﴾	الأنفال	24	122
36	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ... ﴾	يونس	62-64	171
37	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾	يونس	88	216
38	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾	يونس	101	110
39	﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾	هود	32	172
40	﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ ... ﴾	هود	61	161
41	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ...﴾	هود	69-70	135

الرقم	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
42	﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ...﴾	هود	77	133
43	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	هود	84	162
44	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ...﴾	يوسف	50	165
45	﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾	يوسف	105	110
46	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾	يوسف	109	79
47	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الرعد	2	92
48	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	الرعد	8	
49	﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	الرعد	16	211
50	﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ...﴾	الرعد	10-11	138، 202
51	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ...﴾	إبراهيم	10	108
52	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾	إبراهيم	48	198
53	﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ...﴾	الحجر	21	202
54	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	الحجر	29	192
55	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾	الحجر	66	203
56	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ...﴾	النحل	44	63

الرقم	الآيـــــة	الســورة	رقم الآية	الصفحة
57	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ...﴾	النحل	68	111
58	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾	النحل	89	62
59	﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	الإسراء	23	204
60	﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ...﴾	الإسراء	55	144، 174
61	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ...﴾	الإسراء	85	188، 190
62	﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا...﴾	الكهف	48	198
63	﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ...﴾	مريم	71	205
64	﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	طه	5	71، 125
65	﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	طه	109	200
66	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ...﴾	طه	115	173
67	﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ....﴾	طه	121-122	173
68	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ....﴾	الأنبياء	26-27	135
69	﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾	الأنبياء	47	199
70	﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	الأنبياء	85	161
71	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ ﴾	الأنبياء	96	196

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآيــــــة	الرقم
163، 164، 165	52	الحج	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ... ﴾	72
154	18	المؤمنون	﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ ﴾	73
199	102-103	المؤمنون	﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ...﴾	74
194	82	النمل	﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ...﴾	75
166	32	القصص	﴿ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ...﴾	76
208	68	القصص	﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ...﴾	77
163	16	الشعراء	﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	78
171	162	الشعراء	﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴾	79
137، 152	193	الشعراء	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾	80
210	34	لقمان	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾	81
211	7	السجدة	﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾	82
202	38	الأحزاب	﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾	83
172	39	الأحزاب	﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ...﴾	84
162	40	الأحزاب	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ...﴾	85
204	14	سبأ	﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾	86
175	28	سبأ	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ...﴾	87
133	1	فاطر	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾	88

الرقم	الآيــــــة	الســورة	رقم الآية	الصفحة
89	﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾	فاطر	10	71
90	﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ ...﴾	فاطر	11	217، 219
91	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ﴾	فاطر	44	208
92	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ...﴾	يس	47	220
93	﴿ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	يس	52	171
94	﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	يس	82	125
95	﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾	الصافات	6	131
96	﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ..﴾	ص	75	129
97	﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ...﴾	الزمر	4	123
98	﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾	الزمر	7	216
99	﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ...﴾	الزمر	42	189
100	﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ...﴾	الزمر	69	198
101	وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ...﴾	الزمر	73	139
102	﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ...﴾	غافر	7	138

الرقم	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
103	﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾	غافر	32	183
104	﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾	فصلت	39	122
105	﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	الشورى	11	71، 123
106	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾	الشورى	52	188
107	﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ...﴾	الزخرف	80	138
108	﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	الجاثية	1–2	154
109	﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ... ﴾	الجاثية	12	111
110	﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا...﴾	الجاثية	24	184
111	﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ ...﴾	محمد	18	193
112	﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ...﴾	الفتح	4	154
113	﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾	الفتح	10	129
114	﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	ق	29	98
115	﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾	الذاريات	4	134، 139
116	﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ ...﴾	الذاريات	21	109، 111
117	﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ..﴾	الطور	35	108
118	﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ... ﴾	الطور	48	129
119	﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ...﴾	النجم	1–4	64
120	﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴾	النجم	57	183

الرقم	الآيـــــة	السـورة	رقم الآية	الصفحة
121	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	القمر	49	202
122	﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ ﴾	الواقعة	69	154
123	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	الحديد	17	122
124	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ... ﴾	المجادلة	22	188
125	﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾	الحشر	2	77
126	﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ... ﴾	الحشر	19	210
127	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... ﴾	الحشر	7	64
128	﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا... ﴾	المنافقون	11	217
129	﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ... ﴾	التغابن	11	202
130	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ﴾	التحريم	6	135، 139
131	﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾	الملك	3	207
132	﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾	الحاقة	3-1	183
133	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾	الحاقة	45-44	172
134	﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾	الجن	10	211
135	﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ... ﴾	الجن	27-26	165
136	﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾	المدثر	31	120
137	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	القيامة	23-22	201
138	﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾	المرسلات	1	133
139	﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾	النازعات	5	134

الرقم	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
140	﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	النازعات	34	183
141	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ...﴾	التكوير	20-19	165
142	﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ...﴾	المطففين	26-25	201
143	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ...﴾	الأعلى	19-18	144
144	﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	الفجر	22	77
145	﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾	الفجر	28-27	189
146	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾	الليل	5-6	210
147	﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾	الليل	10	210
148	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾	القدر	1	153
149	﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	الزلزلة	8-6	198، 200
150	﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	الكوثر	1	200
151	﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ... ﴾	الإخلاص	4-1	124
152	﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾	الفلق	2	211

فهرس الأحـاديث النبويـة

فهــرس الأعـــلام

فهرس الطوائف والفرق

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصــادر

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

كتب طاهر الجزائري.

01- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، [مصر، ط1، مطبعة المنار، 1334هـ].

02- تقريب المجاز إلى مسائل المجاز للشيخ طاهر الجزائري، تحقيق: عدنان عمر الخطيب، [مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا ، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م].

03- التمرين على البيان والتبيين، [لبنان: بيروت، ط2، المطبعة الأهلية، 1325هـ].

04- توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، [سوريا: حلب، ط 1،مكتب المطبوعات الإسلامية، 1416هـ-1995م].

05- الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، قدم له وعلق عليه: محمد الصالح الصديق، [الجزائر، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت].

06- الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية، شرح وتحقيق: عبد العزيز السيروان، [سوريا: دمشق، ط2، مكتبة الأنوار، 1412هـ-1991م].

07- الجوهرة في قواعد العقائد، تصحيح وتعليق، حسن السماحي سويدان، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1421هـ-2000م].

08- شرح خطب بن نباتة، اعتنى به: أحمد فريد المزيدي، [لبنان: بيروت، ط 1، دار الكتب العلمية، 1428هـ-2007م].

09- الكافي في اللغة، [مصر: القاهرة، د.ط، مطبعة كردستان العامية، 1326م].

10- مخطوطة مذكرات الشيخ طاهر الجزائري، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، رقم: (11462-11492)، موجودة على موقع الألوكة:

http://www.alukah.net/library/0/43984/

ثانيا: المراجـع

حرف الألف

11- إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، [لبنان: بيروت، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، 1408هـ-1988م].

12- إبراهيم البيجوري، حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة، [مصر، القاهرة، ط1، دار السلام، 1422هـ-2002م].

13- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط، [مصر، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م].

14- أحمد بن إدريس القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، [د.م، د.ط، دار عالم الكتب، د.ت].

15- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، [مصر، د.ط، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ت].

- أحمد تيمور باشا:

16- التذكرة التيمورية، تحقيق، محمد شوقي أمين، [مصر، ط1، دار الكتاب العربي، 1953م].

17- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، [مصر: القاهرة، د.ط، دار الآفاق العربية، 1423هـ-2003م].

18- تاريخ الأسرة التيمورية، [مصر، ط1، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، د. ت].

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية:

19- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، [السعودية، ط2، دار العاصمة، 1419هـ-1999م].

20- الرد على المنطقيين، [باكستان: لاهور، ط1، إدارة ترجمان السنة، 1396هـ - 1976م].

21- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، [السعودية: المدينة النبوية، د.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ-1995م].

22- النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، [السعودية: الرياض، ط 1، مكتبة أضواء السلف، 1420هـ-2000م].

23- أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، [لبنان: بيروت، ط7، دار صادر، 1900م].

24- أحمد شاكر، جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، جمع: عبد الرحمان العقل، [السعودية: الرياض، ط1، دار الرياض، 1426-2005م].

- أحمد شلبي:

25- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1986م].

26- المسيحية، [مصر: القاهرة، ط10، مكتبة النهضة المصرية، 1998م].

27- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الفكر، 1399هـ-1979م].

28- أسامة أحمد شاكر، من أعلام العصر، [مصر، ط 1، مكتبة الإسكندرية، 1422هـ-2001م].

- إسماعيل باشا البغدادي:

29- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، 1951].

30- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت].

31- إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، [لبنان: بيروت، ط4، دار العلم للملايين، 1407هـ-1987م].

- إسماعيل بن كثير:

32- طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم، محمد عزب، [د.م، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ-1993م].

33- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، [السعودية: الرياض، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999م].

34- أكرم حسن العلبي، يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية 991هـ-1336هـ/ 1583م-1909م، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، د.ت].

35- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، [تركيا: إستانبول، د.ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م].

حرف الباء

36- أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: زاهد الكوثري، [مصر: القاهرة، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث، 1421هـ-2000م].

37- أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله الحاشدي، [السعودية : جدة، ط 1، مكتبة السوادي، 1413هـ-1993م].

38- أبو بكر محمد بن فورك، مشكل الحديث، تحقيق: دانيال جيماريه، [سوريا: دمشق، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية،2003].

حرف التاء

39- تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال الحوت، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م].

حرف الجيم

40- عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد الكريم عثمان، [مصر، د.ط، مكتبة وهبة، 1384هـ-1965م].

- جلال الدين السيوطي:

41- الحبائك في أخبار الملائك، تحقيق، محمد زغلول، [لبنان: بيروت، ط2، دار الكتب العلمية، 1408هـ-1988م].

42- نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، تحقيق: محمد عطا، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الكتب العلمية، د.ت].

43- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد إبراهيم، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م].

44- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الكتاب اللبناني، 1982].

45- جميل العظم، الصبابات فيما وجدته على ظهر الكتب من الكتابات، اعتنى به: رمزي دمشقية، [لبنان: بيروت، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1420هـ-2000م].

46- عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الرائد العربي، 1401هـ-1981م].

حرف الحاء

47- حازم زكريا محي الدين، الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1421هـ-2001م].

- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي:

48- إحياء علوم الدين، [لبنان: بيروت، د.ط، دار المعرفة، د.ت].

49- الاقتصاد في الاعتقاد، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م].

50- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، [قبرص، د.ط، نشر الجفان والجابي، 1407هـ-1987م].

51- المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، [مصر، د.ط، دار الكتب الحديثة، د.ت].

- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري:

52- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق، نعيم زرزور، [د.م، ط1، المكتبة العصرية، 1426هـ-2005م].

53- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له وعلق عليه: حمودة غرابة، [د.م، د.ط، مطبعة مصر، 1955م].

54- حسن فليفل، حقيقة أغرب من الخيال يأجوج ومأجوج، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة ابن سينا، د.ت].

55- حسين العودات، العرب النصارى، [سوريا: دمشق، ط 1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1992].

56- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، [السعودية: الرياض، ط1، دار طيبة، 1409هـ-1989م].

57- الحلاج، الحلاج الأعمال الكاملة، جمع: قاسم محمد عباس، [لبنان: بيروت، ط 1، رياض الريس للكتب والنشر، 2002م].

58- عبد الحميد بن باديس، آثار بن باديس، تحقيق، عمار طالبي، [الجزائر، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1388هـ-1968م].

حرف الخاء

59- خالد بن فوزي آل حمزة، محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، [مصر: الإسكندرية، ط2، دار علماء السلف للطباعة والنشر، 1415هـ].

60- خير الدين الزركلي، الأعلام، [لبنان: بيروت، ط15، دار العلم للملايين، 2002م].

حرف الراء

61- رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، [لبنان: بيروت، د.ط، منشورات الكتب العصرية، 1975م].

62- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1412هـ].

63- عبد الرحمان الإيجي، المواقف في علم الكلام، [لبنان: بيروت، د.ط، عالم الكتب، د.ت].

64- عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، [لبنان: بيروت، ط 3، دار العلم للملايين، 1993م].

65- عبد الرحمان بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الرائد العربي، 1401هـ-1981م].

66- عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، اعتنى به: عبد الرحمان اللويحق، [لبنان: بيروت، ط1، مؤسسة الرسالة، 1423هـ، 2002م].

67- عبد الرحمن المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، [د.م، ط2، د.د، 1418هـ-1997م].

68- عبد الرحمان الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، [سوريا: دمشق، ط 2، دار القلم، 1399هـ-1979م].

69- عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية دراسة و نقدا، تقديم: محمد الخميس، أحمد عبد الوهاب، [السعودية: الرياض، ط1، دار التوحيد للنشر، 1428هـ-2007م].

70- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، [لبنان: بيروت، ط2، دار صادر، 1413هـ - 1993م].

71- رزق الله شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، [لبنان: بيروت، ط3، دار المشرق، د.ت].

حرف الزاي

72- زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية، [لبنان: بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1994م].

حرف السين

73- سعيد القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، [السعودية: الرياض، ط 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1429هـ-2008م].

74- سيد بن حسين العفاني، زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، [مصر: القاهرة، د.ط، دار العفاني، د.ت].

75- سيد سابق، العقائد الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط 10، دار الفتح للإعلام العربي، 1420هـ-2000م].

حرف الشين

76- شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، [د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت].

77- شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، [مصر: القاهرة، د.ط، دار المعارف، د.ت].

حرف الصاد

78- صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، [مصر: القاهرة، ط1، مركز الحضارة العربية، 2001].

79- صلاح محمد الخيمى، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة، [سوريا: دمشق، د.ط، مجمع اللغة العربية، 1403هـ-1983م].

حرف الظاء

80- ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، [سوريا: دمشق، ط 1، د. د، 1385هـ-1965م]

حرف العين

81- عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي صالح، إشراف، أكمل الدين إحسان أوغلي، [الأردن: عمان، ط1، دار البشير، 1411هـ-1991م].

82- عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، [لبنان: بيروت، ط 2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995م].

- عادل نويهض:
83- معجم أعلام الجزائر، [لبنان: بيروت، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، 1400هـ-1980م].
84- معجم المفسرين، [لبنان: بيروت، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، 1409هـ-1988م].
85- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، [فلسطين: القدس، ط 5، مطبعة المعارف، 1999م].
86- عثمان حسن، مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، [السعودية: الرياض، ط 1، دار الوطن للنشر، 1413هـ].
87- عدنان الخطيب، الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، [د.م، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م].
88- عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، [مصر، د.ط، دار المعارف، د.ت].
89- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، [د.م، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت].
90- علي دبدوب، القاسمي وآراؤه الاعتقادية، [مصر: القاهرة، د.ط، دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر، د.ت].
91- علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، [السعودية: جدة، ط 1، دار المنارة، 1418هـ-1998م].
92- علي ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، [السعودية، ط 1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ].
93- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، [لبنان: بيروت، ط 1، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م].
94- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، [لبنان: بيروت، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م].
- عمر سليمان الأشقر:
95- الرسل والرسالات، [الكويت، ط4، مكتبة الفلاح ودار النفائس، 1410هـ-1989م].

96- عالم الملائكة الأبرار، [الأردن: عمان، ط 7، دار النفائس للنشر و التوزيع، 1415هـ-1995م].
97- القضاء والقدر، [الأردن: عمان، ط13، دار النفائس، 1425هـ-2005م].
98- واحة الإيمان عند بن القيم. الإيمان بالملائكة الأطهار، [الأردن: عمان، ط 1، دار النفائس، 1427هـ-2007م].
99- عمر بن علي بن الفارض، ديوان ابن الفارض، [لبنان: بيروت، د.ط، دار صادر، د.ت].

حرف الغين

100- غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، [السعودية: جدة، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، 1422هـ-2001م].

حرف الفاء

101- فخري البارودي، أوراق ومذكرات فخري البارودي 1887-1966، تحقيق: دعد الحكيم، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، 1999م].
102- فنديك إدوارد، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه وزاد عليه، محمد علي الببلاوي، [مصر، د.ط، مطبعة التأليف (الهلال)، 1313هـ - 1896م].
103- الفيكنت فيليب دي طرّازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين ، [لبنان، د.ط، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، دار الكتب اللبنانية، د.ت].

حرف القاف

104- عبد القادر بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق، زهير الشاويش، [لبنان: بيروت، ط2، المكتب الإسلامي، 1985م].
105- عبد القادر الجعيدي، صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، [د.م، د.ط، مكتبة دار البيان الحديثة، د.ت].
106- عبد القادر محمود، رحلة إلى الدر الآخرة، [مصر: القاهرة، ط 1، مركز الكتاب للنشر، 1417هـ-1997م].
- أبو القاسم سعد الله:
107- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، [الجزائر، د.ط، دار البصائر، 2007م].
108- تاريخ الجزائر الثقافي، [الجزائر، ط6، دار البصائر، 2009م].

109- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، [مصر: القاهرة، د.ط، مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409هـ-1989م].

110- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، [لبنان: بيروت، ط 2، دار الآفاق الجديدة، 1977م].

111- قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1999م].

112- قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى، [لبنان: بيروت، ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1994م].

113- ابن قطلوبغا السودوني، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، [سوريا: دمشق، ط1، دار القلم، 1413هـ-1992م].

حرف الكاف

114- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، [لبنان: بيروت، ط 5، دار العلم للملايين، 1968م].

115- كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، [سوريا: حلب، ط 2، دار القلم، ج 1، 1419هـ].

حرف اللام

116- عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكلم الطيب، 1419هـ-1998م].

117- عبد الله الغماري، إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان، قدم له: محمد زاهد الكوثري، [مصر، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006م].

118- ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة: عمرو الملاح، دينا الملاح، [سوريا: دمشق، ط1، دار الجمهورية، 1419هـ-1998م].

حرف الميم

119- ماري دكران سركو، دمشق فترة السلطان عبدالحميد الثاني 1293هـ-1325هـ/1876م-1908م، [سوريا: دمشق، د.ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، د.ت].

120- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، [السعودية: الرياض، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ].
121- المبارك بن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه: علي الحلبي، [السعودية، ط1، دار ابن الجوزي، 1421هـ].
122- محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة، الصادق بن محمد، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة دار المنهاج، 1425هـ].
123- محمد بن أحمد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، [لبنان: بيروت، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م].
124- محمد الأمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، مطبوع ضمن كتاب القواعد الطيبات في الأسماء والصفات، لأشرف بن عبد المقصود، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة أضواء السلف، 1416هـ-1995م].
- محمد بن أبي بكر الزرعي شمس الدين بن قيم الجوزية:
125- التبيان في أقسام القرآن، تحقيق، محمد حامد الفقي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار المعرفة، د.ت].
126- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، دراسة وتحقيق: بسام العموش، [السعودية: الرياض، ط1، دار بن تيمية، 1406-1986].
127- محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: قصي محب الدين الخطيب، [مصر: القاهرة، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1400هـ].
128- محمد جمال أبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، [سوريا: دمشق، د.ط، منشورات دار علاء الدين، 1996م].
- محمد عبد الحي الكتاني:
129- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، [لبنان: بيروت، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم،د.ت].
130- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تحقيق: إحسان عباس، [لبنان: بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1982م].

131- محمد عبد الرحمان برج، محب الدين الخطيب و دوره في الحركة العربية، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م].
132- محمد بن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، تحقيق: مصطفى حنفي، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، [لبنان: بيروت، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م].
133- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، [مصر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م].
- محمد أبو زهرة:
134- المعجزة الكبرى القرآن، [د.م، د.ط، دار الفكر العربي، د.ت].
135- محاضرات في النصرانية، [السعودية: الرياض، ط 4، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1404هـ].
136- محمد سعيد الباني، تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، [سوريا، د.ط، مطبعة الحكومة العربية السورية، 1920م].
137- محمد بن سليمان بن العفيف، ديوان الشاب الظريف، [لبنان: بيروت، د.ط، المطبعة الأدبية، 1885م].
138- محمد الصالح الصديق، شخصيات ومواقف، [الجزائر، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992م]
- محمد العثيمين:
139- شرح أصول الإيمان، [السعودية: الرياض، ط1، دار الوطن للنشر، 1410هـ].
140- شرح العقيدة الواسطية، اعتنى به: سعد الصميل، [السعودية: الدمام، ط6، دار ابن الجوزي، 1421هـ].
141- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تعليق: نشأت المصري، [مصر: القاهرة، ط1، دار الآثار، 1423هـ-2002م].
142- محمد العقيل، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، [السعودية: الرياض، ط1، مكتبة أضواء السلف، 1422هـ-2002م].
143- محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، [سوريا: دمشق، ط 1، دار القلم، 1410هـ-1990م].

- محمد بن علي الشوكاني:
144- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، [لبنان: بيروت، ط 1، دار الكتب العلمية، 1404هـ-1984م].
145- قطر الولي على حديث الولي، أو ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، [مصر: القاهرة، د.ط، دار الكتب الحديثة، د.ت].
146- محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، [لبنان: بيروت، ط 3، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ].
147- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عوض، [مصر، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ-1975م].
- محمد كرد علي:
148- خطط الشام، [لبنان: بيروت، ط 3، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، 1403هـ-1903م].
149- كنوز الأجداد، [سوريا: دمشق، د.ط، مطبعة الترقي، 1370هـ-1950م].
150- المعاصرون، [لبنان: بيروت، ط2، دار صادر، 1413هـ-1993م].
151- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق:أمير مهنا ، علي فاعور، [لبنان: بيروت، ط3، دار المعرفة، 1414هـ- 1993م].
152- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، [الكويت، د.ط، طبع وزارة الإعلام، 1413هـ-1993م].
153- محمد مطيع الحافظ، دور الحديث الشرف بدمشق، [سوريا: دمشق، ط 1، دار المكتبي، 1431هـ-2010م].
- محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة:
154- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، [لبنان: بيروت، د.ط، دار الفكر، 1412هـ-1991م].
155- تاريخ علماء دمشق، [سوريا: دمشق، ط1، دار الفكر، 1406هـ-1986م].
156- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، [لبنان: بيروت، ط3، دار صادر، 1414هـ].

157 محمد بن منده، كتاب التوحيد، تحقيق: علي الفقيهي، [السعودية: المدينة النبوية، ط1، دار العلوم والحكم، 1423هـ-2002م].

158- محمد بن ناصر العجمي، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، تقديم: أحمد بن حميد، أحمد المبارك، [لبنان: بيروت، ط 1، دار البشائر الإسلامية، 1422هـ-2001م].

159- محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، [لبنان: بيروت، ط 8، مؤسسة الرسالة، 1426هـ،2005م].

160- محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر 987هـ-1400هـ/1492م-1980م، [السعودية: الرياض، د.ط، دار المريخ للنشر، د.ت].

161- ابن مخلوف المالكي، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م].

162- مرزوق العمري، نظرية الكسب عند الأشاعرة، [لبنان: بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 2009].

163- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، [لبنان: بيروت، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت].

164- مصطفى الشلبي، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، [السعودية: جده، ط1، مكتبة السوادي للتوزيع، 1413هـ- 1992م].

165- مصطفى عاشور، عالم الملائكة أسراره و خفاياه، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة القرآن، د.ت].

166- أبو المعين النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، تحقيق: حبيب الله أحمد، [مصر، ط1، دار الطباعة المحمدية، 1406هـ- 1986م].

167- عبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد موسى، وعلي عبد الحميد، [مصر، د.ط، مكتبة الخانجي، 1369هـ-1950م].

168- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، [مصر: القاهرة، ط1، دار الرشاد، 1413هـ-1993م].

حرف النون

169- ناصر القفاري، وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، [السعودية: الرياض، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1413هـ-1992م].

- نزار أباظة:

170- الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، [سوريا: دمشق، ط 1، دار الفكر، 1414هـ-1994م].

171- جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، [سوريا: دمشق، ط 1، دار القلم، 1418هـ-1997م].

حرف الواو

172- وحيد بن الطاهر قدورة، تاريخ الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام، [د.م، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1331هـ-2010م].

حرف الياء

173- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، [لبنان: بيروت، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1995م].

174- يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، [لبنان: بيروت، ط2، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ].

175- يحي محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، [السعودية: الرياض، ط 2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د.ت].

176- يسر مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، [قطر: الدوحة، ط1، دار الثقافة، 1412هـ-1992م].

177- أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي ، [الجزائر، ط1، منشورات وزارة الثقافة، 2005م].

178- يوسف إلياس سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، [مصر: القاهرة، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت].

179- يوسف المرعشلي، عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، [لبنان: بيروت، ط1، دار المعرفة، 1427هـ-2006م].

180- يوسف موسى خنشت، طرائف الأمس غرائب اليوم، [حريصبا، د.ط، مطبعة القديس بولس، 1936م].

الدوريات والرسائل الجامعية :

181- حافظ الجعبري، الفطرة والعقيدة الإسلامية، [مذكرة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة، السعودية، 1399هـ-1979م].
182- عبد الرحمن الشهبندر، "كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر في حفلة التأبين"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، المحرم 1354هـ]، مجلد35، جزء3.

183- صالح مخلص رضا، "تقريظ المطبوعات" (تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر)، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، ذو الحجة 1339هـ]، مجلد22، جزء8.
184 - عبد العزيز لعميد، الشيخ طاهر الجزائري ودوره في المشرق العربي. بلاد الشام نموذجا، [مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1422هـ-2001م].
185- علي حيدر النجاري، "الشيخ طاهر مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته"، [مجلة مجمع اللغة العربية، صفر 1400هـ، كانون الثاني 1980م]، مجلد 55، جزء 4.
186- عبد القادر المغربي، "الظاهر من آثار الشيخ طاهر"، [مجلة مجمع اللغة العربية، السنة الثالثة، 1923م-1341هـ]، مجلد 3، جزء6.
187- عبد الكريم شبرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، [مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م/2007م].

188- مازن المبارك، "آثار الشيخ طاهر الجزائر ي"، [مجلة التراث العربي، سوريا، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م].
189- محب الدين الخطيب، "تحريف الحقائق الإسلامية في كتاب فجر الإسلام "، [مجلة الفتح، مصر، دار المطبعة السلفية، العام الخامس عشر، شعبان 1359هـ].
- محمد رشيد رضا:
190- "آثار علمية أدبية"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، شوال1322هـ]، مجلد7، جزء 19.

191- "أحمد تيمور باشا وفاته وملخص ترجمته "، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، ذو الحجة 1348هـ]، مجلد30، جزء10.
192- "تقريظ المطبوعات (الجواهر الكلامية)"، [مجلة المنار ، مصر، مطبعة المنار، ذو الحجة 1320هـ]، مجلد5، جزء23.
193- "تقريظ المطبوعات (توجيه النظر إلى أصول الأثر)"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، صفر 1330هـ]، مجلد15، جزء2.
194 " مصابنا بشقيقنا السيد صالح مخلص رضا "، [مجلة المنار ، مصر، مطبعة المنار، رمضان 1340هـ]، مجلد23، جزء5.
195- "المطبوعات الجديدة"، [مجلة المنار، مصر، مطبعة المنار، محرم 1336هـ]، مجلد20، جزء4.
196- "وفاة العلامة الجليل الشيخ سليم البخاري "، [مجلة المنار ، مصر، مطبعة المنار، جمادى الآخرة 1347هـ]، مجلد29، جزء8.
- محمد كرد علي:
197- "طاهر الجزائري"، [مجلة مجمع اللغة العربية، كانون الثاني 1921م]، مجلد1، جزء1.
198- "عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق"، [مجلة مجمع اللغة العربية، كانون الثاني 1924م، جمادى الأولى والثانية 1342هـ]، مجلد4، جزء2.
199- "المعاصرون"، [مجلة مجمع اللغة العربية، تشرين أول 1928م، ربيع الثاني وجمادى الأولى1347هـ]، مجلد8، جزء1.
200- مرزوق العمري، "الشيخ طاهر الجزائري ونظرته إلى تدريس العقيدة"، [مجلة التراث العربي، سوريا، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، عدد: 108، السنة 27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م].
201- نزار أباظة، "الشيخ طاهر الجزائري في المجتمع"، [مجلة التراث العربي، سوريا، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، عدد:108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م].
202- هاني المبارك، "الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام"، [مجلة التراث العربي، سوريا، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، عدد: 108، السنة27، ذو الحجة 1420هـ- كانون الأول2007م].

المراجع الأجنبية

203/ Aymen shihadeh.The teleological ethics of fakhr al-din-al-razi.[lieden.Boston. Usa.library of congress. 2006]

المواقع الإلكترونية:

204/ www.djelfa.info/logo/emir_abdelkader_hadith.pdf

205/ http://www.alukah.net/library/0/43984/

فهرس الموضوعات